

هدير الحب

رجاء عبد الملك

شخصيات الروايـة

- القرى صفصافة نشأت بها عائلة الششتاوى وهى عائله من أعيان الدقهلية.

عائلة الششتاوى:

١- عبدالفتاح الششتاوى الابن الأكبر.

٢- ألفت الششتاوى.

٣- ساميه الششتاوى.

٤- فريال الششتاوى.

٥- فتحى الششتاوى.

عائلة عبدالفتاح الششتاوى:

- زوجته صفية .

أولاده:

١- صفوت الابن الأكبر فشل فى دراسته ويعمل مع والده فى زراعة الأرض.

٢- حشمت طالب بمعهد الخدمة الاجتماعية.

٣- بهجت حصل على ليسانس الحقوق وتزوج من الراقصة سموات.

٤- شوكت فى الإعدادية.

عائلة ألفت الششتاوى :

- زوجها المهندس صلاح البندارى رئيس مجلس إدارة شركة التعمير والأعمال الهندسية.
- ابنها سامح دبلوماسى فى وزارة الخارجية.
- ابنتها رانيا فى المرحلة الثانوية فى الدراسة.

عائلة سامية الششتاوى :

- زوجها المهندس سعد بركات مهندس ولديه شركة مقاولات.
- إبنها.. فخر محامى وزوجته رسميه.
- إبنتها.. علياء طالبه بالجامعة الأمريكية وتحب زميل لها يدعى كريم.

عائلة فريال الشمشتاوى:

- زوجها حسام الدمرداش ضابط بالجيش.
- ابنتيها سهام .. والأخرى ريهام التى أحبت سائق تاكسى يدعى محيى خريج كلية التجارة.

فتحى الشمشتاوى:

- زوجته مرفت.

أولاده : نســريـن .. إيهــاب .. ســلوى.. وســهـير.

محمود عبدالتواب:

- ابن صديق فتحى الشمشتاوى وحاصل على دبلوم التجارة.

الموظفون بالشركة التى يرأسها المهندس صلاح البندارى:

- الدكتور خطاب عبدالمنعم مدير عام الشركة.
- عدلى السمالوطى المدير التجارى.
- توفيق مدكور المدير المالى.
- المهندس حماد مدبولى المدير الإدارى.

صدقى عبدالتواب الوكيل التجارى للشركة الالمانية بالقاهرة.

اللواء ظافر الدمنهورى مدير مباحث الأموال العامة.

١-اليوم : الجمعة ..
على المائدة .. وفى فيلا أنيقة بمدينة القاهرة .. تجلس الأسرة لتناول طعام الإفطار .. الأم والأب .. والابن .. والابنة ..ويدور الحوار التالى بين الأم وابنتها التى تبلغ من العمر ١٤عاما :
- سندخل سريرا آخر في حجرتك اليوم يا رانيا ..
- لماذا يا " مامي " .. ما هو الداعى لإدخال سرير آخر في حجرتي.. خصوصا وأنني بمفردي؟
- عزيزتي ..لن تكوني بمفردك .. ستكون معك أختك نسرين .
- وهل لي أخت وأنا لا أعرف .. وإسمها نسرين كمان ؟!
- نعم لك أخوات وإخوة .. وليست أختا واحدة .. أبناء وبنات خالك وخالاتك .. وعمك وعماتك .. جميعهم إخوة لك ..
- ولكني لم أر أحدا من بنات أخوالي طوال حياتي ..
- نعم .. الظروف القاسية يا عزيزتي هي التي حالت دون ذلك .. هي التي فرقت بيننا وجعلت هناك قطيعة تامة ظلت ما يقرب من ثمانية عشر عاما .. ماذا تقولين للجشع وفقدان الضمير ؟ .. للأنانية وحب الذات ؟
وتتمتم الأم ببعض كلمات لا تكاد تسمع .. وتظهر علي قسمات وجهها علامات حزن دفين .. تطفو علي السطح فجأة لمجرد هذا الكلام .. وكأنه يعيد إلي ذهنها شريطا طويلا من الذكريات الأليمة..
- مسكين فتحي أخي .. هو الذي راح ضحية هذا الجشع .. وما زال.. وسيظل يعاني منه طوال حياته .. في هذه الأيام التي لاترحم بغلائها الفاحش .. ربنا يعوضه خير في أولاده ويراهم في أحسن حال .
- لكن يا " مامي " أنا لم أتعود علي أن يزاحمني أحد في حجرتي طوال حياتي .. ولابد أن ذلك سوف يسبب لي مضايقات كثيرة .. خصوصا أنني لا أعرفها ولا أعرف عنها وعن طباعها شيئا - حبيبتي . إنها نسرين ابنة خالك فتحي .. حصلت علي الثانوية العامة هذا العام .. وعندما كنت أنا ووالدك بالمنصورة في الأسبوع الماضي للتعزية في وفاة عمى كمال .. شكا لي خالك فتحي من أن ابنته نسرين قبلت في كلية الاقتصاد والعلوم

السياسية بجامعة القاهرة .. ولم يجد لها مكانا بالمدينة الجامعية ولا في أى مكان آخر تقيم به في القاهرة .. إلي جانب ما سيكبده ذلك من مصاريف باهظة لا طاقة له بها.. لأن إمكانياته المادية لا تسمح له هذه الأيام بأن يوفر لها الراحة والأمان وهي وحيدة فى مدينة مثل القاهرة .. فاقترحت أنا عليه أن تأتي وتقيم عندنا طوال فترة الدراسة .. فهي بمثابة أخت لك .. فوافق علي الفور .. أخذ يحمد الله ويشكره .. ويكرر شكره .. وهو لا يكاد يصدق نفسه.. أو يصدق أن هذه المشكلة التي كانت تسيطر علي كل تفكيره وتؤرقه وتسبب له الانزعاج قد حلت .. إن الله سبحانه وتعالي .. أرسلني له في هذا الوقت بالذات كي أحل له هذه المشكلة ، بأن تقضي نسرين فترة دراستها بالقاهرة عندنا بالمنزل.

وتستطرد الأم قائلة :

- خالك فتحي يا رانيا إنسان بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان.. مسكين .. !! .. جني عليه خالك عبد الفتاح .. سامحه الله .. نهب حقوقنا .. لذلك لن يبارك له الله فى شيء .. أيضا أولاده « مكفرين سيئاته » وفاشلين فى دراستهم .. خلى الجشع ينفعه .. لكن يا " مامي " أنكل فتحي كثيرا ما يأتي لزيارتنا هنا .. دون أن يحضر معه أحدا من أولاده كي نراه أو نتعرف عليه .. أنا حقيقي أعرف أسماء أولاده ولكن لم أر أحدا منهم طوال حياتي .

- ظروف يا حبيبتي .

- وأيضا لم يحدث أن سافرت أنا وسامح أخي معكما أنت وبابا إلى المنصورة لزيارة خالى فتحي والتعرف على أولاده .

- ظروف يا رانيا

- وابنته نسرين هذه يا "مامي " .. جميلة ؟

- جميلة جدا يا رانيا .. ومؤدبة جدا .. ومتفوقة دائما فى دراستها.. وهي أكبر أولاد خالك فتحي . حصلت علي الثانوية العامة هذا العام بمجموع ٩٢٪ وخالك يحبها كثيرا ويعلق كل آماله عليها ..

كانت دائما وهي صغيرة تقول له : انا يا بابا عندما أكبر .. سأكون سفيرة .. وكان فتحي يضحك كثيرا ويقول لها : سفيرة .. مرة واحدة ! وهو الآن يكاد يطير بها من الفرحة .. وسعيد بقبولها فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية .. وتردد الأبنة فى حيرة :

- لكن يا " مامي " أنا متأكدة أنني لن أرتاح معها في حجرة

واحدة .. جهزوا لها حجرة ثانية .
وهنا يتدخل الأب قائلا :
- رانيا .. ابنة خالك لطيفة جدا .. وستكونين سعيدة معها .. وأنا متأكد من ذلك .. الظروف هنا تحتم وجودها معك في حجرة واحدة . وعدم وجودها فى حجرة بمفردها ..
وتتجه عينا الأب بنظرة خاطفه إلي سامح الابن .. " ٢٦ سنة " .. الجالس معهم علي مائدة الإفطار .. والذي ينصت لكل ما يدور من حديث دون أن يعلق بكلمة ..
ويستطرد الأب في كلامه قائلا :
- إذا حدث ولم تجدي راحتك معها .. فسوف نفكر في حل آخر .. لكن أنا متأكد أنك سوف تحبينها .. في بادىء الأمر يا رانيا .. يا حبيبتي .. ربما تجدين صعوبة في الاندماج معها والتعرف عليها .. وهذا شيء طبيعي ولكن بعد ذلك؛ وبمضي الوقت سوف ترتاحين إليها .. وتحبينها وتندمجين معها .. اعتبريها أختا لك وأيضا يجب أن تشعريها بذلك ..
- سأحاول .. فقط من أجل عيون " مامي " حبيبتي .. وكذلك لأنها بتحب خالي فتحي جدا ..
ويخرج الابن من صمته .. ليعلق علي الحوار الذي سمعه .. ودار أمامه .. فيقول بنوع من التعالي المعروف عنه دائما :
- أنا متشوق جدا يا " مامي " لرؤية نسرين هذه .. كما أنني أتصورها الآن .. وهي تائهة في مدينة القاهرة وسط بناتها .. أعني أنه من الأرياف إلي القاهرة .. مرة واحدة .. شيء يتوه !
- عيب يا سامح .. دي ابنة خالك ..
- أنا قلت حاجة لاسمح الله .. يا " مامي "
وينتبه سامح إلي ما قالته والدته عن الخلاف الموجود بينها وبين أخواتها وشقيقها فتحي من جهة .. وشقيقهم الأكبر عبد الفتاح من جهة أخري .. ولاحظ أنه كلما تطرق الحديث إلي هذا الموضوع .. وجد والدته وقد اعترتها حالة من التوتر والحزن وتبذل كل ما في وسعها كي تدير دفة الحديث إلى مواضيع أخري وكأنها تريد أن تسدل علي هذا الموضوع ستارا كثيفا من النسيان !
أراد سامح أن يعرف القصة من اولها .. أن يعرف ما حدث لعائلة والدته .. وسر الجفاء بينها وبين شقيقها عبد الفتاح الشستاوي الذي لم يتذكره منذ أن كان طفلا .
قال لوالدته :

– وما سبب كل هذا الخلاف الموجود بينكم يا " مامي " ؟ إنني لا أعرف إلا خالي فتحي الذي يزورنا كثيرا .. أما خالي عبد الفتاح .. فلم أره منذ أن كنت طفلا صغيرا عندما كنا نذهب إلي القرية لزيارة جدتي في قصرها هناك .. كما أنني لم أتذكر أنه زارنا منذ سنوات طويلة ، لدرجة أنني أصبحت لا أتذكره ولا أعى شكله جيدا .. وأعتقد أنني لو قابلته فى الشارع الآن فلن أتعرف عليه .. كل ما أعرفه الآن .. أن لي خالا إسمه عبد الفتاح .. وأنه حدثت بينكم وبينه قطيعة ومشاكل بسبب الميراث .. ولكن .. تفاصيل هذه المشاكل .. لا أعرفها بالضبط .. وأنت نفسك يا " مامي " .. لم تحاولي في يوم من الأيام أن تقصي علينا تفاصيل هذه المشاكل التي حدثت بينكم !

– نعم ياسامح .. دي قصة طويلة يا ابني ومؤلمة .. ولا أحب أن أتذكرها أو أتحدث عن هذا الذي حدث بيننا .. لأنه يؤلمني ويحز في نفسي كثيرا .. كل شيء يا سامح يا حبيبي .. ذهب إلي سبيله وانتهي .. والأيام كفيلة بأن تنسينا كل شيء .. وقد حدث بالفعل والحمد لله .. وكما قلت إن أحدا لم يتأثر بما حدث سوي خالكما فتحي ..

وتتمتم الأم بصوت خافت :

– مسكين فتحي .. ربنا معاه !

وتقول رانيا :

– ولكن .. ألاترين يا " مامي " أننا كبرنا ومن حقنا أن نعرف كل شيء عن أسرتنا .. وخصوصا أنني لا أعرف شيئا عنها ؟ !

ويرد سامح :

– إنني أعرف بعضا مما حدث .. ولكني لا أعرفه بالتفصيل .. وأعتقد أنه آن الأوان يا " مامي " ، بل أصبح من حقنا ، أن نعرف كل ما حدث .. أن نعرف القصة من البداية للنهاية ..

وفى أثناء هذا الحديث .. قام الوالد .. المهندس صلاح البنداري رئيس مجلس إدارة شركة التعمير والأعمال الهندسية بالقطاع العام واستأذن أسرته فى الخروج لارتباطه بموعد خارج المنزل .. وترك الأم مع الإبن والابنة .. لتقص عليها ما حدث من خالهما عبد الفتاح .

قالت الأم .. « ألفت هانم » .. وهي سيدة مجتمع من الدرجه الأولي .. أنيقة .. جميلة .. طيبة القلب .. تقترب من الخامسة والأربعين من عمرها " وكانت تحاول أن تعود بذاكرتها للوراء ما



يقرب من ثمانية عشر عاما وقد بدا علي قسمات وجهها الجميل .. الجمود والشعور بالأسي .. وبدأ الحزن يخيم على نفسها .. وهى تحاول أن تطفو بذكرياتها على السطح .. تحاول أن تستعيد مرة ثانية ذكريات أليمة طالما حرصت على دفنها مع الأيام .. ولكنها رأت الآن . أنه من الضرورى أن يعرف ابنها وابنتها كل ما حدث لأسرتها بعد أن كبرا .. رأت أنه قد حان الوقت الذي لابد أن يعرفا فيه كل شيء ..

قالت :

- كان ذلك منذ حوالي ثمانية عشر عاما تقريبا .. وكنت أنت يا سامح عندك حوالي ثماني سنوات تقريبا ورانيا لم تولد بعد .. عندما توفيت والدتى .. أقصد .. جدتكم « تفيدة هانم » .. ذهبنا جميعا إلى عزبتنا للعزاء حيث يوجد لنا بها قصر كبير - أظنك تتذكره يا سامح - وكان يقطن به في ذلك الوقت .. والدتي ومعها شقيقى الأكبر عبد الفتاح وزوجته وأولاده .. وكذلك شقيقي فتحي وزوجته أيضا .

ولم تكد مراسم الوفاة تنتهي .. حتي فوجئنا بشقيقي الأكبر عبد الفتاح يجمعنا كلنا .. أنا وشقيقتى سامية وفريال وكذلك خالكما فتحى ويقول :

- أريد أن أقول لكم شيئا مهماً .. حتي تكونوا جميعا علي بينة .. إنني اشتريت من والدتى الـ ١٨٠ فدانا التي كان المرحوم والدنا قد نقلها لها وكتبها باسمها .. اشتريتها منها قبل وفاتها وسجلتها فعلا باسمي ..

ورددنا عليه جميعاً بصوت واحد .. انطلق منا مدويا دون وعى كالطلق الناري من فرط ذهول المفاجأة :

- ماذا تعنى .. ؟!!

- أعني أن أحدا منكم ليس له أى شىء هنا في إرث والدتنا .. حتي القصر بتاعنا هذا .. أصبح باسمي أيضا ولم يعد لأحد منكم حق فيه .. لقد تنازلت لي عنه بأكمله وتم تسجيله فعلا باسمى..واستطرد عبد الفتاح قائلا :

- لذلك يتحتم على أخى فتحى أن يتركه ويبحث له ولزوجته عن مسكن فى أى مكان آخر .. وهذا إنذار منى له أمامكم جميعا ..

فى بادئ الأمر لم نصدق .. وأخذ كل منا ينظر للآخر ونحن مشدوهون .. ولا ندرى ماذا دهانا .. أو ماذا نقول ؟ .. وصمتنا لبرهة فى شبه ذهول من هول المفاجأة .. واعتقدنا فى بادئ

الأمر أنه يمزح .
ولكن سرعان ما تأكد لنا أنه جاد فى كلامه .. وأن ما يقوله لنا قد حدث بالفعل .
صعقنا جميعا .. ليس فقط لما حدث .. ولكن أيضا لأننا اكتشفنا فجأة أن شقيقنا الاكبر الذى أوليناه كل ثقتنا وحبنا .. بهذه النذالة وهذه الأخلاق الشريرة !
لقد استغل عبد الفتاح طيبة قلب والدتى ومرضها وضعفها فى الأيام الأخيرة واستطاع أن ينفرد بها .. ويؤثر عليها .. ويقنعها من خلف ظهورنا أن تكتب له مبايعة بالأرض وبالقصر أيضا .. حتى تصبح كلها من نصيبه .. مستغلا فى ذلك طيبة قلب شقيقى فتحى . خصوصا أن فتحى كان تاركا له كل شىء ، واضعا فيه كل ثقته .. موكله فى أموره .. محترما إياه كشقيق أكبر ..
استطاع عبد الفتاح أن يقنع والدتى فى غيابنا بأنه أصبح كبير العائلة منذ وفاة والدنا .. وأن وضعه هذا يحتم وجود الأرض كلها باسمه .. حتى يظل اسم العائلة ومركزها المادى كما كانا دائما فى ظل والدنا .. وأن ذلك يقتضى عدم تفتيت الأرض .. وتوزيعها علينا .. أقنعها بأنه سوف يراعى حقوقنا ولن يبخل علينا بشىء.. وأنه سوف يحتضن فتحى وينفق عليه وعلى أسرته .. كما كان يحدث بالضبط فى حياتها إذ كان هو المتصرف فى كل شىء .. فى حياة والدتنا بعد وفاة والدنا .. وكانت الأرض وكل شىء فى يده .. أقنعها بأن وفاتها لن تغير من الأمر شيئا .. بذلك استطاع عبد الفتاح أن يقنعها بوجهة نظره المشبوهة .. ويؤثر عليها .. ويفهمها بأن توزيع الأرض سوف يقلل من اسم العائلة وهيبتها فى المنطقة.. ويظهرها بمظهر الضعف .. وأن ذلك على غير رغبة المرحوم والدنا .. وأنه بتصرفه هذا سوف يحقق رغبة المرحوم والدنا ويرفع اسمه .. بل سيكون امتدادا له بغناه وسطوته فى المنطقة ..
وصدقت المسكينة والدتنا كلامه .. خصوصا أنها كانت مريضة .. وكانت فى أواخر أيامها كانت سيدة طيبة القلب ومن السهل التأثير عليها .. وكانت تثق فى خالكما عبد الفتاح ثقة عمياء .. وانتهز هو هذه الفرصة ونفذ خطته الوضيعة وقد أقنعها بأننا .. أى أنا وشقيقتاى سامية وفريال .. كل منا متزوجة من شخص غنى وله مركزه .. زوجى صلاح عنده عزبة ، علاوة على أنه رئيس مجلس ادارة شركة محترمة .. سامية زوجها مهندس كبير ولديه

عقاراته ومقاولاته ولا يحتاج إلى أرض .. كذلك فريال زوجها ضابط جيش ولديه عقاراته أيضا ولم يكن فى حاجة إلى بضعة فدادين منا .. أما القصر .. فهو قصر جميل جدا يا سامح أظنك تتذكره بعض الشيء .. تحب أن تسكن فيه .. حوله حديقة كبيرة جدا .. كله فواكه وأزهار ..ولاندري أيضا كيف لعب لعبته الدنيئة هذه واستطاع أن يسجله باسمه .. قيل لنا إنه أرسل فتحى إلى المنصورة فى مهمة بضعة أيام لكى يبعده عن المنزل .. ويخلو له الجو وأحضر المحامى وأنهى كل شىء . نقل ملكية القصر باسمه .. وأكمل إجراءات مبايعة الأرض وتسجيلها .. دون أن يشعر أحد بشىء ..

ومن هنا فقد فوجئنا جميعا بما حدث عقب وفاة والدتنا .. ويقال إنها عارضته فى بادئ الأمر رغم ضعفها ومرضها .. وماطلته كثيرا .. ولكنه ظل وراءها إلى أن أقنعها .. وكانت دائما تردد : – وماذا عن فتحى ؟!

كيف أحرمه من ميراث والده ؟!!

كيف سيكون مصيره ؟!!

ماذا سيقول عنى .. عندما يكتشف ذلك ؟

سامحنى يا فتحى .. سامحنى .. غصب عنى !!

وكان هو دائما يطمئنها ويدخل السكينة إلى نفسها قائلا :

– فتحى فى رقبتى هو وزوجته .. وهو معى فى البيت .. وسنكون أسرة واحدة .. لن تغير وفاتك من الأمر شيئا .

وتقول الأم مسترسلة فى سرد القصة لابنها وابنتها :

– لقد كان والدى قبل وفاته يعانى من مشاكل كثيرة بسبب الضرائب .. وكان عليه بعض الديون للبنك .. وخشى من الحجز على الأرض والقصر .. الأمر الذى جعله يكتبها باسم والدتى .. إلا أنه توفى إلى رحمة الله .. بعد أن سدد ديونه كلها . ولم يكن باسمه وقت وفاته سوى حوالى ٢٠ فدانا .. وزعوا علينا جميعا عقب وفاته .. والباقى حوالى ١٨٠ تركها كما هى باسم والدتى .. وتوفى وهى باسمها.

بعد أن تاكد لنا صدق أقواله .. وأنه جاد فيما يقول .. لا يمزح .. وأنه فعل فعلته هذه التى تدل على انعدام الضمير .. وجدنا أنفسنا فى حالة ذهول !!

اجتمعنا كلنا نتشاور فيما بيننا .. لنقرر ماذا نفعل فى مواجهة هذا الإنسان معدوم الضمير .. الذى ظهر على حقيقته فجأة .. لنقرر ما يمكن عمله فى مواجهة جشع ونصب واحتيال من أوليناه كل ثقتنا وسلمناه أموالنا وكل أمورنا .. لقد استولى على كل أوراق والدنا ومستنداته ومخصصاته بعد وفاته مباشرة.. وكنا لا نعترض علي أي شئ .. كنا لا نشك فيه لحظة واحدة .. وتغاضينا عن أشياء كثيرة استولي عليها فى حياة والدتنا .. عرفناها وعلمنا بها بطريق المصادفة .. أو عن طريق بعض الأقارب .. رغم ذلك تنازلنا عنها بنفس راضية .. علي أنه شقيقنا الأكبر .. ولا يجب أن يحدث بيننا وبينه أي خلاف علي مثل هذه الأشياء .. مما جعله يتمادى فى جشعه ..

وتستطرد الأم في سرد باقي القصة التي تكاد تدمي قلبها كلما تذكرتها .. أو حاولت أن تستعيد أحداثها .. قائلة :

– إنني أكاد أصاب بالجنون ياسامح يا ابني .. عندما أتذكر خالك عبد الفتاح هذا .. وهو يقول لخالك فتحى :

– أنت برضة يافتحي .. أخي ومن دمي ولا أرضي علي الإطلاق أن ألقي بك في عرض الشارع .. لقد فكرت فيك .. وقررت أن تعيش في الحجرتين الموجودتين في الحديقة في مدخل القصر .. الحجرتين اللتين كان المرحوم والدنا يستغلهما كاستراحة ومضيفة لاستقبال ضيوفه .. كما أنني قررت أن تعمل معى في الأرض وتساعدني في زراعتها وإدارتها .. كما تفعل الآن بالضبط.. وسأدفع لك مرتبا شهريا مجزيا .. تعيش منه أنت وأسرتك . كان يقول ذلك بكل بساطة .. بكل برود .. وكأنه يمنحه هبة من عنده .. كأنه أخ مخلص حريص على مصلحه شقيقه الأصغر يعطف عليه ويرق لحاله !!

لم يصدق فتحى نفسه .. ظن فى بادئ الأمر أن شقيقه يمزح .. يداعبه مداعبات سخيفة ليست فى محلها .. إذ إنه لا يمكن أن يكون شقيقة بهذا الجشع .. وأن يكون معدوم الضمير بهذه الدرجه.. ولكن سرعان ما أفاق لنفسه وتأكد من أن شقيقه جاد

فيما يقول .. وأنه يعنى كلامه جيدا .. وجد نفسه فى حالة ذهول .. وقال :
– لست أدرى كيف سولت له نفسه الشريرة أن يفعل كل ذلك ؟! .. كيف طاوعه ضميره ! .. أمثاله ليس عندهم ضمير ولا يخشون الله !
وتردد الأم « ألفت هانم » بصوت مشحون بنبرات الحزن والألم :
مسكين فتحى .. لقد وجد نفسه بين يوم وليلة هائما على وجهه فى عرض الطريق .. فى الشارع .. بلا مأوى ولا مورد رزق يقتات منه هو وزوجته ..
وأصيب فتحى فى الحال بأزمة قلبية رغم صغر سنه وقتذاك ..
وكان يقول ويردد :
– هل أرضى لنفسى أن أعيش فى حجرتين مثل البواب .. وأمامى قصر والدى الذى نشأت وترعرعت فيه ؟
هل أرضى لنفسى أن أعمل ناظرا لعزبة أخى .. التى هى أصلا عزبتي .. ميراثى الشرعى .. كيف ؟ .. كيف .. ؟ من يصدق ذلك.. من ؟!
كان يردد هذا الكلام .. فى ذهول هستيري .
وخرج فتحى من قصرنا .. قصر والده .. هائما على وجهه هو وزوجته .. مرفت .. التى كانت حاملا فى ذلك الوقت فى ابنته نسرين كبرى أولاده وبناته .. خرج يبحث عن عمل وعن شقة يقطن بها .. وهو لا يملك وليس فى يده سوى حقيبة ملابسه وملابس زوجته .
وقفنا جميعا بجانبه نسانده ونشد من أزره .. بعد أن سلبت منه جميع حقوقه .. وميراثه الشرعى .. ولا يملك شيئا في هذه الدنيا سوى حوالى خمسة أفدنة ورثها عن المرحوم والدى عقب وفاته مباشرة ..
ومما زاد الأمور سوءا .. أنه لا يحمل مؤهلا عاليا .. وكل ما حصل عليه من شهادات .. هو دبلوم الزراعة المتوسطة .. لقد اكتفى فى التعليم بهذه الشهادة .. لأنه لم يكن يفكر إلا فى أرضنا .. فى زراعتها واستثمارها بطرق علمية .. ووافقه على ذلك وقتها .. المرحوم والدى .
وفى المنصورة ..استأجر فتحى شقة متواضعة .. وهى التى مازال يقطن بها حتى الآن .. كما بحث له عن عمل متواضع بشهادته .. تابع لوزارة الزراعة بمدينة المنصورة ..

واجتمعنا جميعا لنتشاور فيما يمكن عمله .. فى مواجهة جشع ونصب واحتيال شقيقنا الأكبر الذى خان الأمانة .. والثقة التى أوليناه إياها .. وكلنا محاميا من أمهر وأشهر المحامين .. واستشرناه فى الأمر .. واطلع على كل تفاصيل ما حدث .. وبعدها قال لنا :

– بصراحة إنها قضية خاسرة .. والأمل فى كسبها ضعيف جدا .. لأنه يملك عقود بيع رسمية من والدته .. وأيضا القصر مكتوب باسمه .. وكل شيء مسجل فى الشهر العقارى . أى أنه أنهى كل شيء لصالحه فى دقة متناهية . حتى لا يجعل هناك فرصة للرجوع عليه .. أو الطعن في صحة ملكيه ماسلبه منكم .. ولو كانت العقود .. فقط .. عقود بيع ابتدائى .. وغير مسجلة .. لاختلف الأمر تماما .. وأمكن الطعن فيما فعله .. واسترجاع حقوقكم .. ولكنه أسرع وسجل كل شيء .. ومن هنا أصبح الأمر منتهيا .. والقضية خاسرة ..

وتسترسل الأم فى سرد القصة .. قائلة :

– هنا يا سامح .. انسحبت أنا من الموضوع واستعوضت الله فى كل شيء .. أما فتحى فلم ييأس لأن المسألة كانت بالنسبة له حياة أو موتا .. كذلك خالتاكما سامية وفريال .. انضمتا إليه .. وصممتا على رفع قضية معه .. والسير فى مشوار القضاء حتى نهايته .. ورفعوا دعوى ضد عبد الفتاح لاسترجاع حقوقهم المنهوبة.. مستندين فى دعواهم إلى أنه استغل مرض والدتنا .. وأنها عندما كتبت له المبايعه كانت فاقدة الوعى ومصابة بفقدان الذاكرة ..

لقد قاست فريال – خالتكما – بدورها كثيرا بسبب هذا الجشع .. هددها زوجها وقتذاك بالطلاق إذا لم تحصل على ميراثها .. رغم أنه يملك ثروة طائلة بجانب وظيفته كضابط بالجيش .. ورغم أنه يعلم أن الأمر ليس بيدها .. وأنها هى بدورها ضحية لجشع أخيها.. ورغم ذلك صمم على طلاقها إذا لم تبحث عن حل لاسترداد حقوقها.. وثارت ثائرته .. بل والأكثر من ذلك قال :

– بصراحه أنا لم أتزوجها إلا لأن والدها غنى .. وسترث منه أرضا..أما الآن .. إذا لم تحصل على ميراثها فهى لا تلزمنى .. وهى طالق .. ولتذهب لعبد الفتاح شقيقها ليأخذها عنده ويتحملها هى وطفلتيها .. وكانت فى ذلك الوقت معها سهام وريهام .. كانتا طفلتين صغيرتين .

ووجدت فريال نفسها فى الشارع هى وطفلتيها .. وقد طلقها زوجها .. ظنا منه أن ذلك سوف يحرك فى عبد الفتاح ضميره .. وهو لايعلم أنه قد فقد ضميره للأبد ..

وهنا قام صلاح ..والدكما - لا حرمنا الله منه - وأحضرها هى وطفلتيها إلى منزلنا لتقيم معنا .. وقف بجانبها وشد من أزرها.. وقال لها : - أرجو أن تعتبرى نفسك فى منزلك .. وألا تفكرى فى شيء إلا فى صحتك وفى طفلتيك ..

ومكثت فريال عندنا ما يقرب من ستة شهور ..

وأظنك يا سامح تتذكر هذه الأيام .. وتتذكرها وهى مقيمة معنا هنا هى وطفلتيها .. ؟

- نعم يا " مامى " .. أتذكر هذه الأيام جيدا .. وأتذكر فعلا .. أنها كانت عندنا بسبب خلاف بينها وبين زوجها " أنكل " حسام .. ولكنى لم أكن أعرف بالضبط ما سبب هذا الخلاف ..

وأتذكر أيضا سهام وريهام أثناء وجودهما عندنا وهما طفلتان .. وقد كنت أداعبهما كثيرا .. وكانتا غاية فى الشقاوة وكثيرا ما كان يحدث بينى وبينهما مشاكسات وخناقات .

وتكمل الأم حديثها قائلة :

- بعد مضى حوالى ستة شهور .. عاد حسام إلى عقله .. خصوصا بعد أن وجد أنه لا فائدة مما فعله .. وأن عبد الفتاح لن يحرك ساكنا حتى لو طلقنا نحن البنات الثلاثة .. وألقى بنا أزواجنا فى الشارع ..

لقد هان عليه شقيقه الوحيد .. وألقاه بنفسه فى الشارع .. فهل يهمه شيء بعد ذلك ؟

عندما وجد حسام أنه لا فائده مما فعله .. جذبه الحنين إلى طفلتيه..فحضر واسترد زوجته وطفلتيه .. واعتذر عما بدر منه.. وعاد بهن إلى منزله . وأخذت القضية مجراها .. وظلت بالمحاكم ما يقرب من خمس سنوات وانتهت فى غير صالحهم .. ولم يستطيعوا استرداد أى شئ من حقوقهم نظرا لعدم وجود ما يثبت تلاعب عبد الفتاح ...

وتقول الأم مستطردة أيضا :

- أما والد كما - أطال الله عمره - فقد استعوض الله فى كل شيء من أول يوم .. ولم يشغل نفسه بقضية خاسرة .. وقال لى :

- أنت عندى بالدنيا كلها يا ألفت .. حتى لو خسرت ألف فدان .. كلها لا تساوى ظفرا من أظافرك



وتصمت الأم برهة .. ثم تعود لتقول .. وهى تلقى بنظراتها إلى أسفل .. مسدلة جفنيها فى حزن وأسي بالغين .. وكأنها تسدل الستار على مسرح الأحداث المؤلمة التى مرت بعائلتها نتيجة لجشع شقيقها الأكبر .. والتى انتهت إلى التفكك الموجود حاليا بأسرتها :

– لقد أصبح كل شىء الآن كما تريان فى طى النسيان .. ونحن جميعا نحاول أن ننسى .. ولكن .. بالنسبة لخالكما فتحى .. لم ولن ينتهى الأمر .. ولن ينسى شيئا مما حدث.. وسيظل هذا الموضوع ملازما له طوال عمره .. مخضبا ببصماته كل شىء فى حياته .. فقرا وشقاء .. بعد أن تعود على حياة الترف .. حياة القصور والخدم .. وركوب السيارات الملاكى الفارهة ..

إن أحدا كما سبق أن قلت .. لم يعان من ذلك كله إلا فتحى .. إنه إنسان طيب جدا .. ولولا طيبته ودماثة خلقه .. لما استطاع عبد الفتاح أن يفعل معه ذلك .. لقد كان طول عمره يحترم شقيقه الأكبر .. ولم أتذكر أنه خالف له أمرا فى يوم من الأيام .. ولولا أنه يتسم بهذه الصفات .. لما استطاع عبد الفتاح أن ينهب حقوقه بمثل هذه الصورة البشعة ..

وتستطرد الأم قائلة :

– ومنذ ذلك الحين .. وأنا أحب شقيقى فتحى حبا جما .. وأعطف عليه عطفا حانيا .. مقدرة ظروفه القاسية هذه .. وأحب أولاده جدا..

لقد تفتحت عيناه على حياة كلها ترف وثراء .. ولم يتعود على حياة الكفاف والمهانة والفاقة .. ولكنه هان على شقيقه .. ألقى به فى الشارع .. فى عرض الطريق .. دون ضمير يؤنبه أو يحاسبه عما فعل .. ولكن الله سبحانه لن يسامحه .. إن الله سبحانه وتعالى يقف له بالمرصاد .

وترد رانيا قائلة :

– كيف يا مامي ؟

– إنه الآن فى حاله يرثى لها .. سمعنا أن أولاده الأربعه فاشلون فى دراستهم .. وأخلاقهم فاسدة إلى أقصى حد .. ورغم أن علاقتنا به مقطوعة تماما الأن إلا أن أخباره تأتينا دائما من أقاربنا الذين هم على اتصال به .. يقولون إن الابن الأكبر صفوت فشل فى الثانوية العامة .. استنفد مرات الرسوب ولم يعد لديه مقدرة على استيعاب الدروس وبقى فى البلدة مع والده لمساعدته فى

زراعة الأرض .. وفى الحقيقة إنه لا يشغل نفسه بالأرض إطلاقا .. ولا يعرف شيئا عن الزراعة .. وقد انساق وراء ملذاته واندمج مع شلة من أصدقاء السوء وينفق عليهم ببذخ .. ودائما يصحبهم معه إلى القاهرة لقضاء الليالى الحمراء فى كبارايهاتها .. وهناك إشاعات تتردد بأنه باع جزءا كبيرا من أرضهم دون علم شقيقى عبد الفتاح .

أما ابناه الثانى والثالث .. حشمت وبهجت ، فهما يعيشان هنا فى القاهرة فى شقة استأجرها لهما والدهما حيث يدرسان فى الجامعة .. حشمت كان طالبا فى كلية التجارة .. إلا أنه رسب فى السنة الأولى ثلاث سنوات واستنفد مرات الرسوب .. وانتقل من كلية التجارة الى معهد الخدمة الاجتماعية .. أما بهجت فهو طالب في السنة الثانية بكلية الحقوق .. أما الابن الرابع شوكت أصغرهم فهو فى الشهادة الإعدادية ويعيش مع والده فى بلدتهم .

كما ان عبد الفتاح شخصيا أصبح مريضا الآن ويعانى من أمراض كثيرة .. وينفق أموالا طائلة على الأطباء والأدوية ..إلى جانب نفقات أولاده التى يصرفونها ببذخ على الراقصات والكباريهات والتى ليس لها حساب .. لدرجة أنه أصبح الآن غير قادر على كل هذه المصاريف .. وانتهى به الأمر الى بيع أجزاء كبيرة جدا من الأرض .. مما جعل حالته المادية تسير الآن من سيئ إلى أسوأ .

ثم تقول الأم وهى تبتهل إلى الله :

– ربنا يا أولادى يكفينا شر الجشع .. هذه هى نهايته الحتمية .

ويتساءل سامح :

– ألم يحدث طوال هذه السنوات يا أمى .. أن تقابلت معه بالمصادفة فى أى مكان . أو حتى رأيته عن بعد ؟

– حدث مرات قليلة جدا .. فى المناسبات التى تحدث فى محيط العائلة . . كان آخرها منذ أيام فى مأتم عمى كمال .. رأيته عن بعد.. فى حالة يرثى لها . تغير كثيرا .. بصمات المرض مخضبة كل جزء من كيانه . شكله أصبح هزيلا .. مظهره العام أصبح مؤلما لدرجة المسكنة .. وكأن الله قد سلط عليه المرض إلى جانب سلوك أولاده الشائن انتقاما منه وحسابا له .. لما فعله بنا وبخالكما فتحى .

وتتابع الأم حديثها قائله :

– أما فتحى فرغم ماحدث له .. فهو كما تريان .. بعد طول هذه المدة .. وبعد مرور هذه السنين .. قد فوض أمره إلى الله .. وتأقلم

على حياته هذه .. يعيش مع زوجته وأولاده الأربعة .. نسرين وإيهاب وسلوى .. وسهير .. الذين أنجبهم جميعا بعد خروجه من العزبة .. وهو كعادته دائما يحمد الله على عطائه غير طامع فى شىء إلا الستر وتربية أولاده أحسن تربية حتى يعوضه الله مافاته وما فقده هو فى حياته ..

وفى الحقيقة أولاده جميعا مثله يتمتعون بدماثة الخلق .. كلهم متفوقون فى دراساتهم .. كذلك زوجته مرفت .. ابنة ناس كرام .. ومن عائلة محترمة .. عاشت معه على الخير والشر ..وشاركته كل آلامه .. لم تفكر فى تركه لحظة واحدة .. قاسمته حياته .. ورضيت لنفسها أن تعيش معه حياته المتواضعة بعد خروجه هائما على وجهه من قصرنا ..

أما فتحى فكما تريان .. يأتى لزيارتنا هنا من آن لآخر .. وكثيرا ما يمكث عندنا فى مصر عدة أيام .. أو يمضى أجازة له ليروح عن نفسه فيها .. وعندما يزورني هنا يقول لى :

– والله يا ألفت .. يا أختى أنا عندما أزورك وأمكث معك فى منزلك أشعر بالراحة وكأن هموم الدنيا قد أزيحت عن كاهلى ..

وهو أيضا .. وكما تريان .. يفضل أن يأتى إلينا هنا بمفرده دون أن يحضر زوجته معه أو أحدا من أولاده .. أولا .. لأنه يجد فى ذلك راحة نفسية لمجرد وجوده بمفرده وحيدا بعيدا عن مسئولياته تجاه أسرته .. وثانيا .. حتى لا يكبد نفسه مصاريف سفر لا طاقة له بها .

وكثيرا ما أطلب منه أن يحضر معه مرفت زوجته أو ابنته نسرين .. ولكنه دائما يقول لى :

– أنت يا ألفت تعرفين جيدا حالتى المادية .. وأنا الآن أدخر كل قرش من أجل مصاريفهم عند دخولهم الجامعات .

كما أننا لا نذهب إليه فى المنصورة إلا فى المناسبات سواء كانت سعيدة أو عند وجود حالة وفاة فى العائلة مثل آخر زيارة كنا عنده فيها والتى كانت بمناسبة وفاة عمى كمال .. ونحن أيضا تعودنا ألا نأخذ أحدا منكما معنا .. نظرا لضيق شقته .. ومراعاة لظروفه المادية أيضا .. رغم أنه كثيرا ما يشدد علينا لزيارته .. وأنتما بصحبتنا ، لقضاء بضعة أيام عنده فى المنصورة .. ولكننا لا نرى داعيا لذلك .. حتى لا نرهقه بزيارتنا .. لأنه كريم جدا فى منزله يا سامح وأثناء وجودنا عنده لا تتصور مدى الكرم وما يفعله من أجلنا .. حتى ولو كلفه الأمر إنفاق آخر قرش فى جيبه

للحفاوة بنا .. وهو لا يكاد يصدق نفسه أننا عنده فى منزله وفى زيارته ..
ثم تستطرد :
= لذلك فأنا أحبه جدا جدا يا رانيا .. وأحب أولاده .. ودائما أشعر بالتعاطف معه وأتمنى وأطلب من الله أن يعوضه خيرا فى أولاده.. ويعطيه الصحة وطول البقاء وحتى يراهم فى أحسن المناصب .
ثم تصمت الأم برهة .. وتسرح ببصرها .. وهى ساهمة واجمة .. شاردة الفكر . عيناها مركزتان على لا شىء .. وتبدو مهمومة البال .. لمجرد سردها لهذه القصة الأليمة التى أعادتها للوراء ما يقرب من ١٨عاما .. ورغم ذلك وجدت نفسها تعيش أحداثها وكأنها كانت بالأمس القريب فقط .. وتفيق الأم من شرودها مسرعة لتستعيد نفسها .. وكأنها تحاول أن تسدل الستار على رواية « ميلودراميه » تدور أحداثها على مسرح أسرتها قائلة لابنها وابنتها :
– هذه هى القصة من أولها إلى أخرها .. قصصتها عليكما .. لتكونا على علم بكل ما حدث ..
وترد رانيا فى تأثر شديد :
– تعرفى يا" مامى " أنا فعلا .. الآن فقط .. أصبحت أشعر بتعاطف شديد نحو خالى فتحى .. وشعرت بأننى أحب نسرين جدا من الآن وقبل أن أراها ..
ويعلق سامح بكلمات مقتضبة :
– للأسف .. الجشع لا ينفع أحدا .. ولا أظن أن خالى عبد الفتاح يبيت الآن لياليه مرتاح الضمير .. وإذا لم يكن الآن .. فسيأتى حتما اليوم الذى يستيقظ فيه ضميره ويندم على ما فعله .. ولكن للأسف .. سيكون ذلك .. بعد فوات الأوان .

(٣)

و فى ظهر نفس اليوم .. الجمعة .. تصل نسرين لتبدأ دراستها الجامعية فى اليوم التالى لوصولها مع بداية العام الدراسى الجديد وبصحبتها شاب بسيط المظهر .. طويل القامة .. خمرى اللون .. شديد الحياء .. فى حوالى الخامسة والعشرين من عمره .. يحمل لها حقيبة ملابسها .. ويوصلها إلى فيلا عمتها .. وينصرف فى الحال وهو يصافحها قائلا :

– سأكون عندك غدا فى الصباح الباكر فى الموعد .. إن شاء الله .. يا آنسه نسرين .

– أشكرك جدا يا محمود .. مع السلامة .

وتتقدم العمة ألفت من نسرين لتستقبلها بحرارة وتضمها إلى صدرها .. ثم تقدمها إلى رانيا .. وإلى ابنها سامح .. اللذين يشدان على يدها مصافحين إياها ..

وتأخذ الشغالة الحقيبة لتضعها فى حجرة نومها .

وتبدو نسرين فى الثامنة عشرة من عمرها .. فتاة جميلة .. نحيفة فارعة القوام .. بشرتها بيضاء ناصعة تشوبها حمرة .. لها وجنتان ورديتان .. عيناها واسعتان عسليتان .. شعرها بنى اللون طويل .. ينسدل بإهمال على كتفيها .. ترتدى ثيابا بسيطة جدا .. يبدو شكلها العام غير أنيق .. وتتحدث بلهجة أقرب إلى الريفية منها إلى المدنية ورغم ذلك يبدو رقيقة مهذبة . سألتها عمتها عن الشخص الذى صاحبها إلى فيلتهم :

قالت نسرين :

– إنه محمود ابن شخص زميل لوالدى فى العمل . وهو يعمل فى القاهرة بمؤهل متوسط .. وصادف أن كان بالمنصوره فى إجازة من عملة .. وعائدا إلى القاهرة .. فى نفس يوم حضورى .. فسر والدى لذلك كثيرا .. لأنه كان يبحث عن أحد يعرفه مسافر إلى القاهزة كى أسافر معه .. ويوصلنى إلى هنا .. حتى يطمئن على سلامة وصولى .. إذ إنه مشغول الآن وليس لديه وقت كى يصطحبنى بنفسه .. خصوصا أن هذه أول مره أسافر فيها .. وقد طلب منه والدى أيضا أن يحضر إلى هنا غدا إن شاء الله كى يوصلنى إلى الكلية .. ويرشدنى إلى طريقها ومواصلاتها ..

قالت لها عمتها :

- لماذا يا نسرين .. وسامح .. وعمك صلاح كان من الممكن أن يقومابهذه المهمة ؟

- لا تشغلى بالك يا عمتى .. بابا رأى ألا يتعبكم معى وفضل أن يجنبكم هذه المشقة - (عزيزتى .. ألا تعلمين أنك عندنا فى منزلة رانيا بالضبط ..

- شكرا يا عمتى .. على العموم محمود إنسان طيب .. ومهذب .. وأبدى استعدادا حسنا للقيام بهذه المهمة فى الصباح الباكر إن شاء الله .. وحتى أعرف طريقى إلى الكلية .

وتسأل العمة :

- وكيف حال شقيقى فتحى . وحال صحته .. وكذلك والدتك .. وإخوتك : إيهاب .. وسلوى .. وسهير ؟

- كلهم بخير يا عمتى .. ويرسلون لك ولعمى صلا ح كثير السلام.

وفى هذه الأثناء يصل زوج العمة صلاح فيصافح نسرين بحرارة.. مرحبا بها قائلا لها :

-أرجو يا نسرين يا ابنتى أن تشعرى هنا بيننا بالراحة والاطمئنان .،. ونحن هنا جميعا فى خدمتك وتحت أمرك فى أى شىء .. وأنت هنا بيننا مثل سامح ورانيا بالضبط .. وأرجو أن تعتبريهما أخوين لك .. كذلك أرجو أن تعتبرى نفسك فى منزلك.

- متشكرة يا عمى . طبعا أنا أعرف ذلك جيدا .. بابا أيضا تحدث معى كثيرا عن طيبة حضرتك .. وحبه لك ..

وتصحب رانيا نسرين إلى حجرتها .. وتريها سريرها ودولابها .. وهى تقول لها :

- سوف تكونين سعيدة جدا معنا هنا يا نسرين .

- متشكرة جدا .. يارانيا . . أنا متأكدة من ذلك جيدا .

ثم تسأل نسرين رانيا :

- وأنت يا رانيا فى أى سنة دراسية بالمدرسة الآن ؟

- أنا فى الإعداديه هذا العام ..

وترتدى نسرين قميص النوم .. وتظل به طوال اليوم بالمنزل .. وتسأل العمة ألفت " هانم " نفسها ، هل توجه ابنة أخيها .. إلى أن قميص النوم لا يجب أن ترتديه إلاعند النوم فقط .. أما فيما عدا ذلك .. فيجب ألا تجلس بالمنزل إلا بالفستان ؟

ولكن العمة تتراجع خوفا من جرح شعور ابنة أخيها التى تعرف



عنها جيدا أنها حساسة جدا .. وأقنعت العمة نفسها .. بأن ذلك يمكن أن يأتى وحده بمرور الأيام وباختلاطها بهم .

***

وفى صباح اليوم التالى .. السبت .. تستيقظ الأسرة مبكرا .. وينصرف الجميع كل إلى عمله : الوالد صلاح"بك " يذهب إلى الشركة التى يعمل رئيسا لها .. والابن سامح .. ويعمل سكرتيرا ثالثا بالسلك الدبلوماسى بوزارة الخارجية .. وتذهب رانيا إلى مدرستها ..

وترتدى نسرين ملابسها .. وتجلس فى انتظار محمود لاصطحابها إلى كليتها . ويأتى محمود .. وتخرج معه .. ويصادف خروجهما نفس اللحظة التى يخرج فيها سامح ابن عمتها بسيارته الصغيرة من الجراج للذهاب إلى عمله .. ويقابلهما سامح عند الباب الخارجى وهو فى سيارته .. وينظر إليها سامح فى تعال دون أن يكلمهما كلمة واحدة أو حتى يقول لهما صباح الخير .. أو يعرض على نسرين أن يوصلها بالسيارة حتى إلى محطة الأتوبيس ..

وتشعر نسرين أن كرامتها قد جرحت .. وأنها أهينت .. وحز فى نفسها أن يعاملها ابن عمتها الذى تعتبره أخا لها بهذه الصورة .. وصممت على أن تتجاهله هى بدورها .. وأن تعامله بالمثل .. وعلى محطة الأتوبيس .. وفى الطريق إلى الجامعه .. ظل محمود يشرح لها معالم الطريق .. وأسماء الشوارع التى يمر بها الأتوبيس .. وكأنه مرشد سياحى .. هذا ميدان التحرير . وهذان هما أسدا قصر النيل .. وكوبرى قصر النيل .. وهذا كوبرى الجلاء .. وذلك فندق شيراتون .. وهو الفندق الذى اغتيل أمامه وصفى التل رئيس وزراء الأردن فى فبراير عام ١٩٧١بعد مذبحة أيلول الأسود بالأردن هل تتذكرينها ؟.. قتله الفلسطينيون .

وهكذا ظل محمود يشرح ويشرح .. ولكن نسرين لم تكن معه .. ظلت ساهمة واجمة .. تفكر فيما بدر من ابن عمتها .. أحست بأنه جرح كبرياءها جرحا من الصعب أن يلتئم .. أهان كرامتها .. تجاهلها بدون مبرر .. حتى مجرد كلمة صباح الخير ..

لذلك قررت بينها وبين نفسها أن تعامله بالمثل .. وأن ترد له الصاع صاعين ، فهو ليس أحسن منها ..

وظلت نسرين تحدث نفسها فى صمت ..

يكفينى حب عمتى لى .. وكذلك رانيا وعمى صلاح ... أما هو .. فلن أعيره أى إلتفات .. وسأعامله وأتعامل معه بنفس أسلوبه ..
وفى نفس الوقت يواصل محمود شرح معالم الطريق لها رغم أنها لم تكن معه ..
- وهذا هو شارع الجيزة ..
ثم تنتبه لمحمود وهو يقول لها :
وهذه هى محطة الجامعة التى سوف ننزل فيها .. وها هى ذى الجامعة .. هل تعرفت على الطريق ؟
وتهز نسرين رأسها بالإيجاب ..
ويصحبها محمود إلى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ثم يصافحها مودعا .. وهو يعرض عليها أن يحضر بعد خروجه من عمله ليصحبها إلى المنزل .
ولكنها تشكره وتصمم أن تعود بمفردها .. حيث إن الطريق أصبح سهلا عليها الآن .. بعد أن عرفت رقم الأتوبيس الذى سوف تعود به .. خصوصا أنها لم تكن تعرف جدول المحاضرات بعد وكذلك موعد انتهائها من الكلية .. وهنا أعطاها محمود رقم تليفونه بالعمل .. حتى يمكن أن تطلبه فى أى وقت تحتاج إليه .. أو تريد منه أى خدمة .. قائلا لها : إن والدها قد أوصاه بذلك ..
فتكرر نسرين شكرها له .. وتتركه لتدخل الكلية
ذهب المهندس صلاح البندارى إلى عمله بالشركة مبكرا كما هى العادة .. لكنه فى هذا اليوم بالذات لديه اجتماع هام .. سوف يقوم بمناقشة موضوع توسعات الشركة وإنشاء مصنع للتركيبات الهندسية والألوميتال والستائر المعدنية والإعلان عنه فى الجرائد فى مناقصة عالمية. وعلى مائدة الاجتماع ثارت مناقشات جادة حول الجدوى الاقتصادية للمشروع وأهميته بالنسبه للشركة وكيف أنه سيكون دعامة كبيرة للاقتصاد المصرى .. وطالب المهندس صلاح البندارى بأن تكون مواصفات الأجهزة والتركيبات على مستوى عالمى ..وتدرس المناقصات جيدا حتى تحصل الشركة على أحسنها وأقلها تكلفة .
وأعلن عن المناقصة .. وتقدمت عدة شركات للمشروع منها ، شركة فرنسيه ، و أخرى ألمانية ، ويابانية ، وسويسرية . . وكانت المنافسة بين الشركتين : الألمانية والفرنسية .. إلا أن الشركة الفرنسية كانت تمتاز كثيرا فى بعض البنود وإمدادات المشروع بالتكنولوجيا المتقدمة .



واتفق المهندس صلاح مع الدكتور خطاب عبد المنعم مدير عام الشركة أن يدرس جيدا شروط الشركتين لمعرفة أيهما افضل ويقوم بعمل تقرير بذلك وتقديمه له .
وعلم صدقى عبد التواب وكيل الشركة الألمانية في القاهرة بذلك فسارع بمقابلة الدكتور خطاب قائلا له :
- لدى تعليمات من الشركة الألمانية بضرورة الحصول على امتياز عطاء هذا المشروع مهما كلفهم ذلكم من أمر .. إنه موضوع حيوى جدا بالنسبة لهم ..
لمعت عينا الدكتور خطاب وقال له :
- وما هو المطلوب منا ؟
قال وكيل الشركة :
-أن تساعدنى لتحقيق رغبتهم ولك ما تريد .
- لست أفهم .. كلمنى بوضوح أكثر .. ماهو المقصود بأن لى ما أريد ؟! أريد أن تكون صريحا معى ولك أنت أيضا ما تريد .
- رصدت الشركه التى أمثلها مبالغ ضخمة لى ولمن يساعدنى هنا فى الشركة لإرساء المناقصة عليها ..
قال الدكتور خطاب :
- كم تبلغ هذه المبالغ ؟
- أكثر من مليون مارك ألمانى .
لمعت عينا الدكتور خطاب .. ووضع يده على الجرس لاستدعاء ساعى مكتبه .. لقد وجد أن الجلسة سوف تمتد .. وأن هناك الكثير سوف يقال .
دخل الساعى فقال له : اثنين قهوة بسرعة .. وأغلق الباب .. ثم جرس آخر يستدعى سكرتيره الخاص ..
- أنا مشغول وممنوع دخول أحد الآن حتى انتهى من هذا الاجتماع.
- حاضر يا افندم .
ويحضر بعض الموظفين ويمنعهم السكرتير من الدخول لوجود اجتماع مهم مع المدير العام .. ويحضر الساعى القهوة .. والحديث يتتابع بالمفاجآت التى تجد صدى عظيما فى نفس الدكتور خطاب.
قال صدقى عبد التواب وكيل الشركة الألمانية فى القاهرة :
- إذا وافقت أبلغ إدارة الشركة فى ألمانيا ولك ماتريد ..
يصمت الدكتور خطاب برهة .. ثم يقول :



– ولكن يوجد معى فريق عمل ولابد من جس نبضهم حتى يوافقوا معى لأن منهم من يؤيد الشركة الفرنسية لأنه لا أخفى عليك بها بنود أفضل بكثير من عطاء شركتكم .
– ليس لدى مانع ، فعندك الوقت الكافى كى تتفاهم معهم وتبلغنى بما وصلت إليه .
– نعم .. ولكن فى هذه الحالة لابد أن هذه المبالغ سوف توزع علينا جميعا وليس لى وحدى ولابد أن تدفع شركتك لكل منا وأرى أن المليون مارك ليست كافية .
– سوف أتصل بالشركه فى ألمانيا .. شركة " فردرش هوفمان " وأخبرهم بذلك .. ولكن لاتنسى أن الشركة وعدتنا بأنها سوف تقدم لكم خدمات وامتيازات كثيرة منها ..منحكم وظائف بمرتبات خيالية فى بعض شركات الاستثمار التى تساهم فيها الشركة الألمانية فى مصر وتعيين أبنائكم فيها أيضا .. إلى جانب حصولهم على منح للدراسة فى ألمانيا .. وكذلك العمل على سفركم إلى ألمانيا وغير ذلك من الامتيازات .. ومع ذلك أعدك بأننى سوف أعمل على زياده المبلغ .. فقط مهد الطريق مع زملائك وبلغنى بما وصلت إليه .
يرد الدكتور خطاب :
– إذا كان الأمر كذلك فسوف أبذل قصارى جهدى ..
يرد صدقى عبد التواب مندوب الشركة الألمانية :
– سوف أقوم باتصالاتى مع الشركه فورا حتى تعمل على تنفيذ رغباتكم .. وسأكون على اتصال دائم بك حتى أعرف ما توصلت إليه مع زملائك .
– وهو كذلك .
– اتفقنا ؟
– اتفقنا ..
– سلام .
وترك صدقى الوكيل التجارى للشركة الألمانية الدكتور خطاب على وعد أن يقوم كل منهما بعمل اتصالاته ومشاوراته مع باقى الأطراف حتى يتفقا فيما بعد على كل التفاصيل والتنفيذ الفورى لإتمام باقى الصفقة وتوقيع عقد المشروع بين الشركتين .

فى الكليـة .. تجد نسرين نفسها تائهة وسط هدير الطلبة والطالبات .. بنوعياتهم المختلفة وملابسهم التى تبدو كأنها عرض أزياء .. أو بتعبير أدق أشبه بكرنفال فى مهرجان كبير ..
كانت نسرين تستعرض كل ذلك .. وكلمات والديها مازالت ترن فى أذنيها :
– يا ابنتى نحن لسنا مثل بنات القاهرة .. ولا أخلاقياتنا مثل أخلاق بنات القاهرة ..
خدى بالك من نفسك يا نسرين .. خليك حذرة .. الاختلاط في الجامعات إذا زاد عن حده .. يضر بسمعة البنت .. لابد أن تكون هناك حدود .. نحن لنا أخلاقياتنا وتقاليدنا .. عزيزتي .. بنات القاهرة خرجن عن الحدود باسم الزمالة والحرية .
كل هذه الكلمات التي سمعتها من كل من والديها قبل حضورها إلي مصر مباشرة .. أخذت ترن في أذنها وكأنها تسمعها لتوها ..
أمـا هي .. نسرين التي عاشت طوال عمرها الفتاة المثالية الوديعة.. المطيعة لكل أوامر والديها .. فتعرف طريقها جيدا ..
لقد نشأت وترعرت في بيئة دينية محافظة .. بيئة من أصل ريفي تعيش بأخلاقيات القرية ..
وأمضت نسرين يومها الأول بالكلية في حالة تأمل وانبهار بكل ما تراه من حولها .. تتلفت يمينا ويساراً في حذر .
ومنذ اليوم الأول .. رسمت نسرين لنفسها الطريق الذي تسير عليه وسط زميلاتها .. وزملائها
أن تكون علاقتها بهم جميعا في حدود الزمالة والدراسة فقط .. لن تسمح لنفسها بأكثر من ذلك .. وسوف تبحث لنفسها عن زميلة تماثلها في أخلاقها .. تزاملها وتقطع معها رحلة الدراسة بالكلية حتي النهاية ..
حضرت نسرين المحاضرات .. ونقلت جدول المحاضرات والسكاشن وتعرفت علي بعض الزميلات .. وبعد الانتهاء من اليوم الدراسي بالكلية .. خرجت نسرين إلى محطه الأتوبيس .. وفى صحبتها إحدى زميلاتها التي ركبت معها نفس الأتوبيس في طريق العودة إلي المنزل .
عادت نسرين إلي فيلا عمتها بعد يوم دراسي طويل وهي مشدوهة بما رأت وسمعت بالجامعة ..

أحست أنها مقبلة علي حياة جديدة مختلفة عن حياتها السابقة بالمنصورة .. سواء كان ذلك فى منزل عمتها أو في الكلية ..
وتستقبلها عمتها سعيدة مبتسمة وتقبلها قائلة :
- أهلا نسرين .
- أهلا تانت ..
- كيف الحال بالكلية ؟
- الكلية يا تانت .. والمحاضرات ظريفة جداً .. لكني وجدت نفسي كما لو كنت وسط كرنفال أزياء .. كل شيء غريب .. وجديد بالنسبه لي .. إنني أجد نفسي مقبلة على حياة جديدة .. قفزة كبيرة يا عمتي .. هناك فرق كبير بين الكلية والمدرسة .. وفى طريقة الدراسة أيضا .
وترد عليها عمتها :
- كلها كام يوم يا حبيبتي .. وببساطة ستجدين نفسك قد تأقلمت على كل ذلك .. واحدة .. واحدة .
وتبتسم نسرين وهى تقول :
- إن شاء الله يا عمتى بالنسبة لي اطمئنى خالص .. ولا تخافي علي أبدا .
ثم تقول لها عمتها :
- وكمان يا ستي أنا عندي مفاجأة لك سوف تسرين لها كثيرا .
- خيرا يا عمتي .. أرجوك قولي لي بسرعة .
-سوف أقيم حفلاً مساء اليوم .. حفلاً صغيراً فى حدود الأهل والأصدقاء المقربين كي أعرفهم بك .. أيضا لأن عمتك سامية وفريال وأولادهما يحبون أن يتعرفوا عليك وتعرفيهم .. ستحبينهم جدا .. وأيضا باقى العائلة في القاهرة يريدون أن يتعرفوا علي ابنة فتحي لأنهم يحبون فتحي أخي جدا ويتعاطفون معه كثيرا بعد ما فعله عبد الفتاح معه .. و يشوفوا نسرين بعدما كلمتهم عنك كثيرا وعن جمالك وأخلاقك .
- متشكرة جدا يا عمتي .. حضرتك دائما تعملين علي رفع معنوياتي بمجاملاتك الرقيقة هذه وكلامك الظريف عني .
- أبدا يا نسرين أنا لا أقول إلا الحقيقة .
وأثناء تبادل هذا الحديث بين نسرين وعمتها .. وبينما هما جالستان في صالون مدخل الفيلا .. يدق جرس التليفون .
وتهم نسرين لترفع السماعة .. فتفاجأ بسامح وهو يندفع من الداخل نحو التليفون .. قائلا لها بصوت مرتفع :

- لا ترفعي السماعة .

ويأخذها منها بسرعة وبطريقة فيها نوع من الحدة اللا شعورية .. وذلك بدافع حرصه علي ألا يرفع سماعة التليفون أحد غيره .. ويرد علي التليفون .. ويتحدث بصوت منخفض هامس .. ثم يأخذه ويدخل به إلي الحجرة المجاورة ليكمل حديثه .

وتشعر نسرين للمرة الثانية وفي يوم واحد بالإهانة والضيق من تصرفات ابن عمتها .. وبأنه لا يراعي شعورها اطلاقا .. وأن صلة القرابة ليس لها أى حساب في نظره .. فهو يعاملها كأنها إنسانة غريبة أو دخيلة عليهم بالمنزل .

وشعرت نسرين بالضيق الشديد .. وحتي تخفي ما ينتابها عن عمتها .. انسحبت في هدوء وصعدت إلي حجرتها ووضعت نفسها في سريرها .

في المساء تحضر العائلة إلي منزل عمة نسرين لحضور حفل التعارف الذى أقامته ألفت هانم كي تقدم نسرين لأقاربها وقريباتها .

وكانت رانيا قد اصطحبت نسرين الي الكوافير فقام بتصفيف شعرها مع شده الي الخلف في « شينيون » جميل يحيط به ورده تزيد نسرين جمالا علي جمالها .. إلا أن الثوب الذي ارتدته نسرين كان لا يتناسب مع جمالها أو مع مستوي أناقة قريباتها اللاتى حضرن الحفل للتعرف عليها .. ومع ذلك فقد تفوقت عليهن بجمالها الأخاذ .. ودماثة خلقها ورشاقتها .

أما سامح فقد تعمد ألا يحضر الحفل فالمناسبة لا تهمه من قريب أو بعيد .. وخرج قبل موعد الحفل .. وسألته والدته قبل خروجه :

- لماذا تخرج الآن يا سامح وأنت تعرف أن لدينا حفلاً وضيوفاً اليوم جاءوا كي يتعرفوا علي ابنة خالك ؟

نظر سامح الي والدته في دهشة وهو يتجه نحو باب المنزل ويقول :

- سيحضرون للتعرف علي ابنة خالي وليس علي أنا ! ثم تركها وخرج .

كان اللقاء حارا بين سامية وفريال شقيقتي ألفت هانم ونسرين ابنة أخيهما فهما عمتيها اللتان كانتا في شوق شديد لرؤيتها .. كذلك الحال مع كل الحضور .. وقد امتدح زوج عمتها جمالها .. قال لها المهندس سعد بركات زوج خالتها ساميه " وهو مهندس ومقاول لديه مكتب وشركة مقاولات " :

- انت يا نسرين في جمال نجوم هوليود .
وعلق إبنه فخر أي إبن عمة نسرين وهو محام ناجح وله مكتب محاماة خاص به ، متزوج وله طفلان صغيران وكانت تصحبه زوجته .. قال :
- بل أجمل منهن .
أما علياء ابنة عمتها ساميه أيضا وشقيقة فخر .. فقد شعرت بحب نسرين وأخوة حميمة نحوها منذ اللحظة الأولي للقاء .. وتوطدت بينهما صداقة حميمة .
أما ابنتا عمتها فريال ريهام وسهام .. فقد انبهرتا بجمالها مما أثار نوعا من الحقد في نفسيتهما تجاهها .. وأخذتا منذ اللحظة الأولي توجهان لها كلاما غير مباشر وتلسعانها بتعليقاتهما من منطلق غيرة اشتعلت داخل كل منهما .
قالت لها ريهام :
- لازم فستانك هذا تفصيل المنصورة ؟!
وابتسمت شقيقتها سهام قائلة بتهكم :
- لا يا حبيبتي دا كريستيان ديور هو اللي مفصله .
وردت نسرين ببساطة شديدة وبعفوية مطلقة " فهي لم تكن تعرف بعد نفسيتهما " وقد اعتقدت انهما فعلا معجبتان بفستانها :
- فعلا أنا مفصلاه في المنصورة .. معندكوش فكره أد إيه احنا عندنا بالمنصورة خياطات ممتازات .
إلا أن علياء التى كانت تعرف أخلاقياتهما جيدا .. نظرت إليهما بضيق شديد .. وقد شعرت بأنهما يسخران من نسرين فردت عليهما قائلة :
- واضح أن نسرين إنسانه بسيطة .. وتحب البساطة في كل شيء حتي في ملبسها ..
إلا أن نظرات وتعليقات ريهام بالنسبة لنسرين لم تتوقف لاحظت الفت ذلك .. خصوصا وأنها تعرفهما جيدا ولا يعجبها كثيرا من تصرفاتهما .. وإنقاذا للموقف قالت :
- خياطة نسرين لم تنته بعد من حياكة فساتينها .. وشقيقي فتحي سوف يرسلهم لها بمجرد أن تنتهي الخياطة منهم .

***

تمر الأيام .. ونسرين منتظمة في دراستها .. وكل يوم يمر عليها بالقاهرة .. تزداد إشراقا ومرحا .. وهى حريصة كل الحرص علي

حضور المحاضرات في مواعيدها .. وكل يوم تتفتح عيناها علي الحياة أكثر فأكثر .. وتزداد ثقافتها يوما بعد يوم .
هناك شيء واحد كان يؤرقها ويسيطر علي تفكيرها .. لماذا كل هذا الجليد الكثيف الموجود بينها وبين سامح ابن عمتها ؟!
كيف يمكن إذابته ؟ .. وهي لا تطمع في أكثر من أن يعاملها معاملة الأخ لأخته .. خصوصا وأنها تعيش معه في منزل واحد .. وكثيرا ما تحتاج إلي مساعدته .. فهو خريج سياسة واقتصاد ، ودراسته مثل دراستها .
إن أكثر ما يحز في نفسها .. أنه لا يتعالي عليها فقط ولكنه ينظر إليها علي أنها إنسانة ليست من مستواهم ..ليست من بيئتهم .. بل من بيئة أقل .
دائما يتجاهل وجودها ..
وكثيرا ما تجلس العائلة .. مجتمعة .. فيتحدث سامح موجها كلامه إليهم جميعا .. والده ووالدته وشقيقته رانيا .. إلا هي .. لم يحدث في يوم ما أن أخطأ ووجه كلمه واحدة إليها .. وكأنها لم تكن جالسة بينهم علي الإطلاق ..
وفي أحد الأيام عرض زملاء وزميلات نسرين بالكلية عليها أن تذهب معهم إلي السينما حيث يوجد فيلم عالمي حائز علي الأوسكار .. ولابد من دخوله .
اعتذرت نسرين لزملائها وزميلاتها .. لأنها لم تتعود الذهاب إلي السينما .. إلا مع العائلة .
وعند عودتها إلي المنزل .. أخبرت عمتها برغبتها في دخول هذا الفيلم .. ورجتها أن تدخله معها هي ورانيا .. خصوصا أن اليوم آخر موعد لعرض الفيلم في السينما .
ولكن عمتها اعتذرت لشعورها بوعكة خفيفة ووعدتها أنه بمجرد أن يعود سامح من عمله سوف تجعله يصحبها هي ورانيا لمشاهده الفيلم .
وعاد سامح .. وبدر إلي سمع نسرين بعض من الحديث الذي يدور بينه وبين والدته – أنا يا مامي مشغول اليوم .. وظروفي لا تسمح بالذهاب إلي السينما
– علشان خاطري يا سامح .. ابنة خالك تريد أن تري هذا الفيلم .. وأنا متعبه قليلا .. كما أن والدك مشغول جدا هذه الأيام في اعداد ميزانية الشركة .

- وهل من الضروري أن تدخل نسرين السينما اليوم ؟ دعيها تؤجل الدخول ليوم آخر .. عندما تسمح ظروفكم بالذهاب معها ..
- اليوم آخر عرض للفيلم .. وهي تريد أن تراه كما أننا يا سامح مقصرون مع ابنة خالك في هذه الناحية .. لم نذهب معها إلي السينما منذ مدة طويلة .. أو نخرج معها في نزهة أبدا .
ويشعر سامح بأن والدته مصممة علي الذهاب إلي السينما مع نسرين وشقيقته رانيا .. وأنه لا مفر من ذلك .. فوافق علي مضض .. وهو يقول بضيق :
- والله أنا لا أعرف ماذا أقول لكم !
وتستعد نسرين للذهاب إلى السينما .. فتختار أجمل فستان عندها .. وتحرص علي أن تبدو جميلة أنيقة في صحبة ابن عمتها " المتعاظم " وحتى لا تكون أقل مستوى من صديقاته اللاتي يلهومعهن في كل مكان .. وحتي لا يشعر بالضيق من صحبته لها ..
وخرجت هي ورانيا من حجرتهما .. لتجد عمتها ومعها سامح فى انتظارهما . أرادت نسرين أن تتبسط معه .. أو تذيب بعضا من الجليد المتراكم خصوصا أنها سوف تخرج معه ..
قالت :
- شايف يا سامح .. رانيا قد إيه جميلة وفستانها جميل ؟
كانت متوقعة منه .. أن يرد بكلمة رقيقة مجاملة لها .. ولكنه رد ببرود :
- رانيا طول عمرها جميله وأنيقة ..
ويذهبون إلي السينما وسامح لا يغير شيئا من أسلوبه في معاملة نسرين .. نفس الطريقة .. حديثه كله مع شقيقته .. لم يحاول أن يتحدث مع نسرين .. وإذا تحدثت هى أو علقت علي شىء .. اكتفي بإيماءة فقط من رأسه .. أو يكاد لا يرد عليها .
وتخرج نسرين من السينما وهي تكظم غيظها وتشعر بالضيق الشديد من ابن عمتها .. وصممت علي ألا تخرج معه مرة ثانية بعد ذلك .. مهما كان الأمر
كان يتردد عليهم في الفيلا بنات عماتها من آن لآخر .. وهن في سنها تقريبا أو يكبرنها قليلا .
وكان يحز في نفسها أيضا أن سامح يعاملهن بطريقة تختلف كثيرا عن معاملته لها .. وكأنها ليست من نفس أسرتهم .. أو

ليست من مستواهم .. فهو بسيط معهن .. يمرح ويمزح .. بلا حدود.. ولا قيود ..
وهن منطلقات .. مدللات .. متحررات من كل القيود .. ويعبن علي نسرين تزمتها وتحفظها .. وضيق الدائرة التي تضع نفسها في نطاقها .
أما نسرين فهي تختلف عنهن في تفكيرها .. في أسلوب حياتها .. في فلسفتها للحياة .. في معاملتها للناس .. في سلوكها .. في تصرفاتها .. وهي مقتنعه كلية بأسلوبها هذا .
في أحد الأيام .. كانوا يجلسون جميعا ومعهم سامح .. قالت إحداهن وهي ريهام ابنة عمتها فريال :
– لماذا يا نسرين لا توافقين علي الاستحمام في حوض السباحة "البيسين" بالنادى؟
– إنني لا أحب الاستحمام بالمايوه في هذا المكان المحدود وسط هذ الجمع من الناس .. لأنني لم أتعود علي ذلك .
ضحكت ريهام .. وشاركها في الضحك باقي البنات الموجودات .
وعلقت سهام قائلة :
– يا ماكرة .. لابد أنك تخشين علي جسدك الناصع البياض من أشعة الشمس .. لابد أنك تخشين أن تتأثر بشرتك الجميلة ؟
وينطق سامح معلقا :
– لابد أنها تخشي من الحسد .. تخشى من أن يحسدها رواد النادى لجمالها وهي بالمايوه !
وتنظر نسرين إلي إبنة عمتها نظره كلها ضيق وتعجب ولم تفتح فاها بكلمة .. ولكنها قالت فى نفسها " تظل يا سامح صامتا ولا يخاطب لسانك لساني بكلمة واحدة .. وعندما تتكلم تنطق كفرا " .. أى كما المثل القائل : " سكت دهرا .. ونطق كفرا ".لقد شعرت بأن ابن عمتها وجه لها إهانة بالغة في صورة مداعبة سخيفة تتسم «بالجليطه » وقلة الذوق .. مداعبة سخيفة أحرجتها وجرحت شعورها .
وتشعر نسرين بالدم يتدفق في شرايينها .. يغلى كالبركان الثائر .. فتكظم غيظها .. وصممت علي أنها لابد أن تلقن ابن عمتها درسا في يوم من الأيام . خصوصا بعد أن تكررت إهاناته لها .. درسا سوف يعيه جيدا .. ولابد أن تصفعه صفعة يفيق علي

أثرها .. ليعرف من هي .. وكيف يعاملها ويتعامل معها .. وأيضا كيف يحسن الحديث إليها ..

في نفس الوقت كانت علياء ابنة سامية تحضر من وقت لأخر لزيارة نسرين ابنة خالها وقد توطدت الصداقه بينهما وأصبحت علياء صديقة حميمة لنسرين منذ اللحظة الأولي التي تعرف كل منهما علي الآخر .. وكانت نسرين ترتاح لعلياء .. مثلما الحال بالنسبة لعلياء ، أى أصبحت كل منهما ترتاح للأخرى .

بدأت نسرين تشكو إلي علياء من الطريقة التي يعاملها بها سامح وقالت لها :

- ألاتلاحظين يا علياء الطريقة المهينة التي يعاملني بها سامح ؟

- لاحظت بعض الشيء .

- أنا يا علياء لا أريد منه أى شيء أكثر من أن يعاملني علي أنني أخت له . أو يشعرني بأنني ابنة خاله وواحدة من الأسرة .. إنه يعاملني بكثير من التعالي .. الأمر الذى يجعلني أشعر بالضيق وجرح كرامتى .. إنه لا يحافظ علي شعوري إطلاقا .

ترد علياء قائلة :

- أنا أعرف سامح جيدا يا نسرين منذ طفولته .. لقد نشأ مدللاً إلي حد كبير الأمر الذى جعله دائما متعالياً والعجرفة هي خلقه .

- ولكني يا علياء لا أرضي لنفسي بذلك .. فليمارس عجرفته مع غيري .. فأنا أولا وقبل كل شيء ابنة خاله .. ولابد أن يفهم ذلك جيدا .. وسأجبره علي ذلك .. أنا ياعلياء كثيرا ما يعتريني الضيق من أسلوبه في معاملتي و أصمم علي أن أشكوه لتانت ألفت .. ولكني أعود ثانية وأقول .. ليس من الأخلاق بشيء أن أوقع بينه وبين والدته .. ولكن لابد وأن يكون هناك طريق آخر لإيقافه .. لست أنا التي يعاملني بمثل هذا الأسلوب .

وعلياء في السنة الثانية بالجامعة الأمريكية وقد فتحت قلبها لنسرين .. حدثتها عن حبها لزميل لها في الجامعة .. يتبادلان الحب منذ اليوم الأول لالتحاقهما بالجامعة .. ورغم ذلك توجد مشكلة تهدد حبهما وسعادتهما .. وهي أن زميلها كريم الذي يبادلها الحب يريد والده أن يزوجه من ابنة شريكه بمصنع البلاستيك الذي يمتلكانه .. ورغم أن علياء واثقة من حبه لها إلا

أنها تعلم جيدا أنه ضعيف أمام والده وتخشى على حبهما من سيطرة والده عليه ..

قالت لها نسرين :

- لا تخافي يا علياء .. فهذه السيطرة عادة ما تكون أثناء فترة الدراسة وأثناء حاجة الأبن لأبويه .. ولكن طالما يوجد بينكما هذا الحب القوى .. فسوف يجمعكما عش الزوجية بعد تخرجه من الجامعة بإذن الله بعد أن يصبح معتمدا علي نفسه بعيدا عن سيطرة والده .. ولن تستطيع أى قوة علي وجه الأرض أن تفرق بينكما .

-أرجو ذلك يا نسرين .. لأنني يخيل إليّ إذا فقدت كريم .. فستكون نهاية الدنيا بالنسبة لي - لا تكونى متشائمة إلي هذا الحد يا علياء .. إن شاء الله كل شيء سوف يتم على خير وكما تريدين وسوف تتزوجان بإذن الله .

- ياريت يا نسرين .. ياريت .

***

أما ريهام ابنه فريال عمة نسرين فهى طالبة بالسنة الثانية بكلية الحقوق وتعيد السنة للمرة الثانية .. وكانت قد رسبت سنتين في السنة الأولي أيضا .. وقد اشتعلت الغيره في قلبها من نسرين .. لأنها تحب سامح .. وخوفها عليه من نسرين جعلها تتردد كثيرا عليهم بحجة زيارة نسرين ورانيا شقيقه سامح .. وكانت غيرتها تدفعها دائما إلي توجيه نقد لاذع إلي نسرين أمام سامح وباقي العائلة .. متعمدة إحراجها وحتي تظهرها بأنها لا تساوي شيئا بجانبها .. وقد بدأت نسرين تضيق ذرعا بتصرفات ريهام هذه .. وكانت تشكوها أيضا لعلياء .

وكانت ريهام تعمل بصفة مستمرة علي كسب قلب سامح إلا أنه كان دائما منصرفا عنها متجاهلا إياها .. إلا في حالات قليلة كانت تحتمها عليه قرابته لها .. فكانت ترفع من معنوياتها لبعض الوقت .. ولكنها ما تلبث أن تصدم من جديد عندما تكتشف أنها كانت واهمة .

كانت تلاحقه في كل مكان .. بزيارتها لهم في المنزل عند خالتها ألفت .. وفي النادي .. حتي لو اقتضى الأمر أن تذهب له في عمله .. أى إنها كانت تطارده في كل مكان .. إلي جانب أنها كانت



تعمل علي توطيد صلتها بخالتها ألفت ورانيا شقيقة سامح .. ولكن دون جدوى .. لم يفكر سامح ولو للحظة في الزواج منها .

ومنذ اليوم الأول لقدوم نسرين إلي القاهرة والإقامة في منزل عمتها مع سامح تحت سقف واحد وريهام تغار علي سامح منها ، رغم أنها كانت تلاحظ عدم اهتمام سامح بها .. ولكن جمال نسرين كان دائما محل خوفها ؛ فربما يجذب سامح إليها يوما .

(٥)

اما المهندس صلاح البنداري زوج الفت هانم فقد كان مشغولا في عمله بعيدا عما يدور ف منزله خصوصا بالمناقصه التي طرحتها الشركة التي يرأسها و قد عهد الي الدكتور خطاب بان يدرس عطاء كل من الشركتين الالمانية و الفرنسية ويقدم له تقرير عن افضلهما ولكن مندوب الشركة الالمانية صدقي عبد التواب اغراه برشوه يرسي العطاء علي الشركة الالمانية وقد جد الدكتور خطاب في كلام صدقي عبد التواب مندوب الشركة الألمانية .. ارتياحاً وصدي جميلاً في نفسه .. فقام في اليوم التالي بالاجتماع بباقي زملائه في الشركة المشتركين معه بدراسة وإقامة المشروع.. كل علي حدة لجس نبضه .. ومدى استعداده للسير معه في هذه الصفقة وقبول الرشوة والهدايا نظير إرساء المشروع علي الشركة الألمانية .

استدعي الدكتور خطاب المدير المالي توفيق مدكور وقال له :

– يا توفيق أنا شايف إن هذه المناقصة من الأفضل لنا أن ترسي علي الشركة الألمانية .

رد توفيق قائلا :

– ولكن يا فندم أنا شايف إنه كان لدينا جميعا اتفاق بإرسائها علي الشركة الفرنسية لوجود بعض المزايا في شروط الشركة الفرنسية تميزها عن الشركة الألمانية .. وأيضا الأسعار والتكلفة أقل بكثير من التكلفة الألمانية .

يا سيدي ليست بهذه الدرجة .. الفرق بسيط جدا .. وعلي العموم ألمانيا برضه متقدمة في مثل هذه الأعمال .. كما أن الشركة الألمانيه مستعدة أن تدفع .. يعنى أنت فاهم طبعا .

وألمح الدكتور خطاب لتوفيق بأنهم سوف « ينوبهم من الحب جانب » .

رد علي الفور :

– يا دكتور أنا تحت أمرك .. أنت تعلم جيدا أنني لا أخالف لك أمرا مهما كان .. أنت فقط تأمر وأنا أنفذ .

وكذلك تمت المناقشة مع المهندس حماد مدبولي المدير الإداري .. ووافق .. بل سعد بما سيتقاضاه من الشركة الألمانية بعد أن ألمح له الدكتور خطاب بذلك .

سعد الدكتور خطاب بنجاحه في إقناع توفيق مدكور والمهندس حماد مدبولي .. لم يبق أمامه سوي عدلي السمالوطي المدير التجاري بالشركة .. وهو عضو مهم في تنفيذ المشروع .. وقد رأى أن يكون معه أكثر حذرا .. لأنه يعلم جيدا أنه إنسان جاد ويراعى الله دائما في تصرفاته .. ولا يرضي بأى تلاعب أو انحرفات في الشركة ومعروف عنه الاستقامة والنزاهة وحرصه الدائم علي مصلحة الشركة .

استدعاه إلي مكتبه .. تحدث معه بحذر قائلا له :

- يا عدلي أنت طبعا تعرف أن أحسن العروض التي تقدمت لنا هما العرض الألماني والعرض والفرنسي .

أجاب عدلي مسرعا :

- نعم يا فندم ولكن العرض الفرنسي أحسن بكثير من العرض الألماني وامتيازاته أحسن بكثير أيضا .

يا سيدى ولا أحسن ولا حاجة .. ألمانيا متقدمة ولا أحد يستطيع أن ينكر ذلك ، كما أن الشركة الألمانية سوف تعوضنا من ناحية ثانية.

- كيف يافندم ؟

- أجاب الدكتور خطاب بحذر شديد :

- يعني بعض الامتيازات تخصها بالعاملين لدينا في المشروع .. يعني تخرجنا من الفقر اللي احنا فيه .. ترفع مستوانا بقه .. كفايا علينا كده .

رد عدلي في حدة :

- ماهو القصد من ذلك يا فندم .. رشوة لنا يعني ؟ !

تدارك الدكتور خطاب الموقف مسرعا وقال له وقد تمالكه الارتباك :

- أعوذ بالله يا شيخ .. رشوة ؟ وهل نحن نقبل رشاوي .. مصلحه العمل فوق كل اعتبار .

ثم استطرد الدكتور خطاب قائلا لعدلي :

- علي العموم سوف نعيد مناقشة العرضين .. وبدون شك سوف نقر الأحسن ومصلحة الشركة أهم من أى شىء .

- انا ليس لدى شك في ذلك يا فندم ..

خرج عدلي السمالوطي من عند المدير العام وقد سيطر الشك علي كل تفكيره .. وشعر أن هناك شيئا ما سوف يحدث لترسية العطاء علي الشركة الألمانية .. وأن هناك رائحة رشوة سوف تدفع

إذ إنه كيف تتغير الآراء بين يوم وليلة وتتبدد كل كلمة قالوها في الاجتماع السابق بعد فتح المظاريف ودراسة كل عطاء على حدة وقد وافق الجميع علي العرض الفرنسى .. ولكنه عاد مرة ثانية وقال لنفسه .. ليس هناك داع للشك .. فالأيام قادمة وسوف أرى ما سيكون .. إذ إن العطاء الفرنسي بدون شك هو أحسنهم جميعا .. ولكنه مع ذلك رأى أنه لابد وأن يتابع الموقف أولا بأول حتي يقطع الشك باليقين .

أما الدكتور خطاب فقد أيقن أنه أخطا عندما تكلم مع عدلي فى هذا الموضوع خصوصا وأنه يعلم أخلاقياته جيدا ، وهو يعتبره شخصاً " متزمتاً " وفكر الدكتور خطاب كثيرا في أمر عدلي هذا .. ثم اتخذ قرارا بأنه لن يخبره بأى شىء بل يتركه ليفاجأ بأن المناقصة من نصيب الشركة الألمانية " فردرش هوفمان " . ثم يقولون له إنهم درسوا الموضوع جيدا وإن هناك جوانب فنية أفضل موجودة فى العطاء الألمانى لا يفهمها إلا مهندس .. وبعد ذلك لا يلتفت لأى ملاحظة من ملاحظاته .

في نفس الوقت ظل الشك والريبة يسيطران علي عدلي وقام بمقابله المهندس صلاح رئيس مجلس الإدارة .. وقال له : إنه يري أن العرض الفرنسي أحسن بكثير وأقل تكلفة ويوجد فرق كبير بين العرضين .. ولا يدري لماذا غيروا رأيهم بهذه السرعة بعد أن كان قد استقر على العرض الفرنسي .. وذكر له الحديث الذى دار بينه وبين الدكتور خطاب .

قال له المهندس صلاح :

– لا أظن يا عدلي لأنني أعرف جيدا مدى دقة الدكتور خطاب ولابد أنه سوف يختار الأفضل .. لأنه إذا صح كلامك فستكون كارثة .. كارثة بكل المقاييس .

وطلب المهندس صلاح من عدلي أن يظل معهم ويراقبهم ويراقب الموقف .. ويخبره بكل ما يحدث أولا بأول .

خرج عدلي من مكتب رئيس مجلس الإدارة وهو مصمم علي كشفهم .. لأنه متأكد من شكوكه .

أما الدكتور خطاب .. فقد أبلغ صدقي عبد التواب وكيل الشركة الألمانية بموافقة شركة التعمير والأعمال الهندسية مبدئيا علي ترسية العطاء علي شركتهم الألمانية .. واتفق علي عقد اجتماع معهم للاتفاق علي التفاصيل .



وفي الحال أرسل صدقي عبد التواب تلكساً لشركة " فردرش هوفمان " يخبرها بإرساء العطاء عليها وطلب من الشركة إرسال مندوب عنها لعمل المفاوضات النهائيه .
وفي اليوم التالي عقد الدكتور خطاب اجتماعا مع صدقي عبد التواب مندوب الشركة الألمانية والمسئولين معه عن المشروع .. حضره كل من توفيق مدكور والمهندس حماد مدبولي . واستثني من الاجتماع عدلي السمالوطي رغم أنه عضو مهم في هذا المشروع .
و أخذوا يناقشون تفصيلات التنفيذ كما ناقشوا في الاجتماع ما سيحصل عليه كل منهم نظير ترسية هذه المناقصة علي الشركة الألمانية .
وبمحض الصدفة دخل عدلي السمالوطى فأراد سكرتير الدكتور خطاب أن يمنعه من الدخول بناء علي تعليمات من الدكتور خطاب نفسه بأنه ممنوع دخول أحد هذا الاجتماع .. وكان الدكتور خطاب قد أوصي السكرتير بأنه ممنوع الدخول خصوصا .. " عدلي السمالوطي " .. إلا أنه عندما وقف السكرتير لمنع عدلي من الدخول .. ذهل عدلي ولم يعر السكرتير التفاتا .. بل أطاحه جانبا من أمامه ودخل ، خصوصا وأنه لم يتعود ولم يحدث أن منعه السكرتير من الدخول إلي الدكتور خطاب من قبل .. كما أنه لم يحدث أن استاذن قبل دخوله للمدير العام .. الدكتور خطاب .
عندما دخل عدلي .. فوجئ بهذا الاجتماع أمامه وصدقي مندوب الشركة الألمانية يجلس في وسطهم .. وقد التقطت أذنه جمله من صدقي وهو يقول :
- يا دكتور خطاب أى هدايا أي مبالغ أو ميزات تريدونها زيادة لكل منكم سوف نوافق عليها ولن نختلف أبدا .
ولاحظ عدلي أنه عندما دخل عليهم تلعثم الدكتور خطاب وقال له بصوت مرتعش :
- أهلا عدلي .. تفضل .. كنت سأرسل في طلبك كي تحضر معنا هذا الاجتماع لأنه اجتماع مهم جدا .. طبعا أنت تعلم الأستاذ صدقي وكيل الشركة .. خلاص يا عدلي نحن نقوم الآن بالاتفاق النهائى مع الشركة الألمانية .. فقد رأينا أن العطاء الخاص بها أحسن العطاءات في بنود كثيرة من بنوده .
وبإشارة مستترة لصدقي عبد التواب من الدكتور خطاب فهم منها عدم التحدث عن رشاوى أو مكافات أو هدايا أمام عدلي ..

وبحركة مشبوهة .. لاحظ عدلي تغيير سير المحادثات والمناقشات.. الأمر الذى أكد لعدلي شكوكه فى وجود انحرافات في هذا الموضوع .. خصوصا وقد حرص الدكتور خطاب علي إنهاء الاجتماع بمجرد دخول عدلي .

وقال الدكتور خطاب لعدلي :

– علي فكره يا عدلى : « الهر / هانز كول » مندوب الشركة الألمانية سوف يحضر خلال أيام من ألمانيا لإتمام الاتفاق النهائي وإبرام العقد .

رد عدلي وهو ممتعض :

– علي بركة الله يافندم .

عاد عدلي إلي منزله وهو مصمم علي أن يخبر المهندس صلاح رئيس مجلس الإدارة بكل ما حدث وسمعه ويؤكد له شكوكه .

في اليوم التالي ذهب عدلي إلي المهندس صلاح البنداري وأخبره بأنه تأكد له الشك باليقين وأن شكوكه في محلها .. وحكي له عن محاولة منعه من دخول مكتب الدكتور خطاب أثناء اجتماعهم بوكيل الشركة الألمانية ووقوف سكرتير الدكتور خطاب أمامه لمنعه من الدخول علي غير العادة والمألوف .. ثم ما سمعه من صدقي عبد التواب عن أنه سوف يستجيب لكل طلباتهم .. ثم تغييرهم لمجري المناقشات .. وإعلان الدكتور خطاب عن انتهاء الاجتماع فى الحال بمجرد دخول عدلي .

لم يصدق المهندس صلاح نفسه .. ذهل .. قال لعدلي : أنا متشكر جدا يا عدلي علي إخلاصك ونزاهتك وسوف أتابع الموضوع بنفسي وأقوم بعمل اللازم .

بعد أن خرج عدلي من مكتب رئيس مجلس الإدارة .. ذهب إليه الدكتور خطاب المدير العام .. وأخبره بقرارهم النهائى بترسية المناقصة علي العطاء الألمانى وشرح له مميزاته وأنه يمتاز عن جميع العروض .

تظاهر المهندس صلاح بالموافقة .. وقال له :

– علي بركه الله .. وسوف أجتمع معكم لمناقشة الموضوع والاتفاق على الخطوة التى سوف تتم بعد ذلك . بعد خروج الدكتور خطاب من مكتب المهندس صلاح .. استدعي رئيس مجلس الإدارة سكرتيرته وطلب منها أن تحضر له نسخة من العطاءين الألمانى والفرنسى . فأحضرتهما له .. وعكف المهندس صلاح علي دراستهما دراسة مستفيضة .. وتبين له فعلا أن العطاء الفرنسي

أحسن بكثير من العطاء الألماني .. مما أكد له صدق اتهام عدلي السمالوطي للدكتور خطاب .

في الحال خرج من مكتبه وذهب للوزير وأبلغه بالواقعة .. كما أبلغ رئيس نيابة الأموال العامة .

ويعود المهندس صلاح البنداری إلي منزله في حالة ضيق شديد ولاحظت زوجته ألفت ذلك فسألته :

- ما الخبر ؟

- مصيبة .

-كيف ؟! لا قدر الله .. ماذا حدث ؟ لقد شغلتني .

أجاب المهندس صلاح وهو في حالة ضيق وهلع شديد :

- الدكتور خطاب عبد المنعم المدير العام .. وتوفيق مدكور المدير المالي للشركة .. والمهندس حماد مدبولي المدير الإدارى . اكتشفت أنهم اتفقوا مع الوكيل التجارى للشركة الألمانية بالقاهرة علي إرساء عملية المناقصة الخاصة بإنشاء مصنع الألوميتال والستائر المعدنية علي الشركة الألمانية نظير عمولات ورشاوى كبيرة لكل منهم .. رغم أن هناك عطاء شركة فرنسية بشروط أفضل .

قالت له ألفت :

- وكيف عرفت ذلك ؟

- أبلغني عدلي السمالوطي المدير التجاري للشركة بما تم وهو إنسان معروف بنزاهته .. وقد حاول الدكتور خطاب أن يدخله معهم في اللعبة وأن يرشوه .. لكنه رفض .. ثم لاحظ بعد ذلك استبعاده من اللجنة رغم أنه عضو مهم بها .. وبعد أن تأكد مما يدور بينهم أخبرني بالموضوع .. وفي الحال عكفت علي دراسة العطاءين الفرنسي والألمانى وتأكد لي صدق كلام عدلي .. وفي الحال أبلغت الوزير والنائب العام ومباحث الأموال العامة .

ردت ألفت علي زوجها في محاوله لتهدئته قائلة :

- إذن الأمر أصبح الآن في يد النيابة وقد أبلغت الوزير .. وبذلك فأنت في الطريق السليم ولا غبار عليك .. وقد فعلت ما يجب أن تفعله .

- كيف .. وأنا الذي وضعت فيهم كل ثقتي .. كما أن ذلك من شأنه الاضرار بالشركة التي أرأسها وإلحاق الضرر بالمشروع وتعطليه .

- هون عليك يا صلاح .. حتما ستظهر الحقيقة وكل سوف يأخذ جزاءه .. وأرجو ألا تنفعل بهذه الدرجة .. صحتك .

ويقطع السفرجي حديثهما قائلا :
- الغداء جاهز يا فندم .
قالت ألفت :
- أرجوك أن تتناول غداءك أولا بدون انفعال وبعد ذلك فكر كما يحلو لك وربنا معاك يوقع أولاد الحرام .يصمت صلاح قليلا وهو زائغ البصر .. ثم يتمتم قائلا لنفسه : ياللمصيبة الكبرى .. لقد اكتشفت فجأه أن الذين وضعت فيهم كل ثقتى .. ووضعت مصير الشركة بين أيديهم .. ما هم إلا عصابة وشلة أفاقين ومرتزقة .
وتحضر رانيا من مدرستها.. تقبل والدها ثم والدتها .. اللذين يصمتان عند حضورها .. ولكنها تلاحظ العبوس والتجهم ينعكس على وجه كل منهما .. فتتساءل وهى تنظر لوالدها :
- ماذا بك يا بابا؟ يا أحب بابي في الوجود ،
- لا يا رانيا مجرد تعب وإرهاق .
- سلامتك ألف سلامة .
ويجلس الجميع لتناول الغداء .. ولكن نسرين غير موجودة ويسأل عنها زوج عمتها .. فتخبره ألفت أن نسرين قالت لها إنها سوف تتأخر اليوم بالكلية لوجود محاضرات عندها .
و بالنسبة لنسرين ينتهى العام الدارسى الأول .. وتنتهى هي من الامتحانات بروح مرتفعة .. بعد أن أدتها أحسن آداء وبتفوق .. وتأتى الأجازة الصيفية .
وبعد مكالمة تليفونية من والد نسرين لها ولشقيقته ألفت .. يخبرهما فيها بأنه اتصل بمحمود ابن زميله .. اتصل به في العمل .. واتفق معه علي أن يأخذ أجازة ليصحب نسرين عند سفرها إلى المنصوره حتى لا تسافر بمفردها .. وحتى يأمن عليها في سفرها .

***

وتمضي نسرين فترة الأجازة في المنصورة وسط أسرتها .. في حالة تأمل .. تستعرض حياتها الجديدة وسط عائلة عمتها .. تستعرض شخصية كل منهم .. علي حدة ..

العمة :

إنسانة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معني .. وديعة .. جميلة .. أنيقة .. هادئة الطبع .. تحبها كثيرا .. كما أن عمتها تتمني لها كل خير ونجاح .

صلاح " بك " زوج العمة :

إنسان دمث الخلق .. طيب القلب .. هادئ .. وقور .. يتمتع بشخصية قوية .. دائم السؤال عنها وعن راحتها .

رانيا :

إنسانه مرحة .. رقيقة .. تحبها جدا وتعاملها وكأنها شقيقه لها .كما أن نسرين لا تنسي كرم وحسن معاملة رانيا لها .. ومازالت الكلمات التي كانت ترددها رانيا بصفة مستمره .. ترن في أذنها

- " أنا يا نسرين ليس لي أخت .. ولكن فجأة .. وجدت أختا حبوبة.. وجدتك يا نسرين .. "

سامح :

وتطيل نسرين التأمل وهي تستعرض شخصيه ابن عمتها .. هذه الشخصية الغامضة التى تحتاج إلي وقفة طويلة .. تتفحصها وتحللها جيدا .. حتي يمكنها على هذا الأساس أن تتعامل معه .. فهى تشعر بأنها عاجزة عن فهمه . لقد احتارت في أمره .. ولا تدرى كيف تعامله .. أو تتصرف معه .

لذلك فقد ظلت تصرفات ابن عمتها معها ومعاملته لها تسيطر علي كل تفكيرها معظم الأجازة .

صممت علي أن تعامله معاملة خاصة .. أن تتجاهله تماما كما يتجاهلها .. أن تعامله بالمثل وترد له الصاع صاعين .

ولم تنس نسرين بعد عودتها إلي المنصورة أن تستفسر من شقيقها إيهاب ومن والدتها عن أخبار أولاد عمها عبد الفتاح .. إذ أن أخبارهم دائما مثيرة وجديرة بأن تعرفها دائما .

قال لها إيهاب :

- أبدا يا نسرين . فهي كما تعرفين دائما .. كلها أخبار غير سارة وتثير الألم في النفس ، ومعظمها انحرافات .

- كيف يا إيهاب ؟!
صفوت ابن عمك المحترم .. بعد رسوبه كما تعرفين في الثانوية العامة .. وفشله في الدراسة .. واستنفاده مرات رسوبه ..بدلا من أن يتفرغ لزراعة الأرض ويساعد عمك تفرغ للهو .. وانساق وراء ملذاته واندمج مع شلة من أصدقاء السوء هنا بالمنصورة .. ودائما يسافر إلي القاهرة للسهر في كباريهات شارع الهرم .. ويقال إنه علي علاقة براقصة هناك .. أما حشمت فدائما يرسب في كليته وانحرافاته عديدة وعلي كل لسان .

***

وصفوت هو الابن المدلل حيث إنه أكبر أشقائه .. وكان عبد الفتاح دائما يقول :
- صفوت دا " باشا " .. ولي العهد .. " أول العنقود .. سكر معقود "
وعلي هذا الأساس كان لا يرفض له طلب .. بل كان يشجعه دائما علي الإسراف والتمادي في حب الظهور .
وكان صفوت من جانبه يحرص علي أن تكون سيارته آخر موديل.. وكان يغيرها كل عام .
كان عبد الفتاح يتباهي بذلك قائلا :
- طبعا .. لابد أن الكل في الدقهلية يشير إلي صفوت ويقول " هذا ابن عبد الفتاح الششتاوي " ..
كل ذلك جعل صفوت يتمادى في انحرافاته .
ووجود حشمت وبهجت بالقاهرة للدراسة أعطى لهما فرصة ارتياد الكباريهات ودور اللهو والعبث . فهذه طبيعه تكوينهما الخلقي والسلوكي .. خصوصا حشمت ، فقد ساعد علي رسوبه الدائم تردده المستمر علي كباريه الهلال في شارع الهرم .. وهناك تعرف علي مجموعة من الإخوة العرب وشاركهم إعجابهم بالراقصة الأولي بالملهى وتدعي سموات .. وسموات هذه ذائعة الصيت علي مستوي الوطن العربي كله ويحضر إلي القاهرة أغنياء العرب كي يكونوا بين يديها ويمضوا وقتا ممتعا معها في الملهي الذي ترقص فيه .. إلا أنها كانت دائما تضيق بهم وبكثرة معجبيها وتتوق إلي قلب كبير يبادلها الحب .. يتزوجها وتعيش معه في عش زوجية هادىء بعيدا عن المعجبين وصخب الملاهى الليلية .
وشعرت سموات بحب حشمت الششتاوي لها .. وبادلته الحب .. خصوصا وأنه كان يغدق عليها بغير حساب .. وكانت كثيرا ما

تهرب معه من معجبيها لتمضي معه وقتا في مكان آخر بعيدا عن فضول الناس .
ولشدة ولع حشمت بها .. كان دائما يحدث شقيقه بهجت عنها ويصحبه معه إلي الملهي .. وأعجب بهجت بدوره بالراقصة سموات وقال لشقيقه حشمت :
- سموات هذه يا حشمت ضلت طريقها وأتت خطأ إلي هذا المكان . وإنها تصلح لأن تكون ملكة متوجة في قصر يموج حولها بالخدم والحشم .. وتكون هي سيدة القصر .
سعد حشمت جدا بكلام شقيقه . قال له :
- موش قلت لك أنا أصلي ذوقي رفيع وأفهم جيدا في الجنس الناعم .
عندما علمت نسرين ببعض هذه الأخبار عن عمها وأولاده .. أسفت كل الأسف ، وقالت :
- للأسف كل ذلك سوف يعود علي مستقبل الأولاد ، وسوف يندمون في النهاية علي كل ذلك .
ظهرت نتيجة نسرين .. ونجحت بدرجة جيد جدا .. وانتقلت للسنة الثانية واتصلت بها عمتها تليفونيا لتهنئتها.. كما هنأها عمها صلاح وكذلك رانيا التي نجحت وحصلت علي الإعدادية .. وقد بادلتها نسرين التهانى .
أحبت نسرين حياتها الجديدة في منزل عمتها .. رغم ضيقها من ابن عمتها .. ولكن ذلك لايهم ، فيكفيها رعاية وحب عمتها وزوج عمتها .. وأيضا حب رانيا لها .
كما أحبت الحياة الجامعية .. وكذلك أحبت صديقاتها وزملائها بالكلية .. وأصبحت تعد الأيام .. وتتعجل انتهاء الأجازة .

***

في القاهرة أصبح أهم ما يشغل بال المهندس صلاح البندارى رئيس مجلس إدارة شركة التعمير والأعمال الهندسية .. هو إيقاع مدير عام الشركة الدكتور خطاب عبد المنعم والمتورطين معه في عملية التلاعب لإرساء العطاء علي الشركة الإلمانية .. وكان علي اتصال دائم بالنائب العام لمراقبة ما يتم عمله للإيقاع بهم وحتي يطمئن علي سير كل شيء كما خطط له لضبطهم .
لقد قامت النيابة العامة مجرد تلقيها البلاغ ، بوضع تليفونات الدكتور خطاب وباقي المتهمين تحت المراقبة .. وكذلك تليفون صدقي عبد التواب الوكيل التجارى للشركة الألمانية بالقاهرة

ومن معه كما قامت بوضع أجهزة تسجيل دقيقة في حجراتهم حيث تتم الاجتماعات لدارسة عملية المصنع الجديد وتوسعات الشركة .. إلي جانب وضع تحركاتهم ومقابلاتهم تحت المراقبة .. حتي يتم ضبطهم متلبسين .

ويذهب المهندس صلاح إلي مكتب مدير مباحث الأموال العامة بناء علي استدعاء من مدير المباحث كما يذهب معه عدلي السمالوطى الذي أبلغ عما يجري داخل كواليس الشركة من مفاوضات بين المدير العام وزملائه وبين الوكيل التجارى للشركة الألمانية لإرساء العطاء علي الشركة الألمانية نظير رشوة كبيرة .

يستقبل اللواء ظافر الدمنهوري مدير مباحث الأموال العامة .. كلا من المهندس صلاح وعدلي السمالوطي قائلا :

- أهلا صلاح بك .. تفضل . أهلا الأستاذ عدلي .. قهوة .. أم شاى ؟

- يرد المهندس صلاح .. لاشىء .. شكرا .

يقدم اللواء ظافر الدمنهورى لهما السجائر .. ويشعل لكل منهما سيجارته ثم يقول لهما .

- آسف للإزعاج ولكن يبدو أن الموضوع أكبر وأخطر مما كنا نتوقع لذلك فقد استدعيتكما كي أستفسر منكما عن بعض النقاط وآخذ أقوالكما .. ثم يوجه كلامه للمهندس صلاح :

- صلاح بك .. هل ممكن أن تعطي لنا فكرة عن سلوك كل واحد من المتهمين في الشركة .. هل كان هناك سوابق لهم " تلاعب يعني " أوتصرفات تدل علي عدم نزاهتهم ؟

- أبدا إطلاقا .. كلهم بالشركة منذ سنوات طويلة .. لم أشك لحظة واحدة فى نزاهة أحد منهم .. وهذا ما يدهشنى بل ويزيد من حزنى أن أكتشف فجأة انحرافهم وعدم نزاهتهم .. وسقوطهم في أول اختبار لهم .. وضعفهم أمام إغراءات المادة ضاربين عرض الحائط بمصلحة الشركة .. وخيانتهم للأمانة ولوطنهم .. لست أدرى ماذا جرى فى هذه الدنيا ؟

ثم يوجه اللواء الدمنهورى حديثه لعدلى السمالوطى نائب المدير العام والمدير التجارى للشركة :

- كيف اكتشفت ما يحدث بينهم يا أستاذ عدلى ؟

- لقد نوه لي الدكتور خطاب بأن الشركة الألمانية ترغب فى إرساء المناقصة عليها نظير مقابل مادي مجز .. وأنه إذا رسا العطاء عليها فسوف أكون أول من يسافر إلى ألمانيا للتعاقد على بعض المهمات المطلوبة للشركة .. وغير ذلك من الإغراءات المادية

التى عرضها على بطريقة ملتوية وغير مباشرة .. وعندما أبديت رفضي وانزعاجي .. لاحظت أن الضيق اكتسح ملامح وجهه .. ثم بعد ذلك لاحظت أنه بدا يسيء معاملتى .. كما لاحظت عدم ارتياحهم لوجودى معهم في اللجنة بعد ذلك .. الأمر الذى جعلهم يستبعدونى من اللجنة .. وقد اكتشفت ذلك مصادفة عندما حاول سكرتير الدكتور خطاب منعى من دخول مكتب الدكتور خطاب علي غير المألوف.. وعندما أبديت ضيقى ودخلت غصباً عنه فوجئت بهم مجتمعين لمناقشة الموضوع ومعهم الوكيل التجارى للشركة الألمانية صدقي .. وعندما دخلت سمعت صدقي يقول لهم : كل شيء تطلبونه سوف نستجيب له .. ومجرد أن وجدونى أقف أمامهم بدا عليهم الارتباك وبطريقة سريعة ولكنها كانت مكشوفة أدار الدكتورخطاب دفة الحديث .. ثم أنهى الاجتماع علي الفور .. الأمر الذي تأكد لي بما لا يدعو مجالا للشك أن هناك مؤامرة ضد مصلحة الشركة لإرساء العطاء على الشركة الألمانية .. وأن هناك رائحة رشوة كبرى .. ويستطرد عدلي قائلا :

– وفي الحال يافندم قمت بإبلاغ صلاح بك بما حدث .. وأن شكوكي في محلها .. وهو قام بدوره في الحال بإبلاغ الوزير .. وإبلاغكم .. وطبعا سيادتك تعرف الباقي . يرد اللواء الدمنهورى قائلا :

– لقد اكتشفنا من خلال المكالمات التليفونية والتسجيلات أن المفاوضات دائرة بينهم الآن وبين وكيل الشركة الألمانية .. لمنح كل منهم حوالي ٢٥٠ ألف جنيه ورحلات إلي ألمانيا ببدلات خيالية .. إلي جانب عروض بوظيفة بمرتب ثلاثة آلاف جنيه في الشهر للدكتور خطاب عبد المنعم عقب الانتهاء من المشروع .. ولكنهم يطلبون المبالغ بالدولار يعنى كل منهم ٢٥٠ ألف دولار وليس ٢٥٠ ألف جنيه مصرى .. ولكن صدقي عبد التواب الوكيل التجارى للشركة الألمانية أخبرهم بأن المبلغ كبير .. ولابد من الرجوع إلي الشركة في ألمانيا لأخذ موافقتها .. والموضوع متوقف الآن حتي يأتي رد المسئولين بالشركة الألمانية .. وقال لهم صدقي أنه أرسل لهم بطلباتهم ولكن الرد لم يصل حتي الآن ويستطرد اللواء ظافر قائلا :

– علي العموم نحن معهم للنهاية .. ونقوم برصد ومراقبة تحركاتهم وتحركات الوكيل التجارى للشركة الألمانية أولا بأول .. وقد توصلنا إلي معلومات مهمة من شأنها وضع الحديد في أيدى كل منهم .

يرد عدلي :
- وأنا أيضا يافندم أقوم بإبلاغ صلاح بك بملاحظاتي علي تصرفاتهم بكل كبيرة وصغيرة خاصة بهم حتي يكون في الصورة دائما .
ويرد المهندس صلاح :
- أنا في غاية الأسف والحزن .. خصوصا وأن هؤلاء الناس قد وضعت فيهم ثقتي كل هذه السنين ... ثم بعد ذلك أفاجأ بأخلاقياتهم هذه .. لست أدري ماذا جري في هذه الدنيا ؟
يكرر اللواء ظافر الدمنهورى شكره لهما .. وأسفه لإزعاجهم .. ويصافحهم متفقا معهم علي أن يظلا علي اتصال به لمراقبة سير الأمور أولا بأول حتي يتم إيقاعهم تحت طائلة القانون .

***

تنتهي الأجازة .. وتعود نسرين ثانيا إلي منزل عمتها في صحبة محمود ابن صديق والدها وقد اصطحبها في سفرها حاملا لها حقيبتها .

تعود نسرين من أجازتها أكثر إشراقا وتفتحا علي الحياة .

كانت الأجازة بمثابة فترة استجمام وتأمل بالنسبة لها .. استطاعت عن بعد أن تقيم حياتها طوال السنة الماضية بالقاهرة.. ما كانت عليه وما يجب أن تصبح عليه في السنة الجديدة .. فهي تشعر بالاطمئنان إلي عمتها التي تعمل دائما علي توجيهها التوجيه السليم في كل شيء دون أن تجرح شعورها .

إنها شخصيا قد استفادت من توجيهات عمتها هذه وأصبحت تستشيرها في كل شيء كما كانت تفعل مع والدتها .

أصبحت أيضا تطور نفسها طبقا لهذه التوجيهات .. أصبحت تهتم أكثر بتسريحة شعرها وتحرص علي الذهاب إلي الكوافير كل أسبوع .

كذلك وجودها بالجامعة مع زميلاتها أكسبها خبرة في طريقة ارتداء ملابسها وهندامها فأصبحت تهتم إلي حد كبير بمظهرها .

كل ذلك جعل نسرين تبدو في صوره أكثر إشرقا عما كانت عليه في السنة الأولي بالجامعة .

هذا التطور الذي طرأ علي شخصية نسرين جعل ريهام ابنة عمتها تزداد غيرة منها بالنسبة لسامح رغم أنها كانت ترى أن سامح لا يعيرها التفاتا أيضا .. ولكنها كانت تخاف أن تجذبه يوما ما .. خصوصا و أن جمال نسرين أخاذ وأنها تزداد جمالا يوما بعد يوم كما أنها تعيش معه تحت سقف واحد .. لذلك فقد كانت تكثر من زيارتها لهم .. وكانت كثيرا ما تتعمد توجيه النقد اللاذع لنسرين عن بعض تصرفاتها أمام سامح . وكانت دائما تحرص علي أن تظهرها بأنها الفلاحة الساذجة القادمة إليهم من الأرياف علي حد تعبيرها .. كما كانت تتعمد أن توجه لها بعض الملاحظات علي ملبسها وهندامها أمامه أيضا .. الأمر الذي كان يجرح شعور نسرين .. وكانت عمتها ألفت تلاحظ ذلك فكانت تنصح نسرين بألا تعيرها أى التفات .. وان تتركها تقول ما تريد.. لأن هذه هي أخلاقياتها ولا أحد يستمع إليها . مما كان

يخفف من ضيق نسرين كثيرا من ابنة عمتها هذه .. وفي أحد الأيام عند زيارة ريهام لهم .. كانت تجلس مع نسرين ورانيا .. حضر سامح وجلس معهم فسألت ريهام نسرين مستفسرة :
- كيف تذهبين إلي الكلية يا نسرين ؟
- في الأتوبيس .
- يا خبر .. أتوبيس ! .. كيف تركبين أتوبيس .. ألا تتضايقين من زحامه ؟ .. أو الناس الذين يركبونه .. " ياه " معظمهم من طبقات تعبانة .. يكفي رائحتهم القذرة التي تكتم الأنفاس .
- والله أنا لا أجد أمامي إلاهو .. فماذا أنا فاعلة إذن ؟
ردت ريهام بسرعة :
- أنا مـــثـــلا لا يمكن أن أركب الأتوبيس .. ولا يمكن أن أنزل إلي مستوي ركابه .
وتسألها نسرين :
- وكيف تذهبين إلي الكلية ؟
- في تاكسي .. أنا متفقه مع سواق تاكسي .. وعلي فكرة سواق " جانتي خالص " خريج جامعة .. ولكنه وجد أن التاكسي يعطي له دخلا أكثر بكثير من أى وظيفة .. ولأنى وجدته سواق مودرن اتفقت معه علي أن يحضر لي كل يوم لتوصيلي إلي الكلية .. ثم يحضر في موعد انتهاء المحاضرات لكي يوصلني إلي البيت .
- وكيف يتحكم في ظروفه مع مواعيدك ؟

***

- أنا دائما أقول له علي مواعيدي قبل أن أغادر التاكسي .. وهو دائما يحافظ عليها ولا يخالف لي طلب .. ويمكن كده تعتبريه سواق خصوصي .
ترد نســرين في تهكم .. وبكل بساطه ودون أى إحــراج وأمــام سامح: أنت ظروفك المادية تسمح لك بذلك .. لكن أنا يا حبيبتي ظروفي المادية لاتسمح .. وليس أمــامي إلا ركــوب الأتوبيس .. وكمان أنت محظوظة لأنك وجدت أمامك سواق خصوصي وعلي مقاسك هكذا .
تضحك ريهام ضحكة مدوية ثم تقول لها بتهكم :
- دا أنت يا حبيبتي متواضعة جدا .. يا بختك .
لم يختلف الحال كثيرا بالنسبة لنسرين في السنة الثانية في أسلوب حياتها وسط عائلة عمتها عن السنة الأولي .

لم يغير سامح من أسلوب معاملته لها .. إلا من بعض الكلمات والمجاملات القليلة المتبادلة .. والمعاملات العاديه بحكم احتكاكه بها ووجوده معها في منزل واحد وتحت سقف واحد .

وتذهب نسرين إلي النادي وتتردد عليه أكثر من ذى قبل . وتداوم علي لعب التنس بعد أن أصبحت لعبتها المفضلة .

وهناك .. في النادي .. كانت تري سامح يلهو ويلعب مع صديقاته.. مجموعة من جميلات النادى .

كان يحز في نفسها أيضا أنه كثيرا ما يتجاهلها إذا قابلها في النادي .

لم تتذكر مرة أن قابلها وحاول أن يقدمها لصديقاته أوأصدقائه .. أو قال لهم إنها ابنة خاله .

أيضا .. في إحدي الليالي أرادت نسرين أن تشاهد التليفزيون .. وكانت تجلس أمامه بمفردها .. وكان الصوت مرتفعا دون قصد أو إدراك منها .. ففوجئت بسامح وهو يندفع نحو التليفزيون .. والغضب باد علي وجهه وهو يتمتم بكلمات غير مسموعة أو مفهومة .. ثم يمد يده ويدير مفتاح الصوت بالتلفزيون حتي كاد الصوت يكون غير مسموع ..

فعل ذلك دون أن يستأذنها .. أو يعتذر لها .. ثم عاد ثانيا إلي حجرته وكأن شيئا لم يحدث .. أو كأنه لم يفعل شيئا .

كل ذلك كان يجعل نسرين تشعر بالضيق .. بالغصة في حلقها من تصرفات ابن عمتها تجاهها وإزاء هذا الإهمال المتكرر منه .. أصرت علي أن تلقنه في يوم من الأيام درسا لن ينساه طول عمره.

وتكظم نسرين غيظها .. حتي يحين الوقت المناسب .

***

ازدادت الرابطة بين الأسرتين ..

أصبح وجود نسرين في منزل عمتها بمثابه همزة الوصل بينهما .. وأصبح فتحي والد نسرين يأتي لزيارتهم من آن لآخر ..وكثيرا ما كان يصحب زوجته مرفت معه.

وفي نفس العام الذي أصبحت فيه نسرين في السنه الثانيه بالكلية .. أصبح شقيقها إيهاب في إعدادي طب بجامعة الإسكندرية بعد أن حصل علي الثانوية العامة بمجموع ٩٥ ٪ .

ووجود إيهاب بالكلية جعله حر الحركة . أصبح لديه الفرصة للتحرك أكثر .. ومن الإسكندريه راودته فكرة السفر إلي القاهرة

لزيارة شقيقته نسرين .. وفي نفس الوقت وجد أنه أصبح من الضروري عليه زيارة عمته ألفت .. والتعرف علي أولادها.
كانت مفاجأة كبيرة لنسرين وأسرة عمتها عندما فاجأهم إيهاب بزيارته لهم دون سابق مقدمات ..
استقبله الجميع استقبالا حارا .. واستقبلته نسرين بالقبلات .. حتي سامح استقبله بترحاب شديد قائلا له :
– أهلا يا دكتور إيهاب . هل تعلم يا إيهاب أن لقب دكتور لائق عليك جدا . في الحقيقه أنا سعيد جدا أنك فكرت في زيارتنا .. وأتحت لنا هذه الفرصة .. كي نعرفك عن قرب .. نحن إخوه ولا ينبغي أن نكون بعيدين عن بعضنا البعض هكذا .. – شكرا .. يا سامح .. فعلا .. لقد وجدت أنه من الضروري زيارتكم والتعرف عليكم .
وتقول عمته ألفت موجهة كلامها له :
– والله يا إيهاب أحسن شيء فعلته .. إنك أخيرا استجبت لإلحاحي لزيارتنا .. حتي علي الأقل لتتعرف علي أقاربك .. واللإيه ؟ !!
– فعلا يا عمتي معك الحق . كل الحق .. قبل الآن كانت الظروف لاتسمح .. لكن بعد اليوم إن شاء الله سترونني كثيرا .
وترد العمة :
– أهلا يا حبيبي ..
أما رانيا .. فقد استقبلته مهللة .. وهي تقول :
– غير معقول !
إيهاب ابن خالي ؟ .. أخيرا فكرت وحضرت لزيارتنا ..
ثم تنظر إلي نسرين قائلة :
– وهل لك أشقاء هكذا يا نسرين .. ونحن لا نعلم ؟ ..
وتعلق نسرين :
– تعرف يا إيهاب .. إنني أراك اليوم إنسانا آخر .. وكأني أراك أو أعرفك لأول مرة ..
شكلك قد تغير في نظري تماما ..أصبحت فعلا الدكتور إيهاب .. دكتور كبير .. كبرت في نظرى فجأة ..
ويضحك الجميع لمداعبه نسرين لشقيقها ..
وتعلق رانيا :
– طبعا يا نسرين .. هل دخلت المعامل يا إيهاب ؟ .. وشرحت الضفادع .. ودخلت المستشفي ؟

ويرد إيهاب قائلا وهو يبتسم :
- طبعا .. طبعا ..
فتجيب رانيا :
- خلاص .. بقيت دكتور .. دكتور كبير جدا ..
ويضحك الجميع علي مداعبات رانيا لابن خالها ..
أما صلاح " بك " زوج العمة .. فيشد علي يده مصافحا عندما عاد إلي المنزل من عمله ووجده عندهم قائلا له :
- أهلا يا إيهاب .. مفاجأة غير متوقعة .. لم تخطر علي بال أحد .. أيوه كده .. خلينا نشوفك يا أخي.. خلاص كبرت ولازم تزور أهلك وتتعرف عليهم .. ثم ينظر إليه معلقا :
- خلاص يا عم .. شد حيلك .. كي تعوض أباك عما فاته .. والدك قاسي في حياته كثيرا جدا يا إيهاب .. أنت الآن كل أمله .. نحن جميعا نريد أن نراك متفوقا باستمرار في دراستك ..
- إن شاء الله يا عمي .. الدارسة في الكلية رغم صعوبتها أحبها وأجد فيها متعة .. لأنها تتفق مع ميولي
ويرد زوج عمته :
- جميل جدا ..

***

والذي يري إيهاب عند زيارته لعمته لأول مرة .. يجد الصورة تختلف تماما .. عن صورة نسرين عند حضورها لأول مرة إلي منزل عمتها في السنة الماضية ..
فبينما كانت صوره نسرين متواضعة جدا .. وغير منسقة في هندامها ..
نجد إيهاب أنيقا جدا .. يرتدى حلة أنيقة ورابطة عنق منسجمة مع حلته .. وكل شيء يرتديه مكمل للآخر ..
وقد ساعد علي حسن مظهره أيضا .. أنه شاب وسيم .. طويل القامة .. يتمتع بوجه مشرق وملامح متناسقة ..
وربما كان لهذه الصورة المشرقة لمظهره العام .. أثر كبير في تصرفات سامح تجاهه .. مما جعله يحسن استقباله ويرحب به هذا الترحيب الحار .. وذلك علي عكس صورة نسرين في أول يوم حضرت فيه إلي منزل عمتها .. مما جعل صورتها هذه تظل عالقة بذهن سامح .. لم تتغير ولم تستطع الأيام أن تمحوها .. مما كان لها أثر سيء في نفسه ... انعكس علي تصرفاته معها وطريقة معاملته لها .. مهما حاولت نسرين أن تصلح من هندامها

ومظهرها العام .. ومهما بدت أمامه أنيقة .. جميلة .. فالصورة الأولي .. في نظره هي التي تعطي الانطباع الحقيقي عن الإنسان.. وهي التي تظل عالقة بذهن الشخص .. للأبد .. فلا الأيام ولا السنون قادرة علي أن تمحوها .

ولأول وهلة أعجبت رانيا بابن خالها إيهاب .. ووجدت نفسها مشدودة إليه .. تجد سعادة غامرة في الجلوس معه والتحدث إليه ومداعبته ..

كما بادلها إيهاب نفس الشعور .. ووجد إيهاب أنه من الضرورى أن يصطحب شقيقته نسرين معه إلى المسرح .. أو يخرج بها إلي النزهة في أى مكان .. ووجدها فرصة مناسبة كي يدعو رانيا إلي الخروج معهما ..

وسعدت رانيا جدا بذلك .. وتركا لها حرية اختيار المكان الذي يذهبون إليه .. ففضلت رانيا الذهاب إلي مسرحية " الدنيا بخير " ورحبا بالفكرة ..

أصبح إيهاب يزور عائلة عمته من آن لآخر .. بل أصبح يفضل السفر إلي القاهرة علي السفر إلي والديه بالمنصورة في أجازاته القصيرة .

لقد أصبح بينه وبين رانيا نوع من « الاستلطاف » .. بل الحب المتبادل .. لدرجة أن العائلة جميعها لاحظت هذه العلاقه البريئة .. وأصبحت تباركها .. وتسعد بها مع تكرار زيارة إيهاب لهم ..

كان دائما عندما يحضر يصطحب كلا من نسرين ورانيا للنزهة في أى مكان تريدانه أو الذهاب إلى النادى .. كما كان إيهاب يتبادل معهما لعب التنس .. لعبتهما المفضلة . أصبحت رانيا ونسرين تنتظران وصول إيهاب من الإسكندرية بفارغ الصبر .. حتي تنعما بالتنزه والخروج معه ..

وكانت رانيا تبدو دائما مرحة مع ابن خالها .. وحبه لها يزيدها رقة ودلالا ..

في نفس الوقت كانت تحضر إليهم علياء ابنه عمتهم سامية .. وكانت تشاركهم نزهاتهم وجلساتهم .. كما كانوا يذهبون بصحبة إيهاب لزيارة العمة سامية كلما حضر إيهاب إلي القاهرة .. كانت سامية وابنها فخر وابنتها علياء أقرب إليهما من بنتى عمتهما فريال التي كانت تختلف عاداتهم واتجاهاتهم وتصرفاتهم عن عائلة ألفت .. وكذلك عن نسرين وشقيقها إيهاب .

***

وريهام التي تدرس في كلية الحقوق دائما لا تنتقل من سنة إلي أخرى إلا إذا رسبت فيها سنتان ..
أما سائق التاكسي الذي يقوم بتوصيلها إلي الكلية يوميا فيدعي محيي عبد الكريم.. وهو خريج كلية تجارة ومن عائلة تعيش تحت خط الفقر .. يقطن وعائلته في أحد المنازل . المتهدمة في بولاق .. والده يعمل كمسارى في هيئة النقل العام .. له ثلاث شقيقات حاصلات علي مؤهلات متوسطة وشقيق واحد مازال في المرحلة الابتدائية .. وهو شاب طويل القامة .. قسمات وجهه مريحة .. يحاول دائما أن يظهر بمظهر لائق من ناحية الملبس .. ودائما يفتخر أمام كل من يركب معه التاكسي لتوصيله أنه خريج جامعة ودائما يعطي إيحاء بأنه ابن ناس ولكنه فضل العمل علي هذا التاكسي حتي يكون رأسمالاً يقيم به مشروعاً مناسباً بمجهوده الخاص بعيدا عن مساعدة والده .
وصدقته ريهام وكانت دائما تعامله بذوق وتحافظ علي شعوره من منطلق أنه ابن ناس وخريج جامعه وشاب مكافح . كان يحضر لها كل صباح في الموعد الذي تحدده له في اليوم السابق .. فيوصلها إلي كليتها .. وقبل أن تغادر التاكسي تخبره بموعد انتهاء محاضراتها .. فتجده في انتظارها بالموعد الذي تحدده له .
ومجرد أن تركب التاكسي يبدأ محيى في الدردشة معها .. خصوصا بعض النوادر التي تحدث من زبائنه الركاب .. فمنهم القادمون من الأرياف .. ومنهم الصعايدة الذين قدموا إلى القاهرة لأول مرة وانبهارهم بمظاهر القاهرة لأول وهلة تجعلهم يتساءلون ويتصرفون بطرق مضحكة .. وحديثه دائما لا يخلو من المرح والدعابة .. وهو لماح .. حاد الذكاء .. ومع طول الفترة التي قام بتوصيلها فيها .. فهمْ الكثير عنها وعن طباعها .. وبنظرة سريعة لوجهها يمكن أن يعرف مكامن ضعفها عن طريق مزاجها .. وخلجات نفسها .. وعلي هذا الأساس يدور حديثه .. إذا كانت سعيدة ومبتهجة .. حدثها عن نفسه وطموحاته ونظرته للمستقبل .. والمشروع الذي ينوي إقامته من إيرادات التاكسي بعد أن يكون رأسماله .. حتي يصبح رجل أعمال . وإذا كان وجهها عبوسا مكفهراً .. يداعبها ويحكي لها النكات والقفشات حتي يدخل علي قلبها السرور قائلا لها :
- ابتسمي يا آنسه ريهام محدش واخد منها حاجة أنت أحسن من غيرك بكثير .



وفي الحقيقه أن ريهام دخلت قلب محيى لدرجة أنها أصبحت شاغله الشاغل ولايمكن أن يتأخر عن موعدها لحظة .. وكان ذلك يسعد ريهام كثيرا .. بل وهي أيضا كانت ترتاح له وتحب أن تستمع له ولكل أحاديثه .. لم تجد أى ضيق أو ملل في كل ما يقوله ويحكيه لها .. لذلك فقد كان محيى يتحدث عن نفسه بما يوحي لها بأنه من عائلة محترمة .. ولكنه لم يقل لها أن أسرته تقطن في شقة متواضعة في حى بولاق كما لم يقل لها ان له شريكاً في هذا التاكسي الذي يعمل عليه وأنه هو وشريكه اشترياه بالتقسيط .. ويقومان بتسديد أقساطه من دخله ..

***

(٨)

أما عملية الرشوة التي تتم في شركة المهندس صلاح البنداري .. فقد تأكد للنيابة من خلال التسجيلات التليفونية صحة البلاغ ضد هؤلاء الذين لا ضمير لهم ولا خلق .. وهم يضعون مصلحتهم الشخصية فوق المصلحة العامة .. وفوق مصلحة الشركة التي يعملون بها وقد منحتهم الكثير .. كانت هناك مساومات ومشاورات كثيرة بينهم وبين الوكيل التجاري للشركة الألمانية .. ومن ضمن إحدي المكالمات التي سجلتها النيابة واستمع إليها النائب العام مكالمة يطلب فيها مدير عام الشركة الدكتور خطاب عبد المنعم من صدقي عبد التواب الوكيل التجاري للشركة الألمانية عقد عمل لابنه في ألمانيا إلى جانب منحة دراسية من إحدى الجامعات الألمانية حتي يستطيع الحصول علي الدكتوراة من ألمانيا .. وعده صدقي عبد التواب بتحقيق طلبه وأنه سوف يرسل للشركة في ألمانيا لبحث طلبه هذا .

ومكالمه أخري من صدقي عبد التواب للدكتور خطاب يزف له فيها نبأ وصول ممثل الشركة .. هر " هانز كول " ولديه تفويض من الشركة بالموافقة علي جميع طلباتهم وشروطهم وزيادة المبالغ النقدية التي تمنح لكل منهم ..

وبعد أن وصلت معلومات لنيابة الأموال العامة بوصول " هر هانز كول " مندوب الشركة الألمانية قامت في الحال بوضع تحركاته وتليفوناته تحت المراقبة .. وقد سجلت إحدى المكالمات التليفونية بين صدقي عبد التواب مندوب الشركة التجارى في القاهرة وبين الدكتور خطاب تخبره بأن ممثل الشركة الألمانية " هر هانز كول " معه عقود عمل لأولادهم في ألمانيا .. حسب طلبهم.. وقال له إنه عقب إرساء العطاء علي الشركة الألمانية والإنتهاء من المشروع سوف يتم تعيين الدكتور خطاب في وظيفة بمرتب ثلاثة آلاف جنيه شهريا في شركة استثمارية ألمانية في القاهرة .. وقال له صدقي سأقوم بزيارتك غدا في مكتبك أنا وهر " هانز "ومعنا ثلاثة مظاريف بالمقدم لثلاثتكم .

قال له الدكتور خطاب :

- كام لكل منا ..
- كما طلبتم .. ولكن ما هو الموعد المناسب لمجيئى لك ؟
- أفضل مبكرا قبل زحام المكتب .. الساعة الثامنة صباحا .

- وهو كذلك سوف نكون عندك بالأمانه " يعني المقدم "
- اتفقنا .
- سلام .
أبلغت النيابة المهندس صلاح البندارى بما جاء فى المكالمة وما دار بين المندوب التجارى والدكتور خطاب .. وأخبرته بأن البوليس سوف يكون فى الشركة فى السابعة صباحا كى يتخذوا مواقعهم دون علم أحد حتى يتم رصد دخول صدقى ومعه هر " هانز كول " وتتبعهما إلى أن يدخلا مكتب الدكتور خطاب .. وضبطه عند تسليم المظاريف الموجود بها الرشاوى .. وطلبت النيابة منه أن يعمل ترتيباته فى الشركة لاستقبال رجال المباحث دون أن يشعر بهم أحد .
قام المهندس صلاح فى الحال بعمل كل الترتيبات اللازمة .
وفى السابعة صباحا كان من أرسلتهم النيابة لضبط عملية الرشوة .. موجودين فى مواقعهم بالشركة .. كما كان بعض رجال الدكتور صلاح يقفون فى بعض الأماكن دون أن يشعر بهم أحد .. لمراقبة مكتب الدكتور خطاب و أيضا لمساعدة رجال المباحث .
وبعد وصول صدقى عبد التواب ومعه مندوب الشركة الألمانى بدقائق .. وبإشارة من ضابط المباحث قائد العملية .. قام رجال البوليس باقتحام مكتب الدكتور خطاب وتم ضبط المظاريف أثناء تقديمها للدكتور خطاب .. كما تم التحفظ على جهاز التسجيل الذى وضع فى مكتب الدكتور خطاب والذى سجل ما دار من حديث بين مندوب الشركة وبين الدكتور خطاب منذ دخولهما المكتب .
وبتفتيش مكاتب الدكتور خطاب ورفاقه فى عملية الرشوة هذه.. تم العثور على عقود عمل أبرمت بين الشركة الألمانية وبينهم كما تم العثور على بعض الهدايا صناعة المانية .
وقامت النيابة بحبسهم على ذمة التحقيق .. وقد تضاربت أقوالهم .. وأخذوا يتخبطون بعد مواجهتهم بالتسجيلات التليفونية التى دارت بينهم عن هذه الصفقة .. وما كان يطلبه كل منهم وشروطه .
وانهاروا جميعا .. واعترفوا على بعضهم البعض بجرمهم .. وتمت احالتهم للمحاكمة .

***

أثناء وجود إيهاب شقيق نسرين فى القاهرة عند عمته .. طلبت منه كل من رانيا ونسرين وعلياء اصطحابهن للسهر فى ملهى الأنوار بشارع الهرم .. رغم اعتراض ألفت هانم بالنسبة لإرتياد مثل هذه الأماكن ولكنهم أبدوا رغبتهم فى سماع صوت مطربة جديدة تدعى " عتاب " تحيى السهرة فى هذا الملهى لها صوت عذب رخيم تتحدث عنه كل الأوساط الفنية ويقال إن لها مستقبلا زاهراً فى سماء الطرب مما يجذب إلى هذا الملهى كثيراً من الرواد .

سمحت لهم ألفت بالذهاب إلى ملهى الأنوار بعد توسلات .. واصطحبهم إيهاب .. وهناك تناولوا العشاء .. وبعد أن انتهت عتاب من أداء الفقرة الخاصة بها .. اتجهت إلى مائدة يجلس عليها بعض الشبان الذين أسكرتهم نشوة صوتها فشربوا حتى الثمالة .

جلست عتاب إلى جانب شاب منهم شد انتباههم جميعا بتصرفاته الشاذة .. وقد لمحه إيهاب عندما اتجه نظره للمكان الذى جلست فيه عتاب ... إنه يعرفه جيدا .. فهو صفوت ابن عمه عبد الفتاح الشمشتاوى .. قال لهم إيهاب :

- انظروا إلى هذا الشاب الذى يشعل السيجارة لعتاب بورقة من فئة العشرين جنيها .. هل تعرفونه ؟

ردوا جميعا فى صوت واحد :

- لا .. لا نعرفه .. من هو .. ؟ هل تعرفه أنت ؟

- نعم إنه صفوت ابن عمى عبد الفتاح .. لقد ضاقت المنصورة به.. وضاقت بفضائحه هو وأصحابه .. فجاءوا للقاهرة حيث المجال أوسع .

أخذ صفوت يشرب ويملأ لعتاب الكأس كلما فرغت ويطلب المزيد من زجاجات الويسكى .. إلى أن فقد توازنه فانقض على المطربة عتاب ليقبلها ويحتويها بين ذراعيه بطريقة مخلة بالآداب .. الأمر الذى جعلها تحاول أن تتخلص منه حتى لا تحرج نفسها أمام رواد الملهى .. ولكنها فشلت لتشديد قبضته عليها مما أثار رواد الملهى خصوصا معجبيها وقد تحركوا لتخليصها بدافع غيرتهم منه .. فانقلب الملهى رأسا على عقب على من فيه وساده الهرج والمرج .. وعلى الفور طلب إيهاب من أخته ورانيا وعلياء القيام بسرعة وعادوا إلى المنزل بعد أن أوصلوا علياء إلى منزلها .

لاحظت ألفت هانم أنهم حضروا مبكرا .. سألتهم :

- ألم تذهبوا إلى ملهى الأنوار ؟

- ذهبنا وكانت مفاجأة عجيبة لم نتوقعها على الإطلاق عكرت علينا صفو السهرة .. وقال لها إيهاب مداعبا :
- حذرى يا تانت .. ما هى تلك المفاجأة التى عكرت علينا صفو هذه السهرة الجميلة ؟!
أجابت :
- لست أدرى .. لقد أصبحت فى شوق لمعرفة ماذا حدث .
بسرعة قالت رانيا :
- تصورى يا مامى .. مفاجأه لم أتوقعها إطلاقا ..تعرفى من كان هناك وعكر علينا صفو السهرة ؟
- من يا رانيا ؟
- صفوت ابن خالى عبد الفتاح .
- وكيف عرفتموه ؟
يرد إيهاب :
- أنا يا تانت طبعا .. أنا أعرفه جيدا .. هو فيه أحد فى المنصورة. بل فى الدقهلية كلها لا يعرفه ؟ إنه معروف هناك بنزواته وانحرافاته .. وتصرفاته الشاذة وشلته المنحرفة فى كل مكان .
- وهو هل عرفكم ؟
قالت نسرين :
- هو كان دارى بنفسه حتى يعرف من حوله ؟ . لقد كان فاقد الوعى لكثرة ما شرب .. تصرف تصرفات شائنة مع المطربة عتاب .. أثارت كل من فى الملهى ضده وحدث هرج ومشاكل بالصالة ، الأمر الذى جعلنا نتركها ونخرج بسرعة قبل أن يصيبنا سوء .
قالت ألفت :
- خير ما فعلتم .. ولكن مصادفه غريبة .. ويعنى هذا لا يحدث إلا فى اليوم الذى تذهبون فيه إلى هناك ؟ حاجة موش معقولة !
ردت رانيا :
-هذا من حسن حظى أنا يا مامى .. لأنى كنت فى غايه الشوق لرؤية صفوت ابن أنكل عبد الفتاح لكثرة ما سمعت عنه وعن نزواته من نسرين وإيهاب .
وأثناء حديثهم هذا مع ألفت هانم .. دق جرس التليفون .. إنها شقيقتها سامية
- ألو .. أيوه يا سامية .. ما الخبر .. هل سمعتى من علياء ما حدث من ابن شقيقك عبد الفتاح فى الملهى ؟

– نعم يا ألفت جكت لى علياء على كل شىء وأنا أطلبك من أجل ذلك .. هل يعجبك هذه التصرفات من ابن شقيقك يا ألفت .. وهل هذه تربية .. كيف ترك عبد الفتاح أولاده حتى تسير الأمور إلى هذا الحد ؟

– هذا هو المصير المحتوم لهم يا سامية .. ماذا تنتظرين ؟ ! أبوهم نفسه تصرفاته منحرفة .. فهل تنتظرين من أبنائه أن يشبوا مستقيمين .. كيف ؟ .. لقد أصبحوا وصمة عار فى جبين عائلة الششتاوى فى الدقهلية .

– أمرنا إلى الله .. تصبحى على خير يا ألفت .

– وأنت من أهل الخير يا سامية .

***

وسامح الذى يعرفه عن قرب لا يندهش من معاملته هذه لابنة خاله نسرين ..

لقد نشأ سامح مدللا .. محاطا بكل وسائل الرعاية والحنان ..كما أنه ظل وحيد أبويه ما يقرب من اثنى عشر عاما قبل أن تولد شقيقته رانيا .. مما جعله طوال هذه الفترة .. وحتى الآن يحظى بمعاملة خاصة من والديه .. وهو دائما يأمر فيطاع .. كل ما يطلبه مجاب .. كما أن شعوره الدائم بحب والديه له .. وفخرهم واعتزازهم به .. خلق عنده نوعا من الكبرياء والنرجسيه والغطرسة والأنانية ..كل ذلك جعله لا يشعر ولا يحس بأحد حوله.. فقط لا يشعر إلا بنفسه .. بوجوده .. بالمستوى الرفيع الذى عاش ويعيش فيه .

علاوة على ذلك فهو شاب وسيم .. طويل القامة .. أنيق .. حسن المظهر .. قسمات وجهه جذابة يحرص دائما على الظهور بأفخر أنواع الثياب .

أما نسرين .. تلك القادمة من الأرياف .. كما أطلق عليها عندما علم بقدومها لأول مرة .. فهو لا يشعر بانتمائه إليها .. ولابدرجة قرابته منها .. كل ما كان يشعر به نحوها أنها مجرد ضيفة عندهم.. لا أكثر ولا أقل .. وأنها ضيفة ليست من مستواه . كانت نظرته لها على هذا الأساس .. مما جعله لا يعيرها التفاتا من قريب أو من بعيد .. بل كان يضع بينه وبينها جدارا سميكا من عدم الألفة .. ،كانت المسافة التى تفصل بينهما بعيدة كل البعد عن أى تفاهم أو تقارب .. بعيدة حتى عن مجرد تبادل الكلمات أو المجاملات ..



وكان هو يرى بينه وبين نفسه أنها ليست من مستواه شكلا وموضوعا .. وأن هذا هو سبب بعد المسافة التى بينهما وعدم استلطافه لها .

كل ذلك .. رغم أن والدته قد نبهته أكثر من مرة .. بأن نسرين هذه ابنة خاله .. وأن صلة الدم والقرابة تحتم عليه أن يجاملها دائما .. وأن يكون مهذبا معها .. مراعيا لشعورها ..

أنها ابنة خاله الذى تعتبره الأم أخاها الوحيد الذى تحبه حبا كثيرا .. بعد أن غدر بهم شقيقهم الأكبر .. وخرج من حياتهم نهائيا وإلى الأبد .. كانت الأم أيضا تحاول جاهده أن تقرب المسافة بينهما .. تحاول أن تذيب الجليد الذى لاحظت أنه يتراكم بينهما يوما بعد يوم .. وحتى لا تشعر ابنة أخيها بالغربة والضيق وسطهم .. لكن محاولات الأم كانت دائما تبوء بالفشل .. فسامح له عالمه الخاص .. سهراته .. وحفلاته .. ونواديه .. عنده ما يشغله عن كل هذه الأمور بعيدا عن الأهل والأقارب .. عنده من هم فى مستواه من الجنسين .. يعيش معهم ويحيا بهم حياة صاخبة ماجنة حسب هواه .

***

و.. إذا نظرنا إلى نسرين .. نجدها أيضا .. قد نشأت مدللة محبوبة من والديها .. وليس سامح وحده .. وأيضا هى أكبر أخوتها .. وأول من تفتحت عليه أعين والديها .. ولكن فرق كبير.. وشتان بين النشأتين .. فنشأة سامح المترفة .. جعلته ينطلق ويتحرر من كل القيود .. ومن أى مسئولية .. ليعيش حياته طولا وعرضا .. بعيدا عن مشاكل الدنيا ومتاعبها .

كل ذلك أعطاه جرعات من الكبرياء وعدم الشعور بالمسئولية والانتماء .. عدم الشعور بالغير .. فقط يعيش لحياته الخاصه التى يحبها ..

أما نسرين فقد نشأت وسط أسرة محدودة الدخل جدا .. وقد انعكس ذلك على مظهرها .. وسلوكها الذى اتسم بالتواضع .

كما أن حبها الشديد لوالديها .. جعلها تلمس حالتهما الماديه جيدا وهى فى سن مبكرة بدافع حبها الشديد لهما وتحملها للمسئولية .. مما جعلها تتبسط فى ملابسها ولا تغالى فى مطالبها حتى لا ترهقهما .. مراعاه منها لظروفهما الماديه .. وحتى يستطيع والدها الإنفاق على باقى الأسرة ..

***

وينتهى العام الدراسى الثانى .. بعد أن بذلت نسرين مجهودا مضنيا فى الاستذكار فهى لا يهمها فقط أن تنجح .. ولكنها حريصة أيضا على أن يكون تقديرها أن لم يكن امتيازا .. فليكن على الأقل جيد جدا ..

ومع نهاية العام .. يأتى محمود .. كما هى العادة ليصحب نسرين إلى المنصورة بناء على تعليمات من والدها ..

كانت عائلة العمة قد تعودت عليه .. إذ أصبح من المألوف أن يأتى محمود إلى فيلا العمة ليصطحب نسرين عند سفرها إلى المنصورة .. كما كان يتردد عليهم عندما يعتزم السفر إلى المنصورة ليستفسر من نسرين عما إذا كانت تريد شيئا من أسرتها يحضره لها معه .. أو يحضر لها رسالة أو بعض الأشياء من والدها عند عودته .. كما كان يتصل بها تليفونيا من آن لآخر كى يسأل عليها . وعما إذا كانت تريد منه أية خدمة ..

و.. ظلت نسرين بالمنصورة .. تنتظر ظهور النتيجة على أحر من الجمر .. وبينما كان القلق مستبدا بها خصوصا بعد أن ظهرت نتيجة إيهاب ونجح بدرجة جيد جدا .. واطمأنت الأسرة عليه .. وبينما هى على هذه الحالة ..

يدق جرس التليفون ..

وتجرى نسرين نحو التليفون متلهفة لأنه جرس ترنك .. وإحساسها يقول إنه من القاهرة وبخصوص نتيجتها .. وكان لها ما توقعت ..

– مبروك يا نسرين ..ألف مبروك .. نجحت بامتياز . .

– أهلا عمتى .. أشكرك جدا جدا .. كنت قلقة .. الحمد لله . الحمد لله أشكرك يا عمتى وكيف حال عمى صلاح .. ورانيا ونتيجتها ؟

– الحمد لله نجحت وستكون إن شاء الله فى الثانية الثانوية العام الدراسي القادم .. وكيف حال إيهاب ؟

– نجح بدرجة جيد جدا ..

– مبروك .. ألف مبروك ..

وتلتقط رانيا سماعة التليفون بلهفة وتتبادل التهانى مع إيهاب وكذلك نسرين .. (أمضت نسرين أجازة سعيدة .. فرحة بنجاحها وتفوقها .. ملأت البيت على والديها مرحا وبهجة طوال الأجازة .. وقد زاد من سعادة الأسرة نجاح إيهاب أيضا .

وأثناء هذه الأجازة .. عرفت نسرين الكثير عن أخبار أولاد عمها

عبد الفتاح المؤسفة . كما سمعت من والدها بعض أخبارهم المشينة عندما قصت عليه هى وإيهاب ما حدث من صفوت وتصرفاته فى ملهى الأنوار .

قال لها والدها فتحى :

– يا ابنتى .. ما خفى كان أعظم .. إن تصرفاته الهوجاء هذه والبذخ الذى يعيش فيه والسفه الذى ينفق به على هؤلاء الأصدقاء من أعوان السوء .. جعلت الإشاعات تتطاير من حوله .. وهناك من يقول أنه متزوج من غانيه بالقاهرة .. وغيرها من الإشاعات.. كما سمعت أن حشمت شقيقه رسب ثلاث سنوات فى السنة الأولى بكلية التجارة وبذلك يكون قد استنفد مرات الرسوب .. وتم تحويله إلى السنة الأولى بمعهد الخدمة الاجتماعية ورسب فى السنة الأولى بالمعهد أيضا .. أما بهجت فقد نجح فى كلية الحقوق وانتقل إلى السنة الثالثة بالكلية .. والابن الأصغر شوكت نجح فى الإعدادية .. وانتقل للسنة الأولى بالمرحلة الثانوية .. ويقول الأب لابنته إن هذه الأخبار التى أقولها لكم سمعتها من قريب لى من قريتنا صفصافة .

***

كانت تصرفات صفوت فى قريتهم صفصافه ..تمتاز بالرعونة والانحراف فى كل شىء .. وكان يعتبر كل من بالقريه خادماً له .. وكان من يخالف أوامره يعتبر مجرماً آثماً ويستحق العقاب ولابد أن ينال جزاءه .. معتمدا فى ذلك على مركز وجاه والده .. وشكاه كثيرون لوالده عبد الفتاح ..ولكن الوالد لا يحرك ساكنا .. بل كان يرى أن ذلك من سمات الرجولة وقوة الشخصية .. ومن متطلبات الحزم ، حتى يخشاه أهل القرية ويصبح الجميع تحت سطوته .

وقد عمل صفوت على السيطرة على الجمعية الزراعية بالقرية .. ووقف فى وجهه مدير عام الجمعية .. فهاله ذلك الأمر الذى جعله يذهب لوالده ويطلب منه العمل على نقل مدير الجمعية منها .. وكان له ما أراد ! فقد ذهب والده إلى مديرية الزراعة بمدينة المنصورة ..واتهم مدير الجمعية بالسرقة وطلب نقله إلى بلدة أخرى .. وقام صفوت بتعيين شخص آخر يضمن تعاونه معه .. كان يأخذ التقاوى المنتقاة من الجمعية ويبيعها فى السوق السوداء .. كما كان يأخذ المبيدات الحشرية ويبيعها أيضا فى

السوق السوداء .. وكان مدير الجمعية يخشى أن يقول له : لا ..إذ أن كلمة " لا " لصفوت الشسشتاوى نتيجتها معروفة جيدا فى القرية .. الهول و من بعده الطوفان .

***

لم يعد هناك ما يشغل بال نسرين وتفكيرها أو يعكر صفوها إلا شيء واحد هو الطريقة التى يعاملها بها سامح ابن عمتها .
لماذا تستسلم وتتركه يعاملها بهذه الطريقة المهينة ليس فقط لكرامتها .. ولكن أيضا لشخصها كإنسانة لها شخصيتها ووجودها.. وكابنة خال له .. لماذا تستسلم ؟ .. لماذا لم تفرض عليه شخصيتها وتجبره على احترامها .. لماذا ؟
وظل هذا الموضوع مسيطرا على كل تفكيرها طوال الأجازة .. وفجأة .. صممت على أنها لن تقف مكتوفة الأيدى بعد ذلك .. لابد من عمل شيء من ناحيتها يجبره على تغيير أسلوبه هذا وسلوكه معها .. على أن يحترمها ويعاملها معاملة تتفق وكرامتها .. كان تصميمها هذا مصحوبا بنوع من التحدى .
ولتبدأ فى تحديه منذ اليوم الأول لوصولها إلى القاهرة بعد انتهاء الأجازة مباشرة .
لتبدأ بمجرد وصولها فى وضع نفسها فى موقف الند له ... فى وضع متساو معه فى كل شيء وأن تفهمه بكل الطرق سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .. إنها مثله بالضبط .. وإنه لا يتفوق عنها فى أى شيء .
المهم أن يفهم ذلك ويعيه جيدا .
انتهت الأجازة ..
وسافرت نسرين إلى القاهرة ..
كان أهم شيء حرصت عليه أن تبدو لأول وهلة عند وصولها أكثر جمالا وإشراقا من أى وقت مضى .. كما أحسنت اختيار الثوب الذى ترتديه لأول مرة .. وبدت نسرين جميلة فعلا .. الأمر الذى جعل عمتها ورانيا تلاحظان ذلك بطريقة ملموسة .. وتعلقان بكلمات الثناء عليها وفى وجود سامح ..
قالت العمة :
– ما هذا يا نسرين .. ؟ ماهذا الجمال والإشراق كله ؟ .. وهل الأجازة لها مثل هذا التأثير الساحر ؟
وتعلق رانيا :
– وأيضا الفستان يا " مامى " .. أنا معجبة به جدا .. ولازم أعمل فستان مثله ..

ثم تتجه رانيا إلى سامح متسائلة :
- واللا إيه يا سامح .. ؟ .. ألاترى معى أن هذا الفستان أنيق جدا؟ وأيضا نسرين نفسها .. ألاترى أنها أصبحت تنافس ملكات جمال العالم ؟
ولكن سامح يدير دفة الحديث بسرعة .. حتى لا يعطى فرصه للتمادى فى عبارات الإعجاب والإطراء التى تنهال على نسرين .. والتى لم تجد صدى حسنا فى نفسه .. فيقول لنسرين متسائلا .. دون أن يعطى جوابا لاستفسارات رانيا :
- وكيف حال خالى فتحى .. وتانت مرفت .. وإيهاب .. هل سافر إلى الاسكندريه
وترد نسرين فى كلمات مقتضبة .. بعد أن قررت بينها وبين نفسها أن تبدا التحدى:
- نعم جميعا بخير .. وقد سافر إيهاب أمس إلى الاسكندريه ..
ويمر يوم بعد يوم على وصول نسرين .. ويجد سامح نفسه -على الرغم منه - يختلس النظرات إليها وكأنه يتحقق مما قالته والدته ورانيا شقيقته .. وقد جذبه جمالها أيضا .. يجد نفسه وكأنه يكتشف نسرين لأول مره .. أو .. كانه لم يرها أو لم يعرفها من قبل ..
لقد تفتحت عيناه فجأه على جمالها ..
كما لاحظ فيها أشياء كثيرة لم يكن يراها من قبل ..
وكأن كلمات الثناءالتي صدرت عن والدته وشقيقته هى التى لفتت نظره .. أو هى التى نبهته إلى كل هذا الذى يراه لأول مرة.. أو هكذا خيل إليه لقد خيل إليه .. أنه يراها ويتعرف عليها الآن فقط . وأن نسرين التى أمامه الآن .. ليست هى نسرين التى عرفها بالأمس ..
وبدأ بين نسرين وسامح منذ اللحظة الأولى لوصولها حوار صامت .. وتحد سافر .لقد تفتحت عينا سامح عليها فجاة .. ليجدها وقد تفتحت مفاتنها وتطورت شخصيتها ..
أصبح يختلس النظر إليها من وراء ظهرها .. ينتهز أى فرصة كى يتفحصها من قمة رأسها حتى أخمص قدميها .. يلسعها بنظراته الغامضة . نظرات شهوانية غير بريئة .
ولاحظت نسرين أن ابن عمتها ينظر إليها نظرات لاتحبها .. نظرات تفترس أنوثتها بطريقة غير مهذبة .
حارت فى أمره !!



بدأ سامح فى مبادلة نسرين بعض الكلمات .. وبعض المجاملات مضطرا مندفعا إليها رغم أنفه .. ودون أن يشعر بهذا الذى يشده إليها ..

كان يضغط على نفسه محاولا التحكم فى تصرفاته .. حتى لا يفلت زمام سيطرته عليها ..

كانت نسرين تشعر بذلك .. تشعربه وهو يقاوم نفسه .. الأمر الذى جعلها تتحداه كثيرا متعمدة .. وتتمادى فى تحديها . وبدأ يدور بينهما مناقشات فى بعض الموضوعات .. أحيانا كان يحتدم الحوار بينهما .. كانت تتعمد أن يكون لها رأى مخالف لرأيه ..

كانت تحرص على أن تسند رأيها بالحجج والبراهين التى تضفى عليه القوه لدرجة الإقناع .. وفي الوقت نفسه

تحرص على أن تفسد آراءه لتبدو غير مقنعه بجانب حججها وآرائها السديدة

وكثيرا ما كانت تدخل معه فى مناقشات " بيزنطية " لا تنتهى إلى رأى محدد .. ودون أن يستطيع أحدهما أن يقنع الآخر ..

كانت تشعره دائما أنها لاتقتنع برأيه و لاتعترف بأفكاره .. ولا تطئمن إلى حججه غير القوية مهما كانت ..

وحتى إذا وجدت أنه على حق فى رأى ما .. كانت تتظاهر بأن هذا الرأى غير قوى .. ولايمكن أن تقتنع به ..

كانت كثيرا ما تفعل ذلك أمام العائلة وهى مجتمعة كى تحرجه وتظهره بمظهر العاجز كل ذلك كان يجعله يكظم غيظه منها .. محاولا من جانبه أن يفهمها دائما أن آراءها هذه ليست فى محلها.. وأنها مازالت تحبوفى عالم السياسة .. وأن أمامها سنوات طويلة حتى تستطيع أن تبدى رايا فى مثل هذه الموضوعات أنها مهما قالت فهى ليست سديده الرأى مثله ..

كان كل ذلك يجرى بينهما كنوع من التحدى السافر .. كنوع من المضاربات الساخنة التى تجرى بينهما بدون سبب ..

فقط . لمجرد أن أحدهما يتحدى الآخر ..

و.. أصبح لدى نسرين المقدرة على أن ترد على ابن عمتها .. وأن تعامله معاملة الند للند .أن ترد له الصاع صاعين ..

أصبح الحوار الصامت الذى كان قد بدأ بينهما .. حوار علنيا

لقد أصبحت شخصيتها الآن أقوى من ذى قبل .. اكتسبت حصانه ومناعة ضد تصرفاته بقوه وعزيمه فائقة ..إلى جانب كبريائها الذى أصبح يفوق كبرياءه ..

لم تعد تلك القطة العمياء .. تلك القطة الوديعة التى قدمت إلى القاهرة من الأرياف منذ حوالى سنتين .

وفى احدى الليالى كانت تجلس الأسرة مجتمعة حول التليفزيون لمشاهدة احدى المسرحيات .. وعلق سامح على بطلة المسرحية قائلا:

– هذه الممثلة مغرورة جدا .. " واخده فى نفسها قلم " .. دائما تحاول أن تفرض شخصيتها على البطل ..ألاتعلم أنها .. مهما فعلت .. فهى سيدة .. وأن " الرجال قوامون على النساء " .

تنبهت نسرين إلى ما يقوله سامح .. وما يرمى إليه من وراء كلامه هذا .. وإن ما يعنيه فقط هو أن يقول لها .. أو يفهمها بطريق غير مباشر :

– أنك مهما قلت .. ومهما فعلت .. فأنت سيده وإن " الرجال قوامون على النساء " فأجابت نسرين بسرعة :

– نعم نحن نعرف جيدا قول الله تعالى " الرجال قوامون على النساء " .. ولكن .. ألاتعلم معى أن فى تاريخ الإسلام نفسه نساء شهيرات لهن من الرأى سداده .. ولهن من الحكمة ومن المواقف ما يعترف بها أشراف رجالات المسلمين أنفسهم ويتحدث عنها التاريخ الاسلامى .. وتردد قصصهن الأجيال بعد الأجيال .

هناك على سبيل المثال السيده خديجة زوجه الرسول " صلى الله عليه وسلم " .. كانت لها تجارة واسعة .. وكان الرسول يرجع إليها فى كل ما يلم به من حاجاته الدينية والدنيوية .. وكان يأخذ بمشورتها .. وكانت خير عون له .. كما ساهمت بجهد كبير فى نشر الدعوة الاسلامية وفى حماية الرسول من أعدائه ..

والسيدة زينب بنت على ابن أبى طالب والدور الذى لعبته مع يزيد بن معاويه .. لتقنعه بالتنازل عن الخلافة لعلى ابن أبى طالب وقد تولت المحادثة معه وأفهمته فى مناقشتها وأقامت عليه الحجة باعتبار أن أهل البيت هم أقرباء الرسول المباشرين .. وهم أحق بالخلافه .. وان بنى أميه معتدون ..

كذلك الخنساء التى كانت تقول الشعر .. وما كان لها من مجالس أدبية قبل الاسلام وبعده وما امتازت به من رأى سديد .. وصبر وقوة فى الشخصية . وغيرهن .. وغيرهن كثيرات من نساء الاسلام اللاتى يمتزن بآرائهن السديدة وأفعالهن الشهيره .. والتى يتحدث عنها التاريخ ..



وهكذا كانت تسير الأمور بين سامح ونسرين مما كان يزيد من تحدى سامح لها .. وغيظه منها .

***

وذات صباح باكر ..تدخل الشغالة حجرة نسرين وتوقظها من نومها تقوم نسرين هلعة فقد قضت جزءاً كبيرا من الليل مع كتبها للاستذكار وأوت إلى فراشها فى ساعة متأخرة من الليل على أمل أن تستيقظ متأخرة إذ إنه لا يوجد لديها محاضرات فى الصباح .. لذلك فقد استيقظت هلعة .. لتجد أمامها الشغالة .. وقبل أن تفتح فاها كى تحتج على هذا الازعاج من جانب سعدية الشغالة .. بادرت سعدية قائلة لها : - الأستاذ محمود ياست نسرين .

- ماله ؟

- فى انتظارك فى الصالون .. ويقول إنه يريد مقابلتك لأمر مهم. تنسلخ نسرين من فراشها وترتدى ملابسها وتنزل مسرعة لمقابله محمود وهى هلعة - خير يا محمود .. ما الخبر ؟

- رئيسى فى العمل يا آنسة نسرين أصدر قرارا بنقلى إلى المنيا فى الصعيد بحجة أنها ترقية . وأنا لا أعرف أحدا هناك .. وكذلك ليس لى سكن ولا إقامة هناك .. مما سوف يسبب لى متاعب ومشاكل كثيرة .

- وكيف حدث ذلك يا محمود .. ولماذا لم تشرح له ظروفك .

- شرحتها .. ورجوته كثيرا .. ولكنه مصمم .

- نقل تعسفى ؟

- أبدا .. أبدا .. بل ترقية .. والأكثر من ذلك أنه يقول إنه اختارنى بالذات للذهاب إلى المنيا لكفاءتى ولأن العمل هناك فى حاجة إلى إنسان نزيه وكفؤ مثلى .

- وهل ذنبك أنك كفء فتتشرد وتنقل إلى آخر الدنيا ؟

- لست أدرى .. وأسف لازعاجك فى مثل هذا الوقت .. إذ إننى لم أجد من ألجا إليه هنا فى القاهرة يا آنسة نسرين إلا أنت .. وأتيت مبكرا كى أضمن وجودك قبل خروجك .. وحتى تكلمى أحدا من أقاربك هنا لأننى أعرف أن لك أقارب كثيرين فى القاهرة من ذوى النفوذ وأصحاب مراكز كبيرة وممكن أحد منهم يتوسط لى لإلغاء نقلى .

- طبعا يا محمود لا تخف ولا تحمل هما أبدا سوف أكلم " أنكل " صلاح .. وأبذل كل جهدى كى يتصل بالمسئولين عندك فى العمل

لإلغاء هذا النقل .
- بس أرجوك يا آنسه نسرين بسرعة لأن قرار النقل صدر فعلا ولابد أن أنفذه وأتسلم عملى فى المنيا خلال شهر من الآن .
- ياريتك كنت قلت لى قبل صدوره كان إلغاؤه حيكون أسهل .. على العموم متحملش هم .. " أنكل " صلاح " أدها وأدود " .. سوف أكلمه الآن أثناء تناول طعام الإفطار .
- شكرا لك يا آنسة نسرين .. شكرا جزيلا .
ويترك محمود نسرين فى طريقه إلى عمله .
على طعام الإفطار حرصت نسرين على تناول فطورها مبكرة مع زوج عمتها المهندس صلاح قبل ذهابه إلى عمله .. حتى تجد أمامها فرصة لتحدثه بخصوص موضوع محمود .. ورغم أن نسرين لاحظت تجهم وجه زوج عمتها والعبوس البادى عليه .. ورغم أنها لاتعلم السبب .. لأن أحدا فى المنزل لايعرف شيئا عن الانحرافات التى حدثت فى شركته إلا زوجته ألفت .. ورغم ذلك .. رغم الضيق البادى على وجه صلاح .. وجدت نسرين أنه ليس هناك مفر من أن تحدثه فى أمر محمود قالت له :
- أريد منك خدمة يا أنكل صلاح أرجو أن تساعدنى فيها .
- تحت أمرك .
- حضرتك تعرف محمود عبد التواب جيدا .. وطبعا تعرف أن والده صديق بابا .. وهو هنا يسدى لى خدمات كثيره بناء على تعليمات من والده .
- نعم أعرف يا عزيزتى .. ماذا به ؟
- حضر هنا اليوم مبكرا .. وأخبرنى بأنهم نقلوه من القاهرة إلى المنيا .. مما سوف يرهقه كثيرا ويسبب له مشاكل لاحصر لها علاوة على عدم وجود سكن له هناك .. لذلك فقد طلب منى أن أكلم حضرتك لتتوسط له لدى المسئولين فى عمله لإلغاء أمر النقل .
- حاضر يا نسرين ..سوف أبذل قصارى جهدى لإلغاء نقله .
وأخرج صلاح بك من جيبه مفكره صغيره وقلم وطلب من نسرين اعطائه بيانات عنه قائلا لها :
- ماهو اسمه بالكامل وأين يعمل .
- اسمه محمود عبد التواب عبد الباسط .. يعمل فى مخازن الشركه العامه للأغذية والسلع الاستهلاكية .
قام صلاح بك بتدوين هذه المعلومات عن محمود ثم قال لنسرين :
- حاضر يا نسرين اطمئنى يا ستى سوف أعمل اللازم له .



تشعر نسرين بسعادة غامرة عندما لمست اهتمام زوج عمتها بطلبها .. قالت له :

- متشكرة جدا جدا يا أنكل صلاح .. لن أنسى لحضرتك هذا الجميل.

- العفو يا نسرين .. بس أرجو أن تذكرينى بموضوعه هذا .. لأننى والله يا نسرين يا ابنتى فى دوامة .. والشركة فى ظروف أخر لخبطة لا يعلمها إلا الله .

- سلامتك يا أنكل .. سأذكرك بإذن الله .

***

رغم هذه المناقشات .. والمشاحنات .. وهذا الصدام والخلاف فى الرأى بين سامح ونسرين وجد نفسه فجأه .. ودون أن يشعر مندفعا نحو نسرين .. مشدودا إليها بنوع من الإعجاب الحذر .. وهو غير قادر على كبح جماح نفسه واندفاعه هذا .. غير قادر على أن يوقف ما يشده نحوها ..

حاول إقناع نفسه أن هذا الذى يجرى بينهما .. ما هو إلا نوعاً من الاندفاع .. وتعبير غير مباشر عن رفضه من جانبه والعمل على الهروب منه .. لقد أصبح فى حيره .. لايستطيع أن يفهم نفسه بالضبط .. ماذا يريد منها .. هل هو فعلا معجب بها ؟

إنه يشعر برغبه أكيدة نحوها .. ولكنه كان يحاول أن يقنع نفسه أنها رغبة طائشة لا تستند إلى حب صادق بل ربما حب غير شرعى .. ولد على غير رغبته ..

إذن .. لامفر من قتل هذا الحب فى مهده .. قبل أن يكبر وينمو .. إنه لا يستند إلى أى نوع من الاقتناع ..

إنها نزوة طائشة لابد من احباطها بأى ثمن .. ووجد نفسه يكرر .. بأى ثمن .. بأى ثمن !

وظل سامح يحاول أن يقنع نفسه أن ذلك لايسمى حبا على الاطلاق .. ويقول

– إننى قطعا لا أحبها .. بل هى التى دائما تحاول أن تشدنى إليها لتلفت نظرى إلى جمالها وحتى تشعرنى بوجودها وشخصيتها العنيدة .. خصوصا بعد أن لاحظت اهمالى الدائم لها .. إنها دائما تحاول أن تجذبنى إليها عن طريق تسخيف آرائى والتمرد عليها كان ذلك يدور بخلده .. ولمعت عيناه فجاة عندما بدر إلى ذهنه فكرة شيطانيه لابد أن أكسر شوكتها وتمردها .. أن أهزم كبرياءها .. أن أجبرها على الخضوع ..

وأخذ يردد ثانيا .. لابد أن أجبرها على الخضوع بأى ثمن .. بأى ثمن !!

أن أذهب إليها فى حجرتها فى الصباح بعد أن تخرج رانيا إلى مدرستها مبكرا .. فهى دائما تخرج إلى كليتها فى وقت متأخر من الصباح بعد خروج رانيا .. وفى نفس الوقت يكون والدى قد ذهب إلى عمله .. كما أن والدتى عادة تكون نائمة فى حجرتها فى مثل هذا الوقت...

ستكون هذه فرصتى الوحيدة.. سوف أجعلها تركع أمامى.. سوف أقضى على هذه النزوة الطائشة... سوف أقتل هذا الحب الوليد فى مهده..

وفى الصباح ظل سامح يراقب من بالمنزل .. وبدأ العد التنازلى.. رانيا قد ذهبت إلى مدرستها مبكرا.. والده تناول إفطاره وحضر قائد سيارته ليحمل حقيبته وخرج الوالد خلفه... أما والدته فمازالت تغط فى نوم عميق..

وفى حذر شديد.. وعلى أطراف الأصابع.. ذهب سامح إلى حجرة نسرين فتح باب الحجرة.. وجد نسرين مازالت فى سريرها.. دخل الحجرة دون استئذان.

ولم تنتبه إليه نسرين إلا وهو يغلق باب الحجرة من خلفه بالمفتاح فقد أفاقت على صوت المفتاح وهو يديره بالباب ..

وقامت نسرين لتجلس فى سريرها فجأة اذ أنها لم تتعود أن ترى سامح فى حجرتها.. أو حتى على بابها منذ أن وطئت قدماها باب منزل عمتها.. ولكنها فجأة تراه يدخل الحجرة ويوصد الباب من خلفه بالمفتاح.

فى بادئ الأمر لم تتوقع منه أى أذى.. لم تصدق أنه يريد أن ينال منها شيئا.. قالت له:

- صباح الخير ياسامح..

- صباح النور ياعزيزتى..

ولكنها وجدته يقترب منها وهو فى حالة غير طبيعية.

فاعتدلت فى جلستها وهى تقول له:

- ماذا تريد ياسامح؟

- لا شيء .. فقط أريد أن أضمك إلى صدرى..

تركت نسرين السرير وهى فى حالة هلع مما ترى.. ووقفت لتدفعه أمامها.. وهو يقترب منها محاولا ضمها إلى صدره.. ولكنه تغلب عليها وطرحها على السرير أمامه..

لم تجد نسرين بدا من أن تقاومه بشدة وهى تقول له:

- عيب ياسامح.. أنا برضه ابنة خالك .

لم ينطق سامح بكلمة واستمر يقاومها.. محاولا التغلب عليها.. وهى تستعطفه أن يتركها ..

- أرجوك ياسامح أن تعود إلى رشدك اتركنى... حرام عليك ياسامح ...

- . .. .
- أنا أبنة خالك برضه ياسامح.. أرجوك.. لا تجلعنى أصرخ..
- ....
- سوف أستغيث ليحضر كل من بالمنزل إلى هنا ، لنجدتي منك... أرجوك ياسامح.... ووجدت نسرين نفسها تدفعه أمامها... وتقاومه بكل ما تملك من قوة.. وقد استطاعت بأظافرها الطويلة التى غرستها فى وجهه.. وفى كل جزء من جسده تصل إليه يداها.. لدرجة أن قطرات من الدم بدأت تنبع من وجهه من أثر تلك الجروح التى أحدثتها.. بأظافرها ..
- ....
أما هى فقد تمزقت أطراف قميص نومها بسبب مقاومتها .
ورغم ذلك... ظل مصمما على أن يصل إلى النهاية.. وصم أذنيه عن كل كلمة استعطاف قالتها.. ثم ما لبث أن قال لها:
- لن أتركك... لا تحاولى.. وإلا افتضح أمرنا...
لم تجد نسرين أمامها بدا من أن تصرخ... وهى تقول:
- مجرم ... مجرم ... حقير.. وبأعلى صوتها تنادى وتستغيث:
- تانت... تانت ألفت.. الحقينى ياتانت... الحقينى..
ووجد سامح أنه لا فائدة... وأن أمره سيفتضح.. وأنها لحظات قليلة ويجد جميع مَنْ بالمنزل يقرعون باب الحجرة ليروا ماذا حدث لنسرين لإنقاذها مما هى فيه.. بعد أن يسمعوا استغاثتها المدوية وصرخاتها المستعطفة..
تركها سامح مسرعا والغيظ يملأ نفسه.. وهو يصلح من هندامه.. ويمسح آثار الدم الموجود على وجهه ويداريه..
أدار وجهه نحو الباب هاربا... وعندما فتحه ... اصطدم بوالدته .. التى فوجئ بها فى مواجهته وهى تفتح الباب من الخارج هلعة مفزوعة.. تريد أن ترى ماذا حدث لنسرين... وآثار النوم مازالت على وجهها وقد استيقظت مذعورة على صراخ واستغاثة ابنة أخيها !
وتسأل الأم ابنها بمجرد أن رأته فى مواجهتها وهى تفتح باب الحجرة :
- ماذا حدث؟!
لقد اعتقدت الأم فى بادئ الأمر أن نسرين قد أصابها مكروه... أو مرض مفاجئ ألم بها.. وأن سامح كان عندها لإنقاذها ومعرفة ما بها...

سألته عما جرى لنسرين... ولكنه من فرط ارتباكه لم يجبها.. ولم يسعفه موقفه الشائن بالاجابة... لم يتفوه بكلمة واحدة ..

رأى أن يذهب بسرعة أولا إلى حجرته كي يصلح من ثيابه وهندامه... ويسترد نفسه.. ويداوى جراحه حتى يخفى آثار فعلته المنكرة..

ولكن الأم بمجرد أن نظرت إليه.. ورأته على هذه الصورة.. ولاحظت ارتباكه.. أحست بما جرى... توقعت مافعله.. خصوصا عندما رأت مظهره غير الطبيعى..

ودخلت الأم الحجرة فوجدت نسرين فى حالة يرثى لها ..

لقد قرأت كل شىء على وجه ابنة أخيها بمجرد أن نظرت إليها... وهى تبكى بصوت مرتفع وبدت فى حالة مؤلمة..

لم تتكلم نسرين كلمة واحدة .. بل أخذت تبكى وتنتحب.. واستمرت فى البكاء بصوت مرتفع دون توقف... ولم تجب عمتها بشىء .

أخذت عمتها تهدئ من روعها وتمسح دموعها... بعد أن تأكدت مما حدث.. فقد كان كل شىء واضح ولا يحتاج إلى كلام أو شرح .

بل أخذت العمة تضمها إلى صدرها.. دون أن تكلمها كلمة واحدة.. أو تسألها وهى فى ذهول .

طلبت ألفت هانم من الشغالة والطباخ اللذين حضرا مسرعين ليريا ماذا جرى لنسرين .. إحضار كوب من عصير الليمون لنسرين .. قالت لهما : إنها تشعر بمغص حاد فى معدتها .. كى تدارى فعلة ابنها خصوصا أنهما لم يريا سامح أثناء خروجه من حجرة نسرين .. وأخذت الأم تتوعد ابنها وهى تهدئ من روع نسرين... وتقول لها :

- لابد أن يحاسب سامح على ما فعل... وأنها سوف تنتظر حتى يحضر والده ليرى ماذا يفعل بابنه.. وكيف يقوم سلوكه المعوج هذا..

كيف يجرؤ على أن يفعل مافعله مع ابنة خاله؟!

كانت الأم فى غاية الخزى مما حدث... وهى تكاد لا تصدق نفسها .. لا تصدق أن ابنها الذى تحبه وتثق فيه كل الثقة يقدم على هذا العمل الشائن.. وأخذت نسرين تهدأ شيئا فشيئا... وعمتها بجانبها تعتذر لها لكى تكف عن البكاء كما رجتها ألا تبوح بما حدث لأى مخلوق كان .. وهى .. أى العمة وزوجها كفيلان بأن يقوما سلوكه المعوج هذا .. وحمدت الله على أنه لم يستطع أن

يصل إلى هدفه.. وأن ابنة أخيها استطاعت مقاومته وحماية نفسها منه .
أما سامح فقد أسرع وارتدى ملابسه وخرج من المنزل إلى عمله .. قبل أن تلحق به والدته ..
وأحضرت الشغالة كوب الليمون...
وفي بادئ الأمر رفضت نسرين أن تشربه... وعزفت عن تناول أى شيء.. فقالت لها العمة :
- أرجوك يانسرين أن تشربى.. علشان خاطرى ... وظلت العمة تستعطفها وترجوها ... إلى أن أخذت الكوب وشربت منه جرعة .. ثم... أعادته ثانيا ..
إنها لم تلتقط أنفاسها..ولم تستعد نفسها بعد من هول الصدمة التى انتابتها ..
بعد أن هدأ روع نسرين قليلا... استطاعت أن تلتقط أنفاسها... فكرت قليلا .. ثم قامت فجأة لترتدى ملابسها... واستفسرت منها عمتها، التى مازالت تجلس بجانبها :
- إلى أين أنت ذاهبة يانسرين... وأنت مازلت بهذه الحالة؟!
- أبدا ياتانت،، لابد أن أخرج الآن وفى الحال .
- أدى مهمة أنه ليس هناك ضرورة للخروج الآن .
- عندى محاضرة ... ولابد أن أحضرها .
- كيف وأنت هكذا؟!
- لا تشغلى بالك ياتانت سوف أصبح أحسن حالا عندما أخرج إلى الشارع وأجد نفسى بين زميلاتى .
- إذا كنت مصممة... فانتظرى حتى تحضر لك الشغالة تاكسى يوصلك الكلية.
- شكراً ياتانت.. سوف أستدعيه أنا...
وتسرع نسرين فى ارتداء ملابسها .
وتفشل العمة فى إقناعها بعدم الخروج .. وهى فى مثل هذه الحالة المؤلمة .. كما فشلت فى إقناعها بتناول فطورها.

***

أما بالنسبة لريهام ومحى سواق التاكسى فنجد أن كل يوم يمر بالنسبة لمحيى يجد نفسه يقترب من ريهام أكثر بل ويجد منها تشجيعا على أن يرفع الكلفة بينهما لدرجة أنها فى أحد الأيام كانت فى ضيق شديد بسبب تجاهل سامح لها .. وتماديه فى هذا التجاهل.. ولاحظ محيى ذلك أثناء توصيله لها فى الصباح

إلى الكلية .. ثم لاحظ بعد انتهائها من المحاضرات أنها مازالت مكتئبة.. ونظرا لما أصبح بينهما من ألفة .. تشجع محيى وقال لها:

– أنا ملاحظ ياآنسة ريهام أنك اليوم مكتئبة ولست كما هى عادتك.

– فعلا يامحيى... أنت قوى الملاحظة.. تعجبنى فراستك .

قال لها:

– هل تسمحي لى بأن يكون لى شرف الترويح عنك ولو لبعض الشيء ؟

– ياريت يامحيى... لا أظن أن هناك من يستطيع أن يزيح هذه الهموم التى تثقل كاهلى وتخيم على نفسى وتفعم قلبى... وتتمتم بصوت منخفض قائلة : شخص واحد فقط هو الذى يستطيع ولكنه يعيش فى عالم ثانى خالص .. بعيد كل البعد عنى.

يلتقط محيى منها هذه الكلمات ويسمعها ويفهم أنها تعانى من أزمة حب من طرف واحد... فيتحين الفرصة قائلا لنفسه « ياواد يامحيى اضرب الحديد وهو ساخن » فيقول لها:

– يضايقك إذا عزمتك على فنجان شاى فى أى مكان على النيل تختارينه؟

ترددت ريهام فى البداية.. ولكن مع إلحاح محيى وضغط الحالة النفسية المؤلمة التى تعانى منها .. وافقت.

جلسا معا على كازينو الأحلام على شاطئ النيل.

قال لها محيى:

– آنسة ريهام... أنا طبعا عائلتى ليست فى مستوى عائلتك .. ولكنى على أى حال

أفهم جيدا فى معاملة السيدات خصوصا الجميلات مثلك .. وأرجو ألا يضايقك إذا أبديت لك إعجابى بأناقتك.. وبعض ملاحظاتى خصوصا وأنا أكن لك كل الإعجاب والاحترام .

– إطلاقا يامحيى . أنت لست أول من يبدى إعجابه بأناقتى فأنا معروف عنى أننى أنيقة .

– وإذا قلت لك أنك أيضا جميلة.. ومدحت جمالك الذى دائما يجذبنى إليك .. هل يضايقك ذلك؟

– فقط فى حدود المعقول .



سعد محيي بإجابتها وشعر بأنها تقترب منه شيئا فشيئا .. سرح محيي ومر أمام عينيه شريط ذكريات أول لقاء بينهما.. تذكر عندما ركبت معه أول مرة .. وكانت تتحدث معه بعجرفة وبطريقة آمرة وكأنه سواق خصوصى لها.. وتذكر عندما لوح له مواطن آخر ليقف له لتوصيله فى طريقه معها... وبدأ يهدئ من سرعة السيارة .. وعندما أوشك على الوقوف.. أمرته بألا يقف.. وتحدثت معه بحدة قائلة:

- لا تقف لأحد.. أنا لا أحب أن يركب معى أحد... خذ أى مبلغ تريده...ولكن لا تقف لأحد وتركبه معى .

عندما قالت له ذلك أذعن لطلبها وسار فى طريقه متوجها إلى منزلها كما وصفته له.. وعندما وقف أمام منزلها سألته عن الأجر الذى يريده نظير توصيلها..

قال لها:

- لاشيء سوى ماسجله عداد التاكسى.

قالت له:

- ولكنى منعت ركوب أى شخص معى وحرمتك من النقود التى كنت ستحصلها ممن يركب معى.

قال لها:

- هذا حقك..ولن أتقاضى أنا أكثر من حقى.

عندما وجدت ريهام منه ذلك...رغم معاملتها له بطريقتها المتعالية... أعجبت بأخلاقياته هذه .. وقناعته التى نادرا ما تجدها عند سواقى التاكسى فى هذه الأيام .

عندئذ فكرت قليلا ثم سألته:

- ما اسمك ياأسطى؟

- اسمى محيى عبد الكريم.

- إذا طلبت منك ياأسطى محيى أن تأتى يوميا لتوصيلى من المنزل الى الكلية .. ثم من الكلية إلى المنزل بعد انتهاء محاضراتى .. هل لديك مانع نظير أجر شهرى؟

- إطلاقا.. أنا تحت أمرك .

وجدتها ريهام فرصة ذهبية كى تستريح من عناء ومشقة البحث يوميا عن تاكسى يوصلها للكلية وأثناء عودتها للمنزل.

قالت له:

- وهو كذلك.. اتفقنا.



واتفقت ريهام معه على الأجر الذى يتقاضاه منها شهريا نظير توصيلها يوميا من المنزل بمصر الجديدة إلى كلية الحقوق جامعة عين شمس وبالعكس فى المواعيد التى تحددها له.. ومنذ ذلك الحين.. أى ما يقرب من عام وهو معها مداوم على توصيلها ولا ينقطع عنها .

لاحظت ريهام أن محيى سرح بعيدا عنها قالت له:

- هيه .. أين أنت .. فيم تفكر.. وأين وصلت؟

بسرعة تدارك محيى أنه فعلا سرح طويلا.. وبعيداً.. أفاق لنفسه مسرعا ثم قال لها:

- أيوه ياآنسة ريهام... أنا معك طبعا.. هو فيه حد يكون معك.. ويسرح لحظة بعيدا عنك.. إن كل لحظة أقضيها معك ياآنسة ريهام تساوى عمرى كله.. إذن كيف أضيع عمرى؟

- لكنك فعلا سرحت.

- أبدا.. أبدا..

تجد ريهام أن الوقت قد سرقها وهى مع محيى.. وهى مازالت تعانى من أزمتها النفسية.. وأن وجودها معه بدون جدوى ولن يغير من أزمتها شيئا .

طلبت منه أن ينصرفا لتوصيلها إلى المنزل .

***

أما نسرين فقد فشلت العمة ألفت فى إقناع ابنة أخيها نسرين فى البقاء معهم بالمنزل بعدما حدث من سامح..

تخرج نسرين مسرعة إلى الشارع.. وتتجه إلى أقرب بقال لديه تليفون وتطلب محمود فى عمله .

- آلو ..

ويرد رئيس محمود فى العمل :

- من فضلك أريد التحدث إلى محمود عبد التواب.

- نقول له مين؟

- نسرين فتحى الششتاوى ..

- لحظة واحدة..

ويستدعى المدير .. محمود قائلا له:

- تليفون عشانك.. من آنسة تدعى نسرين ..

ويأخذ محمود التليفون بلهفة والسعادة تبدو على ملامحه بمجرد سماع اسم نسرين ..

- آلو.. أهلا.. أهلا.. آنسة نسرين..كيف حالك؟

– آلو.. محمود.. أرجوك يامحمود.. أريد مقابلتك حالا.. وفى أسرع وقت ممكن.. أرجوأن تستأذن من عملك وتحضر لى حالا.
اعتقد محمود أن نسرين قد وجدت حلا لمشكلته وأن زوج عمتها قد كلم المسئولين عنه فى العمل لإلغاء نقله فقال لها وهو يكاد يقفز من الفرحة:
– وفقت فى الموضوع الذى تحدثت معك فيه؟
– لا يامحمود ليس بعد.. أنا فى حاجة شديدة إليك الآن.. أريد منك خدمةسريعة.. أنا متعبة جدا.. أرجوأن تحضر حالا.. سأنتظرك أمام الباب الجانبى لحديقة الحيوان.. أرجو أن تسرع لمقابلتى.
ويلاحظ محمود أن نسرين ليست فى حالة طبيعية.. وأن نبرات صوتها حزينة.. خفيضة.. ومهزوزة .
ويرد محمود:
– ماذا بك ياآنسة نسرين؟
– ستعرف كل شىء يامحمود عند حضورك .
– سأكون أمام باب حديقة الحيوان فى الحال .
ويضع محمود سماعة التليفون.. ثم يطلب من مديره أن يأذن له بالخروج لأمر طارئ مهم .. ويسمح له مديره.. خصوصا بعد أن سمع المكاملة .
وأمام باب الحديقة الجانبى يلتقى محمود بنسرين..ويراها وهى ما زالت تنتحب وتبكى.. فيفزع محمود ويقاطعها قائلا :
– ماذا بك ياآنسة نسرين... ماذا حدث لك؟
وتبادره نسرين بالحديث وهى تبكى:
– أريد منك يامحمود.. إذا سمحت أن تبحث لى عن مكان فى أى بيت من بيوت الطالبات كى أقيم فيه بأسرع وقت ممكن.. أرجوك يامحمود أن تهتم بهذه الخدمة من أجلى . وليكن من الآن .
– سوف أبحث لك عن مكان خلال ٢٤ ساعة إن شاء الله..ولكن أخبرينى ماذا بك ؟ .. ماذا حدث؟
– أنا أعتبرك أخا لى هنا يامحمود.. لم أجد أحدا ألجأ إليه إلا أنت.. أرجوك أن تقف بجانبى.. إلى أن أجد مكانا فى أى بيت .
– أنا تحت أمرك.. ولن تمر هذه الليلة إلا بعد أن أدبر لك المكان.. ولكن.. أرجوك.. بالله عليك.. ماذا حدث؟.. هل حدث خلاف بينك وبين أحد فى منزل عمتك؟ وهل عمتك ووالدك يعلمان أنك ستبحثين عن مكان آخر للإقامة فيه ؟.

- لا أحد يعرف.. ولكننى مصممة.. وأرجوك أن تساعدنى.
- ولكن.. أمازلت مصممة على ألا تقولى لى ماذا حدث لك؟
- لقد تشاجرت مع سامح ابن عمتى.. إنه شاب طائش.. أحمق... مغرور ليس لديه مبادئ أو قيم.. أصبحت أكرهه.. وأمقت المكان الذى يتواجد فيه.. هناك استحالة أن أكون أنا وهو فى مكان واحد .

***

واستطاع محمود بفراسته أن يفهم ما حدث لنسرين تقريبا.. أو على الأقل استطاع أن يخمن أنه حدث شىء ما بينها وبين ابن عمتها.. ولم يعد فى حاجة إلى أن يكرر عليها الأسئلة والاستفسارات حتى لا يحرجها.. وقال لها:
- هدئى من روعك ياآنسة نسرين.. وستجديننى بجانبك إلى أن تجدى مكانا فى أى بيت... ولن أطمئن إلا بعد أن أجدك قد استرحت واستراحت أعصابك .. والآن يمكنك أن تذهبى إلى كليتك.. وأنا سأذهب لأبحث لك عن المكان.. ولن أعود اليوم إلا إذا وجدته.. وسأتصل بك تليفونيا الليلة لأخبرك بما تم .
- متشكرة جدا يامحمود... هذا ماكنت أتوقعه منك.. ولكنى سأنتظرك بالكلية ولن أعود إلى المنزل إلا بعد أن تخبرنى بما فعلت.. وهل وجدت لى المكان أم لا؟
- ولكن ربما تأخرت فى البحث بعض الوقت؟
- سوف أنتظرك إلى أن تعود مهما تأخرت.
- سأكون عندك بالكلية ما بين الخامسة والسادسة مساء.
ويذهب محمود معها ليوصلها إلى باب الكلية.. وعلى طول الطريق يحاول تهدئتها .
- أرجو أن تنسى ما حدث ياآنسة نسرين..وأن تنتبهى للمحاضرات وحتى لا يلاحظ أحد من زميلاتك أو زملائك مابك .
- سأحاول.. إن ما ينتابنى الآن خارج عن إرادتى يامحمود .
- حاولى.. حاولى... أرجوك .
وتدخل نسرين الكلية ويتركها محمود ليبدأ فى البحث عن مكان لها .

***

وفى المدرج.. تحاول نسرين أن تنسى ما حدث لها.. دون جدوى.. وتلاحظ نيبال صديقتها المقربة ما ينتابها... فتأخذها بعد

المحاضرة وتذهب بها إلى الكافيتريا بالكلية وتطلب لها كوب شاى حتى تفيق مما هى فيه.
وتقص نسرين على نيبال ما حدث لها مع ابن عمتها بالتفصيل.
وتبدى نيبال أسفها لما حدث.. وتعرض على نسرين أن تستضيفها فى منزلها حتى يجد لها محمود مكانا فى بيت من بيوت الطالبات.
وتشكرها نسرين على شعورها قائلة:
- إننى يانيبال لن أستطيع أن أترك منزل عمتى إلا إذا ذهبت إلى بيت الطالبات.. حفاظا على شعورها.. لأنها تحبنى جدا.. وهى آسفة جدا لما حدث... علاوة أنها الآن مثلى فى حالة نفسية سيئة بسبب ما فعله ابنها.. وستكون فى غاية الأسف إذا تركت منزلها ولجأت لك... ولست أدرى ماذا ستفعل عندما تفاجأ بأننى سأترك منزلها وأذهب للإقامة فى بيت الطالبات... ولكنى أرى أن هذا شىء لابد منه .
وظلت نيبال مع صديقتها نسرين طوال اليوم ما بين المحاضرات والكافيتريا تسرى عنها حتى يعود محمود وتعرف منه ماذا فعل... وعما إذا كان قد وجد مكانا لزميلتها أم لا...؟ خصوصا بعد أن لاحظت أن نسرين مصممة على عدم الإقامة فى منزل عمتها بعد اليوم .. وأنها لا تتصور أنها سوف تذهب ثانية إلى المنزل وترى ابن عمتها مرة ثانية .
وطال الانتظار ومحمود لم يأت بعد.. وجاوزت الساعة السابعة مساء .. ولم يحضر أيضا بعد .
ويئست نسرين من عودته.. بل وساورها القلق.. وتأكدت من أنه فشل فى الحصول على مكان لها فى أى بيت .
وبدأت تفكر فيما تفعل... وكيف ستعود ثانية للإقامة مع ابن عمتها فى منزل واحد .وتحت سقف واحد بعد ما حدث.. كما أنها لن تستطيع أن تذهب إلى منزل أحدى عماتها حتى لا تثير الأقاويل والقيل والقال.
وبينما هى كذلك وقد ساورها الشك والقلق والضيق فى نفس الوقت... وإذا بمحمود يبدو فى الأفق من بعيد.. ويعود الأمل إلى نفسها.. وتنبه نيبال مهللة :
- ها هو ذا محمود يأتى من بعيد..
ويصل محمود ...

وتستقبله نسرين فى لهفة قائلة:
- أهلاً محمود .. أرجو أن تكون قد وفقت.. ويرد محمود وهو يكاد يلهث من الإرهاق و التعب الشديد البادى على وجهه :
- حظك من السماء يا آنسة نسرين... فى آخر لحظة وجدت مكانا.. بعد أن يئست.. وكدت أعود لك بخفى حنين... ولكن تصميمى وعزمى على ألاأعود إلا إذا وجدت لك المكان.. حتى أخرجك مما أنت فيه.. هو الذى منحنى الصبر والإصرار حتى وجدته.. أتعلمين كيف توصلت إليه... فى آخر لحظة ؟
- كيف؟!
- عن طريق دفتر التليفونات... إذ إننى بعد أن يئست... ونفد صبرى تماما من كثرة اللف على البيوت التى أعرفها ولم أجد بها مكانا... راودتنى فكرة جهنمية.. ذهبت إلى صديق لى أعزب.. عنده تليفون بمنزله.. وعن طريق دفتر التليفون أخذت أتصل بجميع بيوت الطالبات التى يوجد لها أرقام بالدفتر... وبهذه الطريقة أفادتنا مشرفة بيت الطالبات فى شارع الجيزة.. بأن لديهم مكانا.. ولابد من الذهاب على الفور لحجزه وإلا شغل لكثرة الطلبات عليه .
وفى الحال... ذهبت إليه أنا وزميلى وتم حجز المكان بالفعل ويمكنك أن تكونى هناك إن شاء الله غدا فى الصباح.
لم تصدق نسرين نفسها... لم تصدق أنها وجدت مخرجا لمحنتها وبهذه السرعة... فقالت لمحمود وعيناها تكاد أن تدمعا من جديد:
- شكرا يامحمود... شكرا جزيلا...إننى لا أعرف ولا أدرى كيف أشكرك على هذا الجميل الذى لن أنساه لك أبدا .
- لا داعى يا آنسة نسرين للشكر... فأنت أخت لى وأنا تحت أمرك هنا .

***

اتفقت نسرين مع محمود على أن يأتي إليها فى منزل عمتها فى الصباح الباكر كي يساعدها في حمل حقائبها ويصحبها إلى بيت الطالبات الذي تجهل مكانه.
وشكرت نسرين صديقتها نيبال على وقوفها إلى جانبها فى محنتها..
وانصرفت نسرين الى منزل عمتها.
واستقبلتها عمتها بلهفة بالغة وبالقبلات.. بعد أن قلقت عليها كثيرا.. لتأخرها وعدم عودتها فى موعدها .. خصوصا وأنها تعلم

ما بها.. وما ينتابها من حالة نفسية مؤلمة.. وفي مثل هذه الظروف...

- أهلا نسرين... لماذا تأخرت حتى الآن ...؟ لقد قلقت عليك كثيرا؟ كدت أرسل أحدا للسؤال عليك بالكلية.. كيف حالك الآن؟ أرجو أن تكوني أحسن حالا من الصباح؟

- شكرا ياعمتي... أحسن... الحمد لله.

- قبل كل شيء طعامك جاهز... ويستحسن أن تأكلي أولا وتستريحي بعض الشيء.. حتى يزول الإرهاق البادي على وجهك.

لم تجب نسرين بل ظلت واجمة دون أن تنطق بكلمة واحدة.

وتستطرد العمة:

- أنا آسفة يانسرين لما حدث في الصباح... وأرجو أن تنسي كل شيء.. إذا كنت تحبينني فاعتبري كأن شيئا لم يحدث.. أنت لا تعرفين مدى الألم الذي يعتصرني الآن يانسرين بسبب ما حدث .. إن سامح لم يحضر إلى المنزل حتى الآن منذ أن غادره في الصباح على غير عادته... وإن عمك صلاح مازال في انتظاره كي يلقنه دراسا لن ينساه.. ولابد أنه خجلان من نفسه ومن فعلته الشائنة ... ومما بدر منه ... ولكنه لن يفلت من والده... إنني لم أر صلاح في ضيق منه طوال حياته بمثل ما هو الآن.. وترد نسرين بعد صمت طويل... وبعد أن استمعت لكل ما قالته عمتها:

- خلاص ياعمتي... لا تشغلي بالك .. كل شيء فات وانتهى... وماكسر لا يمكن اصلاحه ثانيا.

وتستفسر العمة:

- ماذا تعنين يانسرين .. إنني لا أفهم ما تقولين؟

- والله ياتانت... لولا حبي لك... ماعدت إلى هذا المنزل ثانية اليوم.

- أجدك لا تعيرين توسلاتي وما أقوله لك أي التفات.

- على العكس ياتانت .. إنني أحسب لكل خطوة أخطوها ألف حساب.. فقط حفاظا على مشاعرك .. ولكيلا تغضبي مني.

- شكرا يانسرين.. أنا أعرف ذلك جيدا.. وأعرف أن قلبك كبير وستقدرين موقفي.

- ولكني الآن ياعمتي.. خلاص.. سوف أنتقل غدا إلى بيت الطالبات.

وترد العمة وهي تظن أنها أخطأت السمع:

- ماذا تقولين يانسرين؟ !!

– لقد حجزت لى مكانا فى بيت الطالبات .. وسأنتقل هناك غدا.. إن شاء الله .

– غير معقول يانسرين .. ما هذا الذى تقولينه ؟.. إنك بذلك تضخمين الأمور.. وبدلا من أن نحصر المشكلة ونعمل على إخفائها وعدم نشرها... تنصرفين هكذا... لكى يعرفها من لا يعرف.

وفتحى أخى ماذا أقول له... ألم تفكرى يانسرين أنه سيترتب على تصرفك هذا سوء تفاهم بينى وبين شقيقى فتحى...؟ بل وربما قطيعة.. ألم تفكرى يانسرين فى أننا لسنا فى حاجة إلى وجود مزيد من الخلافات فى الأسرة.. ألم تفكرى فى كل هذا يانسرين ...؟

وهل اعتذارى وتوسلاتى لك هذه لم يكن لها أى اعتبار عندك؟!!

وترد نسرين:

– أنا مقدرة كل ذلك ياتانت.. ولكنى وجدت أن ذلك هو الوضع الطبيعى والمناسب بالنسبة لى... لقد فكرت كثيرا فى هذا الموضوع ... قبل أن أقدم على هذه الخطوة .. وثقى أن أحدا لن يعرف شيئا مما حدث .. بالعكس.. لقدوجدت أن بعدى عن هنا سوف يضع حدا لهذه المشاكل .

إن سامح ياعمتى منذ أن وطئت قدماى هذه الفيلا.. وأظنك تلاحظين ذلك جيدا .. يعاملنى معاملة لا أرضاها لنفسى... ولا يمكن أن أتحملها من أى إنسان آخر.. ولكنى أكظم غيظى... وأخفى ضيقى من طريقة معاملته لى.. من أجلك أنت ياتانت .

لعلك تلاحظين أيضا أنه ينظر إلى على أننى من مستوى أقل منه... إذا كلمنى فهو يحاول أن يفهمنى أنه تكرم وتكلم معى... وأن ذلك تنازل كبير منه إذا طلبت منه أنت أو عمى صلاح أى شىء خاص بى لاحظت الضيق باديا على وجهه وكأنى لم تربطنى به صلة قرابة أو دم.. وكأنى لم أكن ابنة خالة.

إن كرامتى ياتانت لا تسمح بأن يعاملنى كائن من كان بمثل ما يعاملنى به سامح .. إننى تحملته كثيرا من أجلك ومن أجل عمى صلاح .. وربما فعلته الأخيرة هذه حدثت لتضع حدا لكل ذلك ... لكى تكون حدا فاصلا بينى وبينه وحتى أذهب إلى بيت الطالبات بدلا من أن تتطور الأمور أكثر من ذلك...

وثقى ياتانت أن حبى لك لن يؤثر فيه أى شىء مهما كان... وأننى لن أنسى كل ما فعلته أنت ورانيا وأنكل (صلاح) من أجلى



أثناء إقامتى معكم طوال هذه المدة .. ثقى أيضا أننى حريصة كل الحرص على عدم وجود أى سوء تفاهم بينكم وبين بابا... بل بالعكس ... سوف يعرف بابا أن هذا من مصلحتى لقرب بيت الطالبات من الكلية ... وأن ذلك من شأنه أن يوفر علىّ مشقة المواصلات التى يخشى علىّ كثيرا منها... إذ إننى من الممكن أن أصل إلى الكلية سيرا على الأقدام وأنا فى بيت الطالبات الذى حجزت فيه...

ووجدت العمة.. أن ابنة أخيها مصممة بعزم وإصرار على الانتقال إلى بيت الطالبات... فاضطرت للاستسلام إلى رغبتها.. وهى آسفة كل الآسف ... ولا تدرى ماذا تفعل... أو كيف تثنيها عن عزمها... مما جعلها تستسلم والألم يعتصرها .

***

وتخرج ألفت هانم وهى مهمومة.. لتذهب إلى زوجها لتخبره بما قالته نسرين .. وما هى عازمة عليه من الذهاب للإقامة فى بيت الطالبات.

ويذهب الوالد بدوره إلى نسرين محاولا إقناعها بأن تنثنى عن عزمها وتعدل عن الذهاب إلى بيت الطالبات ويعتذر لها عما بدر من ابنه .

ولكن جميع المحاولات باءت بالفشل... ووجد أن نسرين مصممة على ماهى عازمة عليه... فيزداد الوالد غيظا من ابنه ومن تصرفاته الشائنة..

ويظل الوالد فى انتظار عودة ابنه إلى المنزل وكذلك الأم ..

لقد تعمد سامح ألايعود إلى المنزل فى موعده الذى تعود أن يعود فيه يوميا .. وهو حوالى الثالثة بعد الظهر .. وطال انتظار والديه له .. وبينما هما فى انتظاره على أحر من الجمر .. إذا به يصل إلى المنزل فى حوالى التاسعة مساءً ..ويتجه مباشرة إلى حجرته فى سكون تام ..ويعلم الوالد بوصوله ..فيذهب إليه في حجرته .. ويقول له بانفعال وضيق شديد :

- ماهذا الذى فعلته مع ابنه خالك هذا الصباح ؟ هذا التصرف الذى تصرفته ..تصرف شائن .. تصرف صبيانى .. لا أنت صغير.. أو مراهق .. ولا يتفق هذا التصرف مع عقليتك .. وكرامتك ومركزك .. ماذا جرى لك ولعقلك ..أكيد إنك جننت .. ومع من !! .. مع ابنة خالك .. وفى بيتك .. ؟!!

ثم يستطرد الوالد قائلا:
- بصراحة.. أنا خجلان من تصرفاتك هذه.. مكسوف بالنيابة عنك .. إن لدى الكثير من المشاكل فى عملى ولست فى حاجة إلى المزيد حتى تأتى أنت لتزيد من مشاكلى وهمومى ..
ويقف الابن أمام والده لأول مرة فى حياته... عاجزا عن الرد والكلام... رغم أنه فى البداية حاول الدفاع عن نفسه كما حاول أن يكذب ابنة خاله... ولكن والده رد عليه بحدة قائلا:
- إياك أن تتكلم كلمة واحدة .. أو تحاول تبرير موقفك ..كل شىء واضح .. وأنت لا تستطيع الإنكار .
وتقول الأم لابنها معنفة إياه بعد أن لحقت بزوجها إلى حجرة ابنها.. وهى فى ضيق شديد... وفى تأثر بالغ... وعلامات الغضب بادية على قسمات وجهها:
- أهكذا يتصرف العقلاء ياسامح؟
ماذا أقول لخالك الآن...؟ أقول له إنها نزوة عابرة...؟ طيش شباب...؟ عدم إدراك... وعدم وعى منك؟
هل ترضى أن أقول عليك ذلك... هل ترضى أن أصفك بكل هذه التعبيرات؟
هل هذه ثقتى فيك كرجل؟... وحبى لك كابن عاقل... وفخرى بك كإنسان متزن دائما فى تصرفاته تعرف وتعى دائما ما تفعل... ياخسارة؟..
ويقف الابن عاجزا عن الكلام لفترة... ثم يقول بصوت منخفض وهو يشعر بخطيئته :
- أنا لم أفعل شيئا
كل ما حدث أننى كنت أريد أن أسأل عن رانيا... فخيل إليها أننى أريد بها سوءًا ..
وترد الأم مسرعة:
- ليس هذا صحيحا ياسامح... أنت تعرف جيدا ما فعلته بابنة خالك... وقد رأيت بنفسي علامات ما حدث عندما رأيتك خارجا من حجرتها.. ومارأيك فى هذه الخدشات التى مازال أثرها على وجهك نتيجة دفاعها عن نفسها بواسطة أظافرها؟
أنت تعرف جيدا أنك مخطئ ... لست أدرى ماذا دهاك...؟ هل كنت فاقد الوعى... هل كنت سكران؟... أنا لا أعهد فيك أبدا هذه التصرفات الشائنة... ياخسارة!!

ولم يجد الابن ماذا يقول.. سوى أن ينسحب ببطء من أمام والديه... وهو يردد بعض الكلمات بصوت يكاد يكون غير مسموع:
لماذا تصدقونها.. وأنا لم يصدقنى أحد ؟ لماذا هى الصادقة... وأنا الكاذب..؟ أنا لم أفعل شيئا خاطئا .. وأنا مصر على ما أقوله.. وأنتم أحرار.. صدقتمونى أو لم تصدقونى .
ثم ينصرف من أمام والديه ليخرج من الحجرة ويتركهما بها.

***

أما رانيا.. فقد هالها ماسمعت بعد أن علمت أن نسرين تنوى الذهاب إلى بيت الطالبات .. خصوصا.. وأنها فوجئت بهذه التطورات التى حدثت فى ساعات معدودة .. فعندما خرجت إلى مدرستها فى الصباح كان كل شىء على ما يرام.. لذلك فهى مندهشة لكل ما حدث... ولا تعرف له سببا .
لم تخبرها والدتها بشىء.. ولكن نسرين ألمحت لها قليلا بما حدث.. وقالت ... إنها تفضل أن تكون بعيدة... وأن بيت الطالبات أنسب مكان لها فى مثل هذه الظروف .
قالت لها رانيا :
– وتتركيننى يانسرين وحيدة بعد أن تعودت وجودك معى؟
– أرجو أن تعذرينى يارانيا... الظروف تحتم ذلك .. وأحمد الله أننى وجدت مكانا فى بيت الطالبات... وأن الموضوع وقف عند هذا الحد .. والحقيقة أن محمود بذل جهدا خارقا فى هذا الموضوع... وأرجو ألا تغضبى منى يارانيا.. إننى أفعل ذلك على الرغم منى... إننى مضطرة وآسفة لمفارقتكم... بعد هذه العشرة الطويلة... والأيام الجميلة التى قضيناها معا... لم أر فيها إلا كل خير وكل حب وكل تقدير من جانبكم .
وأرجو يارانيا أن تزورينى كثيرا فى بيت الطالبات .. وأنا من جانبى سوف أزوركم كثيرا.. لن أنقطع عنكم.. إن شاء الله.

***

فى الصباح الباكر.. يحضر محمود كما اتفقت معه نسرين ليصحبها إلى بيت الطالبات... تستقبله العمة وتصافحه .. ثم تستدعى نسرين له.. فتخرج نسرين وفى يدها حقيبة ملابسها..فيأخذهامن يدها محمود . وتقبل العمة نسرين وتضمها إلى صدرها والتأثر باد عليها وهى تحتضنها قائلة:

– أهكذا يانسرين... بكل هذه البساطة نهون عليك... وتهون عليك رانيا؟ . أما رانيا فقد انهمرت الدموع من عينيها ولم تستطع أن تتفوه بكلمة واحدة.. وصافحتها وقبلتها بحرارة وعرضت العمة على نسرين نقودا... قائلة لها:

– خذى هذا المبلغ معك يانسرين لأنك لابد فى حاجة إلى النقود.. فأنت طبعا لم تستعدى لهذا الظرف قبل ذلك..

رفضت نسرين أخذها فى بادئ الأمر... ولكن العمة أصرت ... وأقنعتها بأنها سوف تأخذها من والدها... فأخذتها نسرين على هذا الأساس ..

وقالت لها العمة:

– أرجو يانسرين إذا وجدت نفسك فى حاجة إلى نقود أو أى شىء آخر... فأنا تحت أمرك... واعتبرينى هنا بدلا من والدك .. ويكفى أنك ستتركينا بهذه البساطة ولابد أن تداومى على الاتصال بنا...

ثم سألتها العمة:

– وعلى فكرة... ماهو رقم تليفون بيت الطالبات الذى ستقيمين فيه..؟

وهنا يمد محمود يده فى جيب جاكتته ويخرج منه نوته صغيرة.. ويعطى للعمة رقم تليفون البيت..

وكانت العمة قبل حضور محمود قد رجتها ألا تطلب والدها فى التليفون.. وألا تقول له شيئا عما حدث.. وأن تترك لها (أى العمة) موضوع الاتصال به وإعطائه فكرة بطريقتها الخاصة عما حدث... وعن تصميمها على الانتقال إلى بيت الطالبات وأنها ستعطى له رقم تليفون بيت الطالبات ليطلبها ويطمئن عليها..

وقالت العمة لابنة أخيها:

– أرجو أن تعطينى هذه الفرصة يانسرين.. حتى أستطيع معالجة الموضوع بطريقتى الخاصة.. وحتى لا ينزعج فتحى.. أو يصبح هذا الموضوع سببا فى سوء تفاهم بيننا وبين والدك .. وأنت تعرفين مدى معزتى له .

قالت لها نسرين:

– خلاص ياتانت.. سأترك لك هذا الموضوع... وأنفذ أوامرك.. ولو سمحتى تجعليه يطلبنى فى أسرع وقت ممكن.. وثقى أننى سأكون عند حسن ظنك .

وتستطرد نسرين:

– أنا لا أرضى إطلاقا ياتانت بوجود أى سوء تفاهم بينك وبين

بابا... بالعكس أنا شاكرة جدا لما قدمته لى من مساعدات.. وأيضا لا أنكر مدى حنانك وحبك لى.. وكذلك حرصك الدائم على راحتى طوال الفترة التى قضيتها عندك فى منزلك .. اننى لا أستطيع أن أنكر كل ذلك..

وتنصرف نسرين وبصحبتها محمود الى بيت الطالبات..

***

فى الطريق يبدو على وجه نسرين علامات القلق والتوتر... فهى مقبلة على حياة جديدة... لا تعرف عنها شيئا... وعما اذا كانت ستجد الراحة والاستقرار... والهدوء اللازم للاستذكار.. فى بيت الطالبات... أم أنها ستعيش فى جو ملىء بالمشاحنات وعدم الراحة؟

كل هذه الخواطر كانت تعاودها وتسيطر على تفكيرها وهى فى الطريق تسير بجانب محمود فى صمت ووجوم.. دون أن تتكلم أو تتفوه بكلمة واحدة... والحيرة والقلق يسيطران عليها.. ويبدوان على وجهها..

ولاحظ محمود حالتها النفسية.. وأدرك ماتعانية من ضيق فلم يحاول أن يثقل عليها فى الكلام... تركها وحالها... الا من بعض الكلمات البسيطة كى يسرى عنها..

قال لها:

– لا تشغلى بالك ياآنسة نسرين... ستكونين فى غاية الراحة والاطمئنان. أنا متأكد من ذلك ومن أنك ستجدين بيت الطالبات هذا مكانا مناسبا وستجدين من بين الطالبات من تحبينها وتأنسين اليها:

حقيقى... الجو هناك سيكون جديدا عليك... ولكنك سرعان ما ستتأقلمين عليه وتتعودينه.. واذا لم تجدى راحتك فى هذا البيت.. فمن الممكن أن أبحث لك عن مكان آخر..

وبعد صمت طويل ترد عليه:

– متشكرة جدا يامحمود.. أنا أعرف جيدا أننى أتعبتك معى فى هذا الموضوع.. لولا أننى أشعر أنك مثل شقيقى إيهاب مالجأت اليك.. ولست أدرى ماذا كنت أنا فاعلة فى مثل هذه الظروف بدونك؟

ويشعر محمود بالسعادة تغمره.. وهو يسمع هذه الكلمات من نسرين.. فيقول لها

– طبعا يامود موازيل نسرين... وأكثر كمان من ايهاب.. انني لم أشعر بأى تعب كما تقولين... بل أشعر أننى أؤدى واجبى نحوك... أنا هنا فى خدمتك... وتحت أمرك... ومعك رقم تليفونى فى العمل... وأرجو أن تتصلى بى فى الحال اذا أردت منى أى شىء... وأنا من ناحيتى سوف أداوم على الاتصال بك.. كى أطمئن عليك... ولكى استفسر منك عما اذا كنت فى حاجة الى أى شىء...

***

فى بيت الطالبات بشارع الجيزة... استقبلها البواب بالاستفسار عن سبب الزيارة؟... فأجاب محمود وهو يقدم نسرين:

– آنسة نسرين طالبة ستقيمم معكم هنا بالبيت ابتداء من اليوم..

وفى الحال قادها البواب الى حجرة جانبية بالدور الأول بمدخل البيت.. فاستقبلتها مشرفة البيت التى تجلس خلف مكتب بالحجرة.. تقدم منها محمود وقدم لها نسرين قائلا:

– مدموازيل نسرين... الطالبة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية.. والتى حجزت لها الحجرة هنا بالأمس..

– أهلا نسرين... فى أى سنة بالكلية؟

وترد نسرين:

– فى السنة الثالثة..

– حسنا... يبدو أنك إنسانة طيبة يانسرين... من حظك أنك وجدت حجرة خالية عندنا فمن محاسن الصدف أن الحجرة كانت محجوزة لطالبة من لبنان وقد أبرقت الينا بالأمس فقط تعتذر عن عدم الحضور.. لأن والدها عدل عن فكرة سفرها للدراسة بالقاهرة.. وفضل التحاقها بجامعة بيروت... بدلا من دخولها جامعة القاهرة وبعدها عنهم... وأيضا الحجرة التى ستقيمين بها من احسن حجرات البيت لأنها تطل على الشارع مباشرة... وستكونين مع طالبة مهذبة من السويس.. تدرس بكلية الحقوق بالسنة الرابعة جامعة القاهرة..

وشعرت نسرين بقليل من الراحة والاسترخاء بعد أن سمعت كلام المشرفة خصوصا وأنها كانت قلقة مشدودة الأعصاب..

ووضعت المشرفة يدها على الجرس بجانبها تستدعى فراشة تعمل بالبيت..

- نعم يامدام سيدة..

- من فضلك ياأم حسن استدعى سوسن من حجرتها..

وحضرت سوسن.. تبدو طالبة على قدر من الجمال والرقه... أنيقة المظهر...

وتقول لها المشرفة:

- سوسن.. هذه هى زميلتك الجديدة بالحجرة.. نسرين.. طالبة بالسنة الثالثة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية... وأرجو أن تقدميها لزميلاتك بالبيت وتعرفيها عليهن..

وتتقدم سوسن من نسرين مصافحة اياها قائلة:

- أهلا نسرين.. شرفتينا...

- أهلا سوسن.. متشكرة..

وتحمل الفراشة حقيبة نسرين وتصعد الطابق الثانى حيث توجد حجرة نسرين لتضعها فيها..

وتصافح نسرين محمود.. وتشكره بحرارة على ماقام به من جهد فى مساعدتها للخروج من أزمتها..

يصافحها محمود... وهو يرجوها... أن تتصل به على الفور عندما تريد أى شىء منه.. قائلا لها:

- أرجو ياآنسه نسرين.. ألا تترددى فى طلبى لحظة واحدة... وفى أى وقت.. إذا أردت منى أى شىء... أنا فى خدمتك...

- شكرا جزيلا يامحمود...

وتصحب سوسن نسرين وتصعد بها الى الطابق الثانى.. وتقدمها الى الزميلات... ثم تذهب بها إلى حجرتها..
لس الأسرة لتناول طعام الإفطار .. الأم والأب .. والابن .. والابنة ..ويدور الحوار التالى بين الأم وابنتها التى تبلغ من العمر ١٤عاما :
- سندخل سريرا آخر في حجرتك اليوم يا رانيا ..

- لماذا يا " مامي " .. ما هو الداعى لإدخال سرير آخر في حجرتي.. خصوصا وأنني بمفردي؟
- عزيزتي ..لن تكوني بمفردك .. ستكون معك أختك نسرين .
- وهل لي أخت وأنا لا أعرف .. وإسمها نسرين كمان ؟!
- نعم لك أخوات وإخوة .. وليست أختا واحدة .. أبناء وبنات خالك وخالاتك .. وعمك وعماتك .. جميعهم إخوة لك ..
- ولكني لم أر أحدا من بنات أخوالي طوال حياتي ..
- نعم .. الظروف القاسية يا عزيزتي هي التي حالت دون ذلك .. هي التي فرقت بيننا وجعلت هناك قطيعة تامة ظلت ما يقرب من ثمانية عشر عاما .. ماذا تقولين للجشع وفقدان الضمير ؟ .. للأنانية وحب الذات ؟
وتتمتم الأم ببعض كلمات لا تكاد تسمع .. وتظهر علي قسمات وجهها علامات حزن دفين .. تطفو علي السطح فجأة لمجرد هذا الكلام .. وكأنه يعيد إلي ذهنها شريطا طويلا من الذكريات الأليمة..
- مسكين فتحي أخي .. هو الذي راح ضحية هذا الجشع .. وما زال.. وسيظل يعاني منه طوال حياته .. في هذه الأيام التي لاترحم بغلائها الفاحش .. ربنا يعوضه خير في أولاده ويراهم في أحسن حال .
- لكن يا " مامي " أنا لم أتعود علي أن يزاحمني أحد في حجرتي طوال حياتي .. ولابد أن ذلك سوف يسبب لي مضايقات كثيرة .. خصوصا أنني لا أعرفها ولا أعرف عنها وعن طباعها شيئا - حبيبتي . إنها نسرين ابنة خالك فتحي .. حصلت علي الثانوية العامه هذا العام .. وعندما كنت أنا ووالدك بالمنصورة في الأسبوع الماضي للتعزية في وفاة عمى كمال .. شكا لي خالك فتحي من أن ابنته نسرين قبلت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة .. ولم يجد لها مكانا بالمدينة الجامعية ولا في أى مكان آخر تقيم به في القاهرة .. إلي جانب ما سيكبده ذلك من مصاريف باهظة لا طاقة له بها.. لأن إمكانياته المادية لا تسمح له هذه الأيام بأن يوفر لها الراحة والأمان وهي وحيدة فى مدينة مثل القاهرة .. فاقترحت أنا عليه أن تأتي وتقيم عندنا طوال فترة الدراسة .. فهي بمثابة أخت لك .. فوافق علي الفور .. أخذ يحمد الله ويشكره .. ويكرر شكره .. وهو لا يكاد يصدق نفسه.. أو يصدق أن هذه المشكلة التي كانت تسيطر علي كل

تفكيره وتؤرقه وتسبب له الانزعاج قد حلت .. إن الله سبحانه وتعالي .. أرسلني له في هذا الوقت بالذات كي أحل له هذه المشكلة ، بأن تقضي نسرين فترة دراستها بالقاهرة عندنا بالمنزل.
وتستطرد الأم قائلة :
- خالك فتحي يا رانيا إنسان بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان.. مسكين .. !! .. جني عليه خالك عبد الفتاح .. سامحه الله .. نهب حقوقنا .. لذلك لن يبارك له الله فى شيء .. أيضا أولاده « مكفرين سيئاته » وفاشلين فى دراستهم .. خلى الجشع ينفعه ..
لكن يا " مامي " أنكل فتحي كثيرا ما يأتي لزيارتنا هنا .. دون أن يحضر معه أحدا من أولاده كي نراه أو نتعرف عليه .. أنا حقيقي أعرف أسماء أولاده ولكن لم أر أحدا منهم طوال حياتي .
- ظروف يا حبيبتي .
- وأيضا لم يحدث أن سافرت أنا وسامح أخي معكما أنت وبابا إلى المنصورة لزيارة خالى فتحي والتعرف على أولاده .
- ظروف يا رانيا
- وابنته نسرين هذه يا "مامي " .. جميلة ؟
- جميلة جدا يا رانيا .. ومؤدبة جدا .. ومتفوقة دائما فى دراستها.. وهي أكبر أولاد خالك فتحي . حصلت علي الثانوية العامة هذا العام بمجموع ٩٢٪ وخالك يحبها كثيرا ويعلق كل آماله عليها ..
كانت دائما وهي صغيرة تقول له : انا يا بابا عندما أكبر .. سأكون سفيرة .. وكان فتحي يضحك كثيرا ويقول لها : سفيرة .. مرة واحدة ! وهو الآن يكاد يطير بها من الفرحة .. وسعيد بقبولها فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية .. وتردد الأبنة فى حيرة :
- لكن يا " مامي " أنا متأكدة أنني لن أرتاح معها في حجرة واحدة .. جهزوا لها حجرة ثانية .
وهنا يتدخل الأب قائلا :
- رانيا .. ابنة خالك لطيفة جدا .. وستكونين سعيدة معها .. وأنا متأكد من ذلك .. الظروف هنا تحتم وجودها معك في حجرة واحدة . وعدم وجودها فى حجرة بمفردها ..
وتتجه عينا الأب بنظرة خاطفه إلي سامح الابن .. " ٢٦ سنة " .. الجالس معهم علي مائدة الإفطار .. والذي ينصت لكل ما يدور من حديث دون أن يعلق بكلمة ..

ويستطرد الأب في كلامه قائلا :
- إذا حدث ولم تجدي راحتك معها .. فسوف نفكر في حل آخر .. لكن أنا متأكد أنك سوف تحبينها .. في بادىء الأمر يا رانيا .. يا حبيبتي .. ربما تجدين صعوبة في الاندماج معها والتعرف عليها .. وهذا شيء طبيعي ولكن بعد ذلك؛ وبمضي الوقت سوف ترتاحين إليها .. وتحبينها وتندمجين معها .. اعتبريها أختا لك وأيضا يجب أن تشعريها بذلك ..
- سأحاول .. فقط من أجل عيون " مامي " حبيبتي .. وكذلك لأنها بتحب خالي فتحي جدا ..
ويخرج الابن من صمته .. ليعلق علي الحوار الذي سمعه .. ودار أمامه .. فيقول بنوع من التعالي المعروف عنه دائما :
- أنا متشوق جدا يا " مامي " لرؤية نسرين هذه .. كما أنني أتصورها الآن .. وهي تائهة في مدينة القاهرة وسط بناتها .. أعني أنه من الأرياف إلي القاهرة .. مرة واحدة .. شيء يتوه !
- عيب يا سامح .. دي ابنة خالك ..
- أنا قلت حاجة لاسمح الله .. يا " مامي "
وينتبه سامح إلي ما قالته والدته عن الخلاف الموجود بينها وبين أخواتها وشقيقها فتحي من جهة .. وشقيقهم الأكبر عبد الفتاح من جهة أخري .. ولاحظ أنه كلما تطرق الحديث إلي هذا الموضوع .. وجد والدته وقد اعترتها حالة من التوتر والحزن وتبذل كل ما في وسعها كي تدير دفة الحديث إلي مواضيع أخري وكأنها تريد أن تسدل علي هذا الموضوع ستارا كثيفا من النسيان !
أراد سامح أن يعرف القصة من اولها .. أن يعرف ما حدث لعائلة والدته .. وسر الجفاء بينها وبين شقيقها عبد الفتاح الشتشاوي الذي لم يتذكره منذ أن كان طفلا .
قال لوالدته :
- وما سبب كل هذا الخلاف الموجود بينكم يا " مامي " ؟ إنني لا أعرف إلا خالي فتحي الذي يزورنا كثيرا .. أما خالي عبد الفتاح .. فلم أره منذ أن كنت طفلا صغيرا عندما كنا نذهب إلي القرية لزيارة جدتي في قصرها هناك .. كما أنني لم أتذكر أنه زارنا منذ سنوات طويلة ، لدرجة أنني أصبحت لا أتذكره ولا أعى شكله جيدا .. وأعتقد أنني لو قابلته فى الشارع الآن فلن أتعرف عليه .. كل ما أعرفه الآن .. أن لي خالا إسمه عبد الفتاح .. وأنه حدثت بينكم وبينه قطيعة ومشاكل بسبب الميراث .. ولكن .. تفاصيل

هذه المشاكل .. لا أعرفها بالضبط .. وأنت نفسك يا " مامي " .. لم تحاولي في يوم من الأيام أن تقصي علينا تفاصيل هذه المشاكل التي حدثت بينكم !

- نعم ياسامح .. دي قصة طويلة يا ابني ومؤلمة .. ولا أحب أن أتذكرها أو أتحدث عن هذا الذي حدث بيننا .. لأنه يؤلمني ويحز في نفسي كثيرا .. كل شيء يا سامح يا حبيبي .. ذهب إلي سبيله وانتهي .. والأيام كفيلة بأن تنسينا كل شيء .. وقد حدث بالفعل والحمد لله .. وكما قلت إن أحدا لم يتأثر بما حدث سوي خالكما فتحي ..

وتتمتم الأم بصوت خافت :

- مسكين فتحي .. ربنا معاه !

وتقول رانيا :

- ولكن .. ألاترين يا " مامي " أننا كبرنا ومن حقنا أن نعرف كل شيء عن أسرتنا .. وخصوصا أنني لا أعرف شيئا عنها ؟ !

ويرد سامح :

- إنني أعرف بعضا مما حدث .. ولكني لا أعرفه بالتفصيل .. وأعتقد أنه آن الأوان يا " مامي " ، بل أصبح من حقنا ، أن نعرف كل ما حدث .. أن نعرف القصة من البداية للنهاية ..

وفى أثناء هذا الحديث .. قام الوالد .. المهندس صلاح البنداري رئيس مجلس إدارة شركة التعمير والأعمال الهندسية بالقطاع العام واستأذن أسرته فى الخروج لارتباطه بموعد خارج المنزل .. وترك الأم مع الإبن والابنة .. لتقص عليها ما حدث من خالهما عبد الفتاح .

قالت الأم .. « ألفت هانم » .. وهي سيدة مجتمع من الدرجه الأولي .. أنيقة .. جميلة .. طيبة القلب .. تقترب من الخامسة والأربعين من عمرها " وكانت تحاول أن تعود بذاكرتها للوراء ما يقرب من ثمانية عشر عاما وقد بدا علي قسمات وجهها الجميل .. الجمود والشعور بالأسي .. وبدأ الحزن يخيم على نفسها .. وهى تحاول أن تطفو بذكرياتها على السطح .. تحاول أن تستعيد مرة ثانية ذكريات أليمة طالما حرصت على دفنها مع الأيام .. ولكنها رأت الآن . أنه من الضرورى أن يعرف ابنها وابنتها كل ما حدث لأسرتها بعد أن كبرا .. رأت أنه قد حان الوقت الذي لابد أن يعرفا فيه كل شيء ..

قالت :

- كان ذلك منذ حوالي ثمانية عشر عاما تقريبا .. وكنت أنت يا سامح عندك حوالي ثماني سنوات تقريبا ورانيا لم تولد بعد .. عندما توفيت والدتى .. أقصد .. جدتكم « تفيدة هانم » .. ذهبنا جميعا إلى عزبتنا للعزاء حيث يوجد لنا بها قصر كبير - أظنك تتذكره يا سامح - وكان يقطن به في ذلك الوقت .. والدتي ومعها شقيقى الأكبر عبد الفتاح وزوجته وأولاده .. وكذلك شقيقي فتحي وزوجته أيضا .

ولم تكد مراسم الوفاة تنتهي .. حتي فوجئنا بشقيقي الأكبر عبد الفتاح يجمعنا كلنا .. أنا وشقيقتى سامية وفريال وكذلك خالكما فتحى ويقول :

- أريد أن أقول لكم شيئا مهماً .. حتي تكونوا جميعا علي بينة .. إنني اشتريت من والدتى الـ ١٨٠ فدانا التي كان المرحوم والدنا قد نقلها لها وكتبها باسمها .. اشتريتها منها قبل وفاتها وسجلتها فعلا باسمي ..

ورددنا عليه جميعاً بصوت واحد .. انطلق منا مدويا دون وعى كالطلق الناري من فرط ذهول المفاجأة :

- ماذا تعنى .. ؟!!

- أعني أن أحدا منكم ليس له أى شىء هنا في إرث والدتنا .. حتي القصر بتاعنا هذا .. أصبح باسمي أيضا ولم يعد لأحد منكم حق فيه .. لقد تنازلت لي عنه بأكمله وتم تسجيله فعلا باسمى..واستطرد عبد الفتاح قائلا :

- لذلك يتحتم على أخى فتحى أن يتركه ويبحث له ولزوجته عن مسكن فى أى مكان آخر .. وهذا إنذار منى له أمامكم جميعا ..

فى بادئ الأمر لم نصدق .. وأخذ كل منا ينظر للآخر ونحن مشدوهون .. ولا ندرى ماذا دهانا .. أو ماذا نقول ؟ .. وصمتنا لبرهة في شبه ذهول من هول المفاجأة .. واعتقدنا فى بادئ الأمرأنه يمزح .

ولكن سرعان ما تاكد لنا أنه جاد فى كلامه .. وأن ما يقوله لنا قد حدث بالفعل .

صعقنا جميعا .. ليس فقط لما حدث .. ولكن أيضا لأننا اكتشفنا فجأة أن شقيقنا الاكبر الذى أوليناه كل ثقتنا وحبنا .. بهذه النذالة وهذه الأخلاق الشريرة !

لقد استغل عبد الفتاح طيبة قلب والدتى ومرضها وضعفها فى الأيام الأخيرة واستطاع أن ينفرد بها .. ويؤثر عليها .. ويقنعها



من خلف ظهورنا أن تكتب له مبايعة بالأرض وبالقصر أيضا .. حتى تصبح كلها من نصيبه .. مستغلا فى ذلك طيبة قلب شقيقى فتحى . خصوصا أن فتحى كان تاركا له كل شىء ، واضعا فيه كل ثقته .. موكله فى أموره .. محترما إياه كشقيق أكبر ..
استطاع عبد الفتاح أن يقنع والدتى فى غيابنا بأنه أصبح كبير العائلة منذ وفاة والدنا .. وأن وضعه هذا يحتم وجود الأرض كلها باسمه .. حتى يظل اسم العائلة ومركزها المادى كما كانا دائما فى ظل والدنا .. وأن ذلك يقتضى عدم تفتيت الأرض .. وتوزيعها علينا .. أقنعها بأنه سوف يراعى حقوقنا ولن يبخل علينا بشىء.. وأنه سوف يحتضن فتحى وينفق عليه وعلى أسرته .. كما كان يحدث بالضبط فى حياتها إذ كان هو المتصرف فى كل شىء .. فى حياة والدتنا بعد وفاة والدنا .. وكانت الأرض وكل شىء فى يده .. أقنعها بأن وفاتها لن تغير من الأمر شيئا .. بذلك استطاع عبد الفتاح أن يقنعها بوجهة نظره المشبوهة .. ويؤثر عليها .. ويفهمها بأن توزيع الأرض سوف يقلل من اسم العائلة وهيبتها فى المنطقة.. ويظهرها بمظهر الضعف .. وأن ذلك على غير رغبة المرحوم والدنا .. وأنه بتصرفه هذا سوف يحقق رغبة المرحوم والدنا ويرفع اسمه .. بل سيكون امتدادا له بغناه وسطوته فى المنطقة ..

وصدقت المسكينة والدتنا كلامه .. خصوصاأنها كانت مريضة .. وكانت فى أواخر أيامها كانت سيدة طيبة القلب ومن السهل التأثير عليها .. وكانت تثق فى خالكما عبد الفتاح ثقة عمياء .. وانتهز هو هذه الفرصة ونفذ خطته الوضيعة وقد أقنعها بأننا .. أى أنا وشقيقتاى سامية وفريال .. كل منا متزوجة من شخص غنى وله مركزه .. زوجى صلاح عنده عزبة ، علاوة على أنه رئيس مجلس ادارة شركة محترمة .. سامية زوجها مهندس كبير ولديه عقاراته ومقاولاته ولا يحتاج إلى أرض .. كذلك فريال زوجها ضابط جيش ولديه عقاراته أيضا ولم يكن فى حاجة إلى بضعة فدادين منا .. أما القصر .. فهو قصر جميل جدا يا سامح أظنك تتذكره بعض الشىء .. تحب أن تسكن فيه .. حوله حديقة كبيرة جدا .. كله فواكه وأزهار ..ولاندري أيضا كيف لعب لعبته الدنيئة هذه واستطاع أن يسجله باسمه .. قيل لنا إنه أرسل فتحى إلى المنصورة فى مهمة بضعة أيام لكى يبعده عن المنزل .. ويخلو له الجو وأحضر المحامى وأنهى كل شىء . نقل ملكية القصر باسمه ..

وأكمل إجراءات مبايعة الأرض وتسجيلها .. دون أن يشعر أحد بشيء ..
ومن هنا فقد فوجئنا جميعا بما حدث عقب وفاة والدتنا .. ويقال إنها عارضته فى بادئ الأمر رغم ضعفها ومرضها .. وماطلته كثيرا.. ولكنه ظل وراءها إلى أن أقنعها .. وكانت دائما تردد : -
وماذا عن فتحى ؟!
كيف أحرمه من ميراث والده ؟!!
كيف سيكون مصيره ؟!!
ماذا سيقول عنى .. عندما يكتشف ذلك ؟
سامحنى يا فتحى .. سامحنى .. غصب عنى !!
وكان هو دائما يطمئنها ويدخل السكينة إلى نفسها قائلا :
- فتحى فى رقبتى هو وزوجته .. وهو معى فى البيت .. وسنكون أسرة واحدة .. لن تغير وفاتك من الأمر شيئا .
وتقول الأم مسترسلة فى سرد القصة لابنها وابنتها :
- لقد كان والدى قبل وفاته يعانى من مشاكل كثيرة بسبب الضرائب .. وكان عليه بعض الديون للبنك .. وخشى من الحجز على الأرض والقصر .. الأمر الذى جعله يكتبها باسم والدتى .. إلا أنه توفى إلى رحمة الله .. بعد أن سدد ديونه كلها . ولم يكن باسمه وقت وفاته سوى حوالى ٢٠ فدانا .. وزعوا علينا جميعا عقب وفاته .. والباقى حوالى ١٨٠ تركها كما هى باسم والدتى .. وتوفى وهى باسمها.

***

أما محيى سائق التاكسى.. فقد كان يجد شيئا ما يجذبه الى ريهام.. ربما الاعجاب... ربما الحب إلا أنه كان يخشى مجرد حتى أن يصارح نفسه بأنه يحبها.. كان ذلك بالنسبه له ضرب من المستحيل لوجود فرق شاسع بين المستوى الاجتماعى لكل منهما... ورغم ذلك فقد كان هناك دائما مايشده اليها ويجعله يحافظ على مواعيدها مهما كلفه ذلك من أمر.. بل والأكثر من ذلك فقد تكرر جلوسهما معا على كازينوهات شاطىء النيل كلما وجدت ريهام نفسها فى ضيق وفى حاجة الى مثل هذه الجلسة.. فهى تحب النيل وتحب الجلوس على شواطئه ولا مانع من الجلوس مع محيي فهو خريج كلية التجارة وكآي زميل.

وشريط من الذكريات مر أمام عينى محيى بسرعة وهو جالس أمامها على ترابيزة الكازينو.. فمنذ عام تقريبا.. أى منذ بدأ فى توصيلها... كان لا يتصور أبدا أن هذه الشقراء الحسناء الأرستقراطية سوف تجلس معه مثل هذه الجلسة الشاعرية وفى مثل هذا المكان...

لاحظت ريهام أنه سرح بعيدا عنها... قالت له... هيه... أين أنت؟ فيما سرحت؟

قال:

- أنا.. أسف... أنا طبعا معك... كيف أسرح وأنا أمامى حورية من حوريات الجنة...

- أتمزح نحن هنا على الأرض ولسنا فى الجنة.

- لكن المكان الذى أراك فيه.. أجده الجنة بعينها...

تضحك ريهام ضحكة عالية ثم تقول له:

- واضح أنك تجيد معاملة السيدات وتجيد أساليب المدح والإطراء... يضحك محيى أيضا ثم يقول لها:

- والله العظيم أنا أقول الحق... أقول ماأراه أمامى..

يأتى الجرسون ويسألهما عما يريدان.

يطلب كل منهما شاى وقطعة جاتوه.

ويظل محيى يتحدث مع ريهام عن آماله وأحلامه قائلا لها:

- تعرفى ياآنسة ريهام أنا دائما عندما أريد شىء لابد وأن أحصل عليه مهما كلفنى ذلك من أمر... كما أننى طموح لأقصى درجة... وسأصل الى ما أصبو اليه بإذن الله... ثم يستطرد محيى قائلا لها:

- إننى أشعر بأنك فى حالة ضيق ويأس... وأرجو أن أكون مخطىء فى شعورى هذا... هل هو ضيق عاطفى ياترى؟ أم ماذا.. اننى ياآنسة ريهام.. لا أتحمل أن أرى العبوس يجتاح قسمات وجهك الجميل هذا.

تبتسم ريهام ابتسامة باهتة ثم تقول له:

-أبدا مشاكل عائلية يامحيى..

شعر محيى بأنها لا تريد أن تحدثه عن سبب ضيقها.. فأدار دفة الحديث الى مواضيع أخرى... وهو يشعر بسعادة غامرة.. فقد شعر بأنه وضع قدمه على أول السلم... السلم الذى سوف يصعد به الى قلبها.. قلب ريهام ان عاجلا أو اجلا..

قضيا معا وقتا لا بأس به... بعدها طلبت منه ريهام أن يقوم بتوصيلها الى منزلها... وبذلك توطدت العلاقة بين محيى وريهام.. كان هو يشعر بحب جارف نحوها... أما هى فقد شعرت بأنه مجرد صديق... بل اعتبرته كأى زميل لها بالكلية ترتاح اليه... تلهو معه... وتفرغ له مافى جعبتها فى حالة شعورها بضيق... وقد ألمحت له بحبها لسامح ولكنها لم تخض معه فى تفاصيل... وبفراسته التى لا تخطىء شعر بأن من تحبه لا يبادلها الحب مما أسعده وأدخل السرور الى قلبه... ووجدها فرصة سانحة كى يكون هو العوض..

تكرر جلوسهما معا فى الكازينو... كان محيى دائم الإلحاح عليها فى ذلك... وكانت هى لا تمانع..كانت تترك نفسها له لمجرد تمضية الوقت واللهو... فهى بطبيعتها مستهترة لعوب .. وليس لديها مانع من تمضية بعض الوقت معه... أو حتى مع غيره..

مع تكرار لقائهما.. كان كل منهما يقترب من الثانى يوم بعد يوم أكثر فأكثر حتى أن محيى رفع الكلفة بينه وبينها وأصبح يناديها باسمها (ريهام) بدون آنسة.. وشجعته هى على ذلك..



كان محيى يختلق أى قصة أو مشكلة يدعى أنه يواجهها حتى يستميل عطفها.. وحتى تشعره باهتمامها وتعاطفها معه وتعمل على مساعدته لحلها... إذ أنه هو أيضا كان يسرى عنها همومها... عندما كانت تلجأ اليه ربما يمكنها أن تنسى جفوة وجفاء سامح دون أن تفصح له عن أية تفاصيل..

كل ذلك جعل محيى يهيم بها حبا، الأمر الذى جعله يعترف لها بحبه ويصارحها بأنه يريد الزواج منها... قائلا لها:

- أنا ياريهام إنسان طموح وبوقوفك معى ممكن أن أحقق المستحيل وأصل الى مركز مرموق فى مجال الأعمال الحرة وأقف فى مكان الصدارة وسط رجال الأعمال.. بس وافقى على زواجك منى وسأحقق لك كل آمالك وطموحاتك... وجودك بجانبى سوف يجعلنى أصعد الى السماء السابعة طائرا بجناحى الحب.

إلا أن ريهام رفضت فكرة زواجة منها بشدة... قائلة له:

- أرجو ألا تفكر فى ذلك مطلقا يامحيى... وألا تجعل خيالك يصل بك الى هذا الحد... أنا أعتبرك مجرد صديق... وأرجو أن تعتبرنى أنا كذلك مجرد صديقة لك.. وإلا سوف أنقطع عنك ولن نتقابل معا بعد ذلك... وأيضا سوف لن أطلب منك توصيلى بعد الآن.. ثم قالت له:

- بصراحة أنا أحب شخصا آخر .

كانت كلمات ريهام هذه لمحيى بمثابة السهم القاتل الذى أصاب قلبه.. ولكنه تحامل على نفسه وقال لها:

- على العموم أنا أسف اذا كنت قد ضايقتك.. وأنا أعرف أننى ربما أكون قد تجاوزت حدودى.. أكرر أسفى.. وأرجو أن تعتبرى كلامى هذا كأن لم يكن.

وساد كلاهما صمت رهيب خيم على المكان... بعدها طلبت ريهام منه توصيلها الى المنزل.

كان محيى فى منتهى الذكاء.. دبلوماسى فى رده عليها عندما اعتذر لها عما اذا كان قد ضايقها بطلبه الزواج منها... فقد رأى ألا يغضبها أو يضايقها فى رد فعله لرفضها له... حتى لا تنقطع عنه.. فيضيع أمله فى الفوز بها نهائيا... فقد رأى أنه ربما عندما تيأس نهائيا ممن تحب... يكون هو المنقذ الذى لا ترى سواه أمامها...

خصوصا وأنه كان لديه شعور قوى بأنها تعانى من حب من طرف واحد... أى أن الذى تحبه لا يبادلها نفس الحب الأمر الذى يجعلها دائما فى حالة نفسية سيئة مما كان يجعلها تلجأ اليه كى يرفه عنها... ولم تلجأ لأحد سواه... لذلك فقد قال لنفسه... اليوم لم توافق ريهام... ولكنها غدا سوف توافق.. وان غدا لقريب.

***

(١٢)

فى اليوم التالى لوصول نسرين الى بيت الطالبات.. طلبها محمود ليطمئن عليها.. ويعرف كيف سارت بها الأمور فى بيت الطالبات.. وفى نفس الوقت أراد أن يسألها عما إذا كانت قد تكلمت مع زوج عمتها المهندس صلاح عن موضوع الغاء نقله لأن هذا الموضوع يسبب له ازعاج بلا حدود.

تفاجأ نسرين بزميلة لها فى بيت الطالبات تنادى بصوت مرتفع.. نسرين نسرين.. فتحى.. من هى نسرين فتحى ؟.. تليفون.

عندما سمعت نسرين هذا النداء خرجت من حجرتها كى ترد على التليفون:

- آلو.. مين ؟

- أنا يا آنسة نسرين.. محمود.

- أهلا يامحمود.. ازيك.. وازى أحوالك.. أكرر شكرى مرة ثانية يامحمود.. لن أنسى لك هذا الجميل أبدا.

- نحن أخوة يا آنسة نسرين.. وأرجوك ألا تحملى الأمور أكثر مما تحتمل.. أنا لم أفعل إلا الواجب.

- متشكرة يامحمود.. متشكرة جدا.

- أردت أن اطمئن عليك وعن سير الأمور عندك.

- الحمد لله كل شيء على ما يرام.

- هذا ما يسعدنى كثيرا.. بس أنا أريد أن أسالك عن شيء.. لكنى خجلان ربما لأن ظروفك لا تسمح.. ولكن أرجو أن تعذرينى فأنا فى وضع لا أحسد عليه.. وإذا لم أتصرف بسرعة سوف أجبر على تنفيذ النقل.

وهنا تصرخ نسرين قائلة:

- ياخبر يامحمود آسفة جدا.. لقد شغلتني ظروفي المؤسفة هذه عن موضوعك.. ولكن ثق أنني سوف أتصل فوراً بأنكل صلاح وأسأله عما تم.. ثم تقول له.. علي فكرة نسيت أقول لك أنه طلب مني معلومات عنك وأنا أعطيتها له كما أعرفها عنك.

قال لها محمود:

- وهل قلت له أنني أعمل في مخازن الشركة العامة للأغذية والسلع الاستهلاكية.. وقد نقلت الي المنيا أمين مخزن الشركة هناك... وقال لي مدير المخازن بالشركة الذي أعمل معه.. أنني نقلت لترقيتي أمين مخزن نظرا لأمانتي.

قالت له نسرين:

- قلت لأنكل صلاح كل هذه المعلومات يامحمود.. وتأكد أننى مجرد أن أذكره بموضوعك سوف يهتم به ويعمل على إلغاء نقلك لأنه يحبنى ولن يتأخر اطلاقا عن أداء هذه الخدمة لى.

- متشكر ياآنسة نسرين.. متشكر جدا.. مع السلامة.

مجرد أن وضع محمود سماعة التليفون.. قامت نسرين بطلب عمتها فى التليفون.. وعندما رفعت السماعة.. وجدته سامح هو الذى يرد عليها.. بسرعة وقد أزعجها صوته.. وشعرت بقشعريرة تجتاح جسدها وضيق شديد.. وضعت السماعة بحدة.. كانت لا تتوقع أن يرد هو عليها.

انتظرت فترة وطلبت من جديد.. فوجدته هو أيضا بصوته الذى أصبحت تبغضه.. ألقت بالسماعة فى وجهه للمرة الثانية.. ثم انتظرت وطلبت.. فهى مصممة على أن تنجز هذه الخدمة لمحمود عرفانا منها بجميله عليها

وعلى الطرف الآخر.. تلاحظ ألفت وزوجها المهندس صلاح ما يحدث عندما يرفع سامح التليفون ولا يجد من يرد عليه.. ومع تكرار ما حدث.. سألاه.

- من الطالب؟

- لا أحد يجيب.

أيقنت هى وزوجها صلاح أن نسرين هى التى تطلبهم.. لذلك عندما دق جرس التليفون للمرة الثالثة.. بسرعة طلب صلاح من ابنه عدم رفع السماعة.. وقام هو بالرد على التليفون.. وفعلا كان ما توقعه.. إنها هى نسرين تطلبهم.

- آلو.. أهلا نسرين.. أهلا.. أهلا.. وحشتينا.. وحشتينا جدا.. لقد تركتينا وتركت خلفك فراغ كبير.. بعد أن تعلقنا بك وتعودنا على وجودك بيننا.

- متشكرة جدا ياأنكل.. كيف حال تانت ألفت ورانيا ؟

- بخير الكل هنا بخير.. ولا ينقصنا الا وجودك وعودتك ثانيا الينا.

- متشكرة جدا.. بس أنا الآن لى رجاء عند حضرتك بالنسبة لموضوع نقل محمود الذى حدثتك عنه.

- أيوه.. أيوه.. صحيح.. فكرتينى بموضوعه.. أنا آسف والله يانسرين مشاغلى الكثيرة جعلتنى أنسى.. معلش اعذرينى.. لحظة واحدة أحضر ورقة وقلم حتى أكتب مذكرة بموضوعة ثانيا.. وحتى لا أنسى..

يطلب من زوجته احضار الورقة والقلم ثم يقول لنسرين:

- أيوه يانسرين اعطينى معلوماته واسمه بالكامل لأنها فقدت منى.

تمليها عليه نسرين.. فيقول لها:

- اطمئنى يانسرين خلال يومين سوف أتصل بك وأخبرك بإلغاء نقله إن شاء الله.

- متشكرة.. متشكرة جدا ياأنكل..

بعد أن ينتهى صلاح من الحديث مع نسرين تأخذ ألفت منه سماعة التليفون بلهفة كى تتحدث مع نسرين.

- أيوه يانسرين كيف حالك ياحبيبتى.. وحشتينى.. وحشتينى .. وحشتينى خالص .

- بخير والله ياتانت وأرجو أن تطمئنى خالص وثقى اننى اذا احتجت أى شىء سوف أطلبكم فورا.

- هذا أملى يانسرين.. طيب ياحبيبتى.. باى.. باى..

- باى.. باى ياتانت.

تضع نسرين السماعة.

أثناء حديث نسرين مع عمتها وزوج عمتها.. كان سامح ينصت الى ما يدور بينهم بإهتمام شديد.. وبعد أن ذهب والده الى حجرته ليستريح. . يقول سامح لوالدته بتهكم:

- هذه هى الآنسة نسرين التى تدعى الطهر والأخلاق الحميده تجد الأم نفسها فى غيظ شديد من كلام سامح فترد عليه والدم يغلى

فى عروقها:

- وهل هى غير ذلك ياسامح.. أرجو ألا تزيد من كلامك.. وإلا سوف يكون لى معك كلام آخر.

يرد سامح على والدته قائلا:

- وماذا عن (سى) محمود هذا الذى يصطحبها فى كل مكان.. وتهتم به كل هذا الإهتمام.

- وهل المعروف وحسن معاملة الناس عندك خروج عن الآداب والأخلاق.. أرجو أن تصمت وألا تتحدث عن ابنة خالك أمامى بعد اليوم.. وألا تخوض فى سيرتها مهما كان الأمر.. وإلا قلت لوالدك.. لقد صبرت عليك كثيرا.. وقد فاض بى الكيل.. محمود هذا الذى تتحدث عنه.. وقف الى جانبها وساعدها عندما احتاجت الى المساعدة.. محمود الغريب فعل معها ما كان يجب أن تفعله أنت ابن عمتها.

يصمت سامح ولم يعلق بكلمة وينسحب من أمام والدته ذاهبا الى حجرته.

***

فى بيت الطالبات تجد نسرين نفسها وسط مجموعة متباينة من الطالبات.. كل منهن تختلف عن الأخرى.. فى السلوك.. والعادات.. فى الطباع والمزاج.. الى جانب وجود عدد كبير من الطالبات العربيات.. من جميع الدول العربية الشقيقة.. وأيضا من آسيا وأفريقيا.. من تايلاند والفلبيين.. وأندونيسيا وأفغانستان وبنجلاديش ونيجيريا وأثيوبيا وغيرها.

وكل يوم يمر عليها وسط الطالبات تكتشف أشياء كثيرة لم تكن تعرفها من قبل.. تكتشف أنها كانت تعيش فى عزلة عن بنات جنسها.. تعيش متقوقعة على نفسها.. وأنها كانت تعيش فى عالم المثاليات.. عالم الأسر المحافظة والتقاليد العتيقة التى نشأت وشبت عليها فى بيئتها وفى محيط عائلتها..

وجدت نفسها تستعرض كل يوم أشياء جديدة لم تكن على دراية بها من قبل.. ورغم وجودها بالكلية وسط طالبات أيضا.. منذ أكثر من سنتين.. فهى تذهب.. فقط لمجرد تحصيل العلم.. وحضور

المحاضرات.. وبعد ذلك يكون البيت قبلتها الوحيدة.. الصديقات بالكلية.. فقط.. لمجرد المعاونة والمزماله فى المدرجات وفترات الراحة التى تتخلل المحاضرات.

أما الزملاء فهم أخوة وزملاء دراسة.. وصلتها بهم لا تتعدى هذه الحدود.. ورغم أنها كثيرا ما تسمع عبارات الإعجاب والاطراء من زملائها بالكلية.. الا أنها دائما تأخذها ببساطة.. ودون أن تعطى فرصة لتطور هذا الاعجاب.. أو تدع هذا الاطراء يتعدى حدود الزمالة.. ومع ذلك فهى مرحة.. بسيطة خالية من العقد.. محبوبة من زميلاتها وزملائها..

أما فى بيت الطالبات.. فقد وجدت كل شىء أمامها على طبيعته.. كل شىء عار تماما.. بلا غلاف أو قناع.. كل شىء خال من أى زيف.. أو تنميق..

وجدت نسرين نفسها فى بادىء الأمر فى حالة هلع.. مما تراه وتشاهده أمامها.. وبصورة لم تكن قد عهدتها.. من قبل..

قالت لها سوسن:

- لا تتعجبى يانسرين.. ستجدين هنا العجب.. مثلا كل طالبة ترى أنه لابد أن يكون لها صديق يؤنسها فى وحدتها.. وهى تعيش بعيدة عن أسرتها.. خصوصا هؤلاء الطالبات الوافدات من الدول العربية الشقيقة.. فهن أكثر انطلاقا.. والحرية لديهن بلا حدود.. اذ أن بعدهن عن أهلهن وذويهن يبعدهن عن أعين الفضوليين.. مما يؤمنهن من اللوم.. وجميعهن وبدون استثناء لديهن أصدقاء ان لم يكن من مصر.. فمن أى بلد عربى آخر.. ودائما يختار الصديق بدقة وبكل حساب ولابد أن يتوافر لديه جميع الشروط المطلوبة كى يكون قادرا دائما على استعداد للقيام بكل ما يطلب منه والوفاء بجميع التزاماته من سهر وحضور الحفلات والذهاب الى النوادى والملاهى الليلية وتقديم الهدايا والقيام بالجولات السياحية.. ليس فقط فى القاهرة.. ولكن على مستوى الجمهورية فى الاجازات.. وجميعهن يعرفن عن معالم مصر السياحية مالم تعرفه المصريات أنفسهن بحكم زيارتهن لهذه المعالم ومشاهدتها على الطبيعة مع هؤلاء الأصدقاء.

واذا قصر الصديق فى شىء من ذلك.. فيكون البحث عن صديق آخر أكثر مقدرة. شيئا ضروريا وهاما جدا.. ووجود السيارة شرط أساسى مع هذ الصديق.

***

وظنت نسرين فى بادىء الأمر أنها سعيدة الحظ بالحجرة التى تطل على الشارع الرئيسى (شارع الجيزة).. خصوصا وأنه توجد بهذه الحجرة شرفة كبيرة.. ولكنها فوجئت بأن موقع الحجرة يجلب لها القلق وعدم الراحة.

ففى اليوم الأول لها فى بيت الطالبات.. وبعد عودتها من الجامعة.. وتناولها طعام الغذاء.. أرادت أن تنام قليلا لتنال قسطا من الراحة.. بعد يوم مزدحم بالمحاضرات.. وحتى يمكنها أن تستيقظ بعد ذلك لاستذكار دروسها.. ولجأت الى سريرها.. وعندما همت بأن تغمض عينيها اذا بصروت (كلاكسات) سيارة تقف أمام البيت تزعجها فتقوم من نومها مذعورة.. وصوت الكلاكسات يزداد وبإصرار.. وفجأة تجد احدى الطالبات تندفع داخل الحجرة وهى تفتح الباب بعنف وبدون استئذان منها أو من زميلتها.. وتتجه نحو الشرفة.. غير عابئة بمن فيها.. فقد حضر صديقها.. وهى الآن تخرج الى الشرفة كى ترد عليه.. وتطمئنه بأنها علمت بحضوره وستكون عنده فى دقائق.

وهكذا.. أصوات الكلاكسات لا تتوقف والطالبات يتدفقن داخل الحجرة الواحدة تلو الأخرى بمجرد أن يصل الى سمع الواحدة منهن صوت كلاكس سيارة صديقها فهن لا يخطئن هذا الصوت.

أصاب نسرين الهلع فى بادىء الأمر.. قالت لسوسن زميلتها فى الحجرة:

- ما هذ ياسوسن.. وكيف تتحملين كل ذلك.. دون أن تضعى حدا لكل هذه المهازل ؟.. وكيف يمكنك النوم فى هذه الحجرة ؟

وترد سوسن:

- لقد فعلت الكثير من قبل يانسرين.. دون جدوى.. كما حاولت أن أوصد الحجرة من الداخل.. فكان القرع على الباب يعلو على أصوات هذه الكلاكسات.. كما غضبت منى الكثيرات.. وانتهى بى الأمر الى أن رضخت.. والأحسن لك أن ترضخى مثلى.. فهى

مشكلة لا يمكن حلها.. ومع الوقت سوف تتأقلمين على ذلك ويصبح كل شيء هنا طبيعيا.. وغير مثير أو مقلق..

- لا أظن ياسوسن أننى سأجد راحة بهذه الطريقة..

- صدقينى يانسرين.. كنت أكثر منك ضيقا وقلقا فى الأيام الأولى لقدومى الى هنا.. ولكنى سرعان ما تعودت على كل ذلك.. وتأقلمت على هذا الجو المثير.

لم تجد نسرين أمامها إلا أن ترضخ عملا بنصيحة زميلتها.

***

فى مساء اليوم التالى لوصولها الى بيت الطالبات.. وعقب عودتها من الكلية سمعت من يناديها بصوت مرتفع..

- آنسة نسرين الشبشتاوى.. ترنك من المنصورة.

إنه عامل التليفون الموجود ببيت الطالبات.

وتندفع نسرين نحو التليفون.. لابد أن المتحدث هو والدها.. لابد أن عمتها قد اتصلت به وأعطته رقم تليفون بيت الطالبات..

ماذا أقول له ؟؟.. على أى حال لابد أن أطمئنه.. لاداعى لأن أقص عليه ما حدث فى التليفون حتى لا أزعجه وأقلقه.. لن أفصح له عن شيء الآن.. سوف أرجيء الحديث فى هذا الموضوع حتى يأتى الوقت المناسب فى فرصة مواتية حتى لا أتسبب فى أى حساسية بينه وبين أسرة (تانت) ألفت.

وتمسك نسرين بسماعة التليفون..

- آلو .. بابا.. أهلا بابا كيف حلك يابابا.. وحشتونى.. وحشتونى خالص.. وتجد نسرين نفسها ولأول مرة منذ أن حضرت الى القاهرة.. تشعر بالوحدة.. والغربة.. تشعر بأنها غريبة ووحيدة.. تعيش بعيدة عن أسرتها.. لقد عمق نداء تليفون والدها شعورها بالغربة.. بل جعله يطفو لتشعر به فجأة.. كادت تجهش بالبكاء وهى تمسك بسماعة التليفون.. ولكنها سيطرت على نفسها حتى لا يشعر والدها بأى شيء.. أو يحس بما حدث لها..

ويرد عليها والدها:

- أهلا نسرين.. وحشتينا جدا يانسرين.. لقد قلقنا عليك عندما علمنا أنك إنتقلت الى بيت الطالبات فجأة ودون سابق معرفة.. أو حتى مجرد أن تعطينى فكرة بما أنت عازمة عليه..

لماذا انتقلت الى بيت الطالبات يانسرين ؟.

وترد نسرين على والدها قائلة:

- لقد علمت بوجود غرفة خالية بهذا البيت من احدى زميلاتى فوجدتها فرصة لن تسنح لى بعد ذلك لأن هذا البيت يابابا بالقرب من الكلية يجنبنى مشكلة المواصلات التى عانيت منها كثيرا.. ولم أجد لها حلا إلا بالانتقال الى هذا البيت وكانت فرصة اننى وجدت فيه غرفة خالية..

ويرد عليها والدها:

- مادمت تجدين راحتك فى ذلك.. فلا يوجد لدى أى مانع..

ثم يقول لابنته:

- وهل تريدين أى شىء يانسرين.. اذا أردت أى شىء.. أو اذا أردت نقودا فاطلبيها من عمتك لحين حضورى.. وسأكون فى زيارتك خلال أسبوع على الأكثر.. كى أراك وأطمئن عليك فى مكان اقامتك الجديد..

- متشكرة جدا يابابا.. وكيف حال ماما.. واخوتى؟

- والدتك بجانبى وتريد أن تتحدث اليك..

وتلتقط والدة نسرين السماعة فتتحدث نسرين اليها فى لهفة وتأثر بالغين والدموع تترقرق فى مقلتيها ويكاد صوتها يحتبس من شدة التأثر.

- آلو.. أهلا ياماما.. وحشتينى.. وحشتينى جدا ياماما.. مشتاقة.. مشتاقة جدا لرؤيتك.. يخيل الىّ اننى لم أرك منذ عام..

وترد الوالدة:

- طمئنينى يانسرين.. لماذا ياحبيبتى تركت منزل عمتك ..؟ لقد كنا مطئنين عليك وأنت هناك..

- اطمئنى ياماما خالص.. أنا هنا أيضا فى غاية الراحة.. وكل شىء من حولى يبعث على الراحة والإطمئنان.. ان كل ما ينقصنى هو رؤيتكم فى أقرب وقت ممكن...

وترد الوالدة:

- طبعا يانسرين سيكون والدك عندك فى آخر الأسبوع.. فى أقرب فرصة ممكنة للإطمئنان عليك..

وبمجرد أن تنتهى المكالمة.. تجهش نسرين بالبكاء الذى احتبسته طوال المكالمة..

فتهدىء سوسن زميلتها من روعها قائلة لها:

- ما هذا الذى تفعلينه يانسرين.. هل أنت طفلة صغيرة ؟

وترد عليها نسرين قائلة:

- والله ياسوسن لقد أمضيت بالقاهرة بعيدة عن الأسرة ما يقرب من ثلاث سنوات.. ولكننى لم أشعر بالغربة من قبل مثل ما شعرت بها الآن وأنا أتحدث مع بابا وماما.. لقد تحدثت معهما كثيرا بالتليفون من القاهرة ولكنى ما شعرت بمثل ما شعرت به الآن..

- شىء طبيعى يانسرين.. لانك كنت قبل ذلك فى منزل عمتك.. وهى فى مقام والدك ووالدتك.. على أى حال لن يستمر هذ الشعور طويلا.. لانك بلا شك سوف تتأقلمين على حياتك الجديدة هذه بأسرع ما يمكن..

***

أما والد نسرين.. الأستاذ فتحى.. فقد وجد نفسه وقد استغرق فى تفكير عميق عقب انتهائه من مكالمته مع نسرين.. لقد شعر من مكالمة ابنته له أنها غير طبيعية.. أنها ليست بنفس المرح والسعادة التى تعود أن يحسها ويلمسها فى مكالمتها السابقة أثناء إقامتها مع أسرة عمتها.. كما شعر أن نبرات صوتها محتبسة.. لم تكن النبرات الشاجية التى تعودها من قبل.. لقد أحس من طريقة كلامها أنها تخفى شيئا عنه..

كما أنه فهم من مكالمة شقيقته ألفت.. أنها غير راضية عن تصرفات نسرين هذه... وفهم أيضا أن شيئا ما قد حدث.. جعلها تصمم على الانتقال فجأة الى بيت الطالبات..

لهذا كله.. وبشعور الأب المحب لابنته.. وبدافع من أبوته.. قرر الأستاذ فتحى السفر الى القاهرة فورا.. وفى صباح اليوم التالى... وفى أول قطار الى القاهرة.. رغم ما قاله لابنته من أنه سيكون عندها فى خلال أسبوع.. ولكن قلقه وعدم الاطمئنان عليها.. جعله يغير رأيه ويعجل بالسفر اليها...

***

أما المهندس صلاح بمجرد وصوله فى اليوم التالى الى مكتبه تذكر ما طلبته منه نسرين بخصوص موضوع نقل محمود.. طلب سكرتيرته فى الدكتافون وقال لها:

- ياكاميليا.. من فضلك اطلبى لى المهندس نبيل مختار رئيس الشركة العامة للأغذية والصناعات الاستهلاكية.

- حاضر يافندم.

تطلب كاميليا الشركة.. وتقول لسكرتيرة رئيس مجلس الادارة إن المهندس صلاح البندارى رئيس مجلس ادارة شركة التعمير والأعمال الهندسية يريد التحدث مع نبيل بك.

ترد السكرتيرة:

- دقيقة من فضلك..

ثم تقول لها:

- من فضلك حولى السكة معى لأن نبيل بك على التليفون.

يتحدث اليه المهندس صلاح.

- أهلا يانبيل فينك ياعم من زمان منذ الاجتماع الأخير مع الوزير محدش شافك.. فينك وحشتنى والله.

- أنا والله ياصلاح ياخويا فى دوامة والشركة واخده كل وقتى.. ولا أجد حتى فرصة للراحة أو الجلوس مع أولادى فى منزلى.

- كان الله فى عونك وربنا يساعدك.. المهم علشان ماخدشى من وقتك كتير.. والنبى يانبيل لى عندك طلب صغير.

- اطلب.. تحت أمرك.

- فيه عندك موظف صغير يعمل فى مخازن الشركة.. اسمه محمود عبد التواب عبد الباسط.. رئيسه فى المخازن نقله الى المنيا آل ياسيدى ترقيه.. موظف صغير مثله.. لا له قرايب ولاسكن ولا أى شيء فى المنيا يذهب هناك يعمل ايه.. ؟ والنبى يانبيل أرجو أن تلغى نقله.. وبرضه موش حوصيك لانه يهمنى أرجو ألا تلغى ترقيته مع الغاء النقل.

- بس كده ياصلاح.. دا أنت تأمر.. حاضر بكره ان شاء الله سوف أطلبك وأخبرك بأن النقل قد ألغى.. وأن كل شيء تمام.. مع بقاء ترقيته..

- متشكر يانبيل.. متشكر جدا.. دا برضه عشمى فيك.. مع السلامة..

- مع السلامة.

مجرد أن أنتهى صلاح من عمله.. عاد الى المنزل وألقى بنفسه على أول مقعد فى مدخل الفيلا.. استقبلته زوجته وهى هلعة.

- ماذا بك ياصلاح ؟

- والله أنا هلكان.

مشاكل الشركة لا حصر لها.. خصوصا بعد القبض على الدكتور خطاب ومن معه.. مفيش شك أنها مصيبة حلت بالشركة لأنهم كانوا رؤساء أساسيين فى الشركة.. اننى الآن بسبب هذا الموضوع فى حالة نفسية سيئة لأقصى درجة.

- معلهش ياصلاح.. ربنا يجيب العواقب سليمة.. ولكن أظن فى هذه الزحمة طبعا لم تجد وقت ولم تتذكر موضوع نسرين.. بخصوص الغاء نقل محمود يعنى.

- أوه.. فكرتينى.. خلاص ياستى.. اعتبرى الموضوع منتهى.. طلبت رئيس شركته وتحدثت معه ووعدنى بإلغاء النقل باكر إن شاء الله.. مع البقاء على ترقيته كما هى.

ترد ألفت وهى فرحة سعيدة:

- متشكرة جدا ياصلاح متشكرة خالص.. يعنى أطلب نسرين وأخبرها بذلك ؟

- لأ بلاش اليوم.. باكر بعد أن يخبرنى رئيس شركة محمود بأن قرار الغاء النقل قد صدر فعلا.. لقد اهتممت بهذا الموضوع ولم أنسه أبدا فى زحمة مشاكل الشركة مخصوص علشان خاطر نسرين وعلشان بس أصلح شوية مما أفسده سامح.. وعلشان خاطر البنت تظل دائما متأكدة من حبنا لها..

- حبيبى ياصلاح... دائما أنت.. كما عاهدتك.. حبوب.. وكل يوم يزداد حبى لك يوم عن يوم.

يرد صلاح:

- أنا عندى أعز منك ياألفت... وكمان أنت عارفة اللى يسعدك يسعدنى وأقاربك... هم أقاربى.

- ترد ألفت.

- ربنا ميحرمنيش منك أبدا.

***

فى حوالى العاشرة صباحا.. كان فتحى فى القاهرة فى منزل شقيقته ألفت هانم.. استقبلته شقيقته بلهفة وترحاب شديد..

- أهلا.. أهلا فتحى.. أشتقنا الى رؤياك كثيرا.. نحن دائما لانراك الا فى المناسبات.

- أهلا ألفت.. لقد أشتقت الى رؤياكم جميعا.. ثم يتساءل فتحى:

- وياترى أى مناسبة هذه التى تقصدينها ؟

- مناسبة انتقال نسرين الى بيت الطالبات.

ويرد فتحى:

- لقد كان انتقالها هذا.. مفاجأة غير متوقعة.. بالنسبة لنا جميعا.. كما أنها لم تحطنا علما من قبل بما هى عازمة عليه !!

- والله يافتحى.. أنا خجلانه.. ولست أدرى ماذا أقول لك.. وكيف أبدأ كلامى.. وعلى العموم أنا أرى أن نسرين تسرعت وكان من الممكن علاج ما حدث دون أن تترك المنزل..

ويتساءل فتحى.. وقد أخذته الدهشة:

- ماذا حدث ياالفت ؟.. أخبرينى.. لقد قلقت..

- لا داعى للقلق.. فسأخبرك بكل شىء..

لقد فوجئت نسرين بدخول سامح عليها فى حجرتها بعد ذهاب رانيا الى مدرستها.. ويبدو أنه تصرف معها تصرفا غير لائق وقد أخبرتنى بانه حاول الاعتداء عليها..

واجهته بذلك أنا وصلاح ولكنه أنكر بإصرار..

ورغم ذلك.. فقد أعطيناه درسا أنا ووالده لن ينساه.. وأظنه الآن نادما على ما فعل.. وقد عرف خطأه جيدا.. ولا أظن أنه يجرؤ على أن يقدم على فعلته هذه مرة أخرى بعدما حدث له..

لذلك فقد كنت أرى أنه لاداعى لخروج نسرين واقامتها فى بيت الطالبات.. فقد كان من الممكن علاج ما حدث وأنا متأكدة أن شيئا من هذا لن يتكرر مرة ثانية..

ويصمت فتحى برهة ثم يرد على شقيقته



- اذا كان الأمر هكذا.. وأن هذا ما حدث.. فانني أرى أن نسرين قد تصرفت التصرف السليم.. وأن ما فعلته هو الخير بعينه..

- والله يافتحى أنا خجلانة.. ومكسوفة منك.. ولست أدرى كيف أقدم سامح على فعلته هذه.. هل جن.. أم فقد عقله.. ؟ !! لست أدرى.ثم تقول ألفت:

- مع ذلك فأنا أشعر أنه نادم علىٰ ما فعل.. وأظنه الآن أفاق لنفسه وأدرك فداحة خطئه.. رغم أنه لم يعترف حتى الآن أنه تصرف مثل هذا التصرف الشائن مع نسرين.

إن كل تصرفاته الآن تعنى أنه نادم.. وعلى العموم سترى ذلك بنفسك.. والأغرب من ذلك أنه أحيانا يسأل عنها.. وعن أحوالها فى بيت الطالبات.. وعما اذا كانت مرتاحة هناك أم لا.. على العموم مهما كان فأنت خاله يافتحى..

وفى الثالثة مساء تقريبا يعود صلاح بك من عمله ليفاجأ بوجود فتحى.. فيرحب به كثيرا وهو يقول له:

لقد حضرت يا فتحي يا اخي في موعدك كي نشكولك نسرين لذهابها للاقامة في بيت الطالبات

أما من ناحية سامح فقد نال منى ما يكفى لتهذيبه وتعنيفه.. رغم أنه مازال ناكرا وغير معترف بانه فعل شيئا شائنا مع ابنة خله حتى الآن..

ويرد الأستاذ فتحى:

- على العموم سامح إبنى.. وأنا لا أحمل له أى ضيق أو أى شعور بالكراهية.. ومهما كان فهو شاب والشباب له طيشه.. ومن الممكن أن نغفر له هذا الطيش.

وبينما هم يتكلمون واذا بسامح يصل.. فيستقبل خاله قائلا وقد احمر وجهه خجلا..كما بدا عليه الارتباك وهو يمد يده ليصافح خاله:

- أهلا أنكل فتحى.. اشتقنا لك كثيرا.. وكيف حال تانت ميرفت والأولاد وقبل أن يرد الخال التحية.. يجد سامح وقد أدار ظهره متجها الى حجرته فى حركة سريعة لا شعورية... لدرجة أنهم جميعا لاحظوا ذلك.. كما لاحظوا تعبيرات الخجل التى بدت على وجهه..

***

فى المساء كانت الأسرة بما فيها رانيا... الفت هانم... صلاح بك... والأستاذ.فتحي في بيت الطالبات لزيارة نسرين وأثناء وجود نسرين فى المطعم لتناول طعام العشاء سمعت تليفون من البواب.. وصوت احدى الطالبات يناديها:

- نسرين فتحى.. زيارة..

وتترك نسرين الطعام مسرعة فى لهفة الى حجرة الاستقبال فى مدخل بيت الطالبات.. لتفاجأ بوالدها وأسرة عمتها..

ارتمت نسرين فى أحضان والدها... دون أن تنطق بكلمة واحدة.. وأخذ والدها يقبلها فى جبينها.. وهو يضمها الى صدره ويربت على كتفها فى حنان أب مشتاق لابنته المدللة..

ثم تتقدم نسرين من عمتها لتقبلها مهللة:

- أهلا.. أهلا.. مفاجأة لم تكن متوقعة.. ثم تصافح زوج عمتها ورانيا وهى ترحب بهم..

ويقول لها والدها

- وحشتينى يانسرين.. لقد قلقت عليك يا ابنتى.. لم أستطع أن أنتظر كثيرا قبل أن أطمئن عليك..

لقد شعرت أن فى الأمر شيئا.. وشعرت من صوتك فى التليفون.. أن هناك ما يكدر صفوك..

- ليس هناك ما يقلق يابابا.. كل شىء على ما يرام والحمد لله.. وأنا هنا فى أحسن حال.. والبيت مريح.. وقريب من الكلية..

ثم تقول نسرين:

- فى الحقيقة يابابا أن تانت ألفت وانكل صلاح لم يألوا جهدا الا وبذلاه لراحتى والسؤال عنى.. لم يجعلانى أحتاج الى أى شىء.. كما لو كنت معهما فى المنزل.. لذلك أرجو أن تعتبر كأننى معهما.. وأعيش بينهما فى منزلهما.. وكن مطمئنا.

- إننى لا أشك فى ذلك يانسرين..

وترد العمة:

- والله يانسرين نحن فى غاية الكدر منذ أن تركت بيتنا حتى الآن.. ولكن مادامت هذه رغبتك.. وتجدين راحتك هنا... يجب علينا أن نحترم تلك الرغبة.

وتقول نسرين:

- أنا أعلم ذلك جيدا ياتانت .

وتقول رانيا:

- لقد تعودت على وجود نسرين معى ياأنكل ومازلت أشعر بالفراغ بعد رحيلها وتركها لنا..

ويرد صلاح:

- أنا واثق من أنها ستعود لك ثانيا يارانيا..

ويقول فتحى لابنته :

- لا يوجد انسان فى هذه الدنيا يانسرين.. ياابنتى معصوم من الخطأ.. وسامح أخوك يا نسرين .. وهو في منزلة إيهاب ابني بالضبط .. إنه شاب .. والشباب له طيشه .. المهم أنت يا نسرين .. أن تحافظي علي نفسك بعد ذلك لن يستطيع أحد أن يمسك أو يخدشك .. و أنا واثق منك ومن أخلاقك جيدا .. ولذلك فأنا مطمئن عليك ولا أخشي وجودك في أى مكان مهما كان .

ويستطرد الوالد في كلامه محدثا ابنته :

- أنت لا تعرفين يا نسرين يا ابنتي مدى حرج سامح عندما رآنى.. وفوجئ بوجودي عندهم .. وكذلك عندما مديده كي يصافحني .

لقد شعرت - والله - أنه يعتذر لي في صمت .. أرجو أن تنسي هذا الموضوع يا نسرين .. حاولي يا أبنتي .. إن ما فعله عمك صلاح وعمتك كفيل بأن ينسيك كل ما حدث .. كفيل بأن يشفع له عندك .. كما أرجو أن تزوري عمتك من آن لآخر .. وكأن شيئا لم يحدث .. وألا تجعلي أى شى يحول دون ذلك .

وهنا تلتقط العمه خيط الكلام .

- لقد رجوتها أن تقضي معنا يومي الخميس والجمعه من كل أسبوع .. ولكنها رفضت .. ولم تستجب لرجائى .

- لماذا يا نسرين

وتجيب نسرين علي والدها وهي ممتعضة .

- إنني لاأجد أى داع لذلك .. وإلا ماكنت جئت إلي هنا .. إلى بيت الطالبات .وتستطرد قائلة :

- أرجو أن تتركوني وشأني ولو لفترة .. وبعد ذلك سأحاول .
ويرد عليها صلاح :

- والله يا نسرين ياأبنتي . . لقد سعدنا بك طوال الفترة التي قضيتيها بيننا .. ولست أدري . لماذا أنت مصرة علي بعدك عنا مادمنا متأكدين أن شيئا مما أزعجك لن يحدث بعد ذلك ؟

- إعذرني يا أنكل .. كان لابد أن أفعل ذلك .. ولقد وجدت أن وجودي في بيت الطالبات هو الوضع الطبيعي بالنسبة لي .

- أرجو يا نسرين أن يكون ذلك لفترة .. و بعد ذلك كل شئ يعود لوضعه الطبيعي وتعودين بيننا كما كنت .

ويقول صلاح « بك » :

- خلاص يا نسرين .. نحن هنا تحت أمرك .. وسنتركك إلى أن تهدأ نفسك وتستريح أعصابك .

- شكرا لك يا أنكل .

ويفتح الأستاذ فتحي حافظة نقوده ويخرج منها نقودا .. ويعطيها لابنته قائلا :

-إذا وجدت نفسك فى حاجة إلى أى شىء فاتصلى بعمتك فورا فهى هنا بدلا منى.. وسأطمئن والدتك... لأنها قلقة جدا عليك.. ثم يقول لها:

- خدى بالك من نفسك يانسرين.. إننى أثق فيك جدا ثقة لا حدود لها مما يجعلنى أسافر وأنا مطمئن وغير قلق عليك..

- تأكد يابابا أن ثقتك فى محلها..

ثم يتحدث صلاح موجها كلامه إلى نسرين:

- على فكرة يانسرين نسيت أقول لك أن رئيس الشركة التى يعمل بها محمود اتصل بى اليوم وأخبرنى بأنه ألغى نقل محمود وتستطيعين أن تبشريه بهذا الخبر.

تهلل وجه نسرين... وقد انفرجت أساريرها وبدت السعادة على وجهها..

-صحيح ياأنكل متشكرة جدا جدا.. متشكرة خالص يا أنكل.. متتصورش أنا سعيدة أد إيه بسماع هذا الخبر و سوف أتصل به وأبلغه.. سيفرح كثيرا.. لقد أردت أن أسدى له صنيعا بعد كل هذه الخدمات التى يقدمها لى هنا.

يرد زوج عمتها:

- أنا بس يانسرين أريد أن تكوني راضية وغير زعلانة منا، فقط.. اطلبي وأنا أنفذ.

-متشكرة جدا جدا ياأنكل.. ومستحيل أن أزعل منكم أبدا.. دا أنتم أعز ناس عندى.. وما حدث مجرد ذوبعة فى فنجان.. وسوف تمر بسلام.

يرد صلاح:

-أرجو ذلك.

- إن شاء الله ياأنكل.

وبمجرد أن عرف فتحى بما فعله المهندس صلاح بالنسبة لإلغاء نقل محمود ابن صديقه.. شكره جدا على هذا.

رد المهندس صلاح:

- هذا واجبى يافتحى ولاداعى للشكر... احنا أهل

وتعودت نسرين على أن تتلقى من عمتها ورانيا مكالمة بعد عودتها من الكلية يوميا تقريبا للسؤال عنها... وكثيرا ما يشاركهما زوج العمة صلاح السؤال والاطمئنان وعما إذا كانت نسرين فى حاجة إلى أى شىء.

كما تعود محمود أن يتصل بها تليفونيا من آن لآخر.. أو يزورها ليسأل عليها وعما إذا كانت فى حاجة الى أى شىء أو تريد منه أى خدمة.

ونسرين أيضا تعودت أن تطلبه فى التليفون فى مقر عمله كلما أرادت شيئا ووجدت أن أحدا لن يستطيع تأدية هذه الخدمة إلا هو.

لقد تعودت منه الاستجابة الفورية لكل ما تطلب وتريد.. فوالدها الأستاذ فتحى دائما يرجوه أن يكون على صلة بها بصفة مستمرة وقضاء كل ما تطلبه منه.. ونفس الشىء والد محمود.. دائما يوصيه خيرا بها بحكم صلته وصداقته الوطيدة بالأستاذ فتحى.

لذلك فقد كادت تطير من الفرحة لأنها استطاعت أن تلغى لمحمود قرار نقله عن طريق زوج عمتها.. إنها بذلك ترد له الجميل.. بل بعض جمائله.. خصوصا أنه هو الذى أنقذها من محنتها عندما لجأت إليه وبحث لها عن مكان فى بيت الطالبات.. وهى لا تدرى

ماذا كانت ستفعل إذا لم يكن محمود هذا موجوداً .

لذلك فبمجرد طلوع النهار.. أى فى صباح اليوم التالى.. طلبت محمود فى عمله كى تزف له بشرى إلغاء نقله.

- ألو.. من فضلك أريد أن أتحدث مع الأستاذ محمود عبد التواب.

يرد عليها رئيس محمود فى العمل:

- دقيقة واحدة من فضلك.

ثم ينادى على محمود :

- محمود.. تليفون..

يأتى محمود مسرعا..

- آلو.. آنسة نسرين..

- أيوه يامحمود.. أنا بكلمك النهاردة علشان أبارك لك لقد ألغى قرار نقلك.

- موش معقول.. صحيح ياآنسة نسرين.. أكاد لا أصدق.. من قال لك هذا؟

- أنكل صلاح... خلاص والله يامحمود صدقنى.. خلاص مفيش نقل ولا حاجة.. رئيس مجلس إدارة الشركة بتاعتك شخصيا هو اللى ألغاه.

يتذكر محمود أنه يتحدث من مكتب رئيسه فيخفض من صوته قائلا:

- يعنى متى سوف أبلغ بذلك ؟

- حالا.. يمكن اليوم.. لكن كل ما أستطيع أن أقوله لك... أنه خلاص اطمئن مفيش المنيا ولا نقل ولا حاجة.

- ربنا ميحرمنيش منك ياآنسة نسرين.. متشكر... متشكر خالص... مع السلامة.

- مع السلامه يامحمود... (باى باى).

***

أما علياء ابنة عمة نسرين.. فقد ذهبت لزيارتها أيضا بمجرد أن علمت أنها انتقلت الى بيت الطالبات.. كانت مفاجأة كبيرة بالنسبة لعلياء أنها تعودت من نسرين أن تصارحها بكل شىء.. كما كان نفس الشىء بالنسبة لعلياء التى ترتاح لنسرين كثيرا

وتحدثها عن خلجات وكل خبايا نفسها و مشاكل حبها مع كريم زميلها فى الدراسة بالجامعة الأمريكية.. من هنا كانت تتردد على منزل خالتها ألفت كثيرا منذ أن وطئت قدم نسرين منزل عمتها.. لذلك فقد كان نبأ انتقال نسرين للإقامة فى بيت الطالبات مفاجأة كبيرة بالنسبة لها.. الأمر الذى جعلها تسارع لزيارتها فى بيت الطالبات بعد أن أخذت عنوانه من خالتها ألفت.

استقبلتها نسرين بالقبلات.. ولكن علياء بادرتها بعتاب شديد : كيف يا نسرين تنتقلين إلي بيت الطلبات دون أن تقولي لي ما أنت عازمة عليه : لقد كنت معك في منزل تانت ألفت قبل أنتقالك إلي هنا بيومين فقط .. ولكنك لم تقولي لي ما أنت عازمة عليه .. كذلك لماذا لم تأت للإقامة معنا في منزلنا بدلا من بيت الطالبات وأنت تعلمين جيدا مدي حبي أنا ومامي لك .. وهو منزل عمتك بالضبط مثل منزل عمتك ألفت

معلهش يا علياء أعذريني .. فقد حدثت اشياء فجأة ماكنت أتوقعها .. بس أجلسي وسوف أحكي لك الموضوع بأكمله .

وقصت نسرين على علياء.. ما حدث لها مع سامح.. خصوصا وأنها تعودت ألا تخفى عنها شيئا... ورجتها أن يظل هذا الموضوع سراً بينهما ولا تبوح علياء به لأحد.

أسفت علياء كثيرا لما حدث.. وأبدت اشمئزازها وسخطها على سامح ابن خالتها.. فما كانت تتوقع أن يحدث مثل هذا التصرف الشائن من إنسان مثقف مثله.. خصوصا مع ابنة خاله.. ثم قالت لنسرين:

- برضه يانسرين أنا زعلانه منك... لماذا لم تلجئى لنا.. لماذا لم تأت إلى منزلنا لتقيمى معنا أنا وماما.. والمنزل كبير.. وياستى إذا لم يسعك.. نشيلك فوق رؤسنا وأنت تعلمين جيدا مدى حبنا لك ومعزتك عندنا.

- معلهش ياعلياء.. أردت ألا يتسع الموضوع.. وأن يظل فى الكتمان دون أن يعلم به أحد... إننى انتقلت هنا إلى بيت الطالبات بحجة أن منزل عمتى ألفت بعيد عن الكلية.. مما يسبب لى مشقة فى المواصلات ، الأمر الذى جعلنى أختار منزل الطالبات هذا بالقرب من الجامعة.. ولكن لو كنت قد لجأت إليكم وأقمت معكم فسيكون هناك علامات استفهام.. وقيل وقال...

خصوصا خالتك فريال وابنتيها وأنت تعرفينهن جيدا.. وأرجوك ألا تنبسى ببنت شفة عن هذا الموضوع لأى مخلوق كائناً من كان وأن يظل سرا بيننا.

- طبعا يانسرين أنت تعرفيننى جيدا لا يمكن أن أتحدث عن شيء من هذا القبيل لأحد.. وعلى العموم.. إذا كانت هذه وجهة نظرك وسبب عدم لجوئك إلينا... تبقى براءة وأنا موش زعلانة منك.. بس ضرورى ضرورى تيجى علشان تزورينا من وقت لآخر.

- ان شاء الله ياعلياء.. أنت عارفة منزلتكم عندى.

أما ريهام فبمجرد أن علمت أن نسرين انتقلت للاقامة فى بيت الطالبات حتى تكون بالقرب من كليتها... حتي شعرت بارتياح شديد.. فقد رأت أن الجو قد خلا لها بالنسبة لسامح لغيرتها الشديدة عليه من نسرين ، لذلك فقد بادرت بزيارة نسرين فى بيت الطالبات.. قائلة لها:

- لقد أحسنت يانسرين كثيرا بانتقالك هنا .. سوف تكونين بالقرب من كليتك وقد جنبت نفسك مشقة المواصلات وزحمة الأتوبيسات..

***

فى أحد الأيام... احتاجت نسرين إلى كتاب طلبه منها أستاذ الاقتصاد.. وبحثت نسرين عنه كثيرا فى المكتبات ولم تستطع الحصول عليه. وأخيرا.. وبعد تفكير وجدت أن أحدا لن يجد لها هذا الكتاب إلا محمود.. فهو يعرف أماكن ومكتبات كثيرة فى القاهرة لا تعرفها هى... اتصلت بمحمود فى عمله ورجته أن يبحث لها عن الكتاب حيث إنها لم تستطع الحصول عليه... وقد أعياها البحث عنه.

ورد عليها محمود:

- ولماذا ياآنسة تحملين نفسك مشقة البحث ؟.. لماذا لم تلجئى إلى مباشرة وأنا أبحث عنه وأحضره لك فى الحال ، بدلا من أن ترهقى نفسك فى البحث... ألا تعرفين أننى مدين لك بالكثير.. لقد كنت على وشك أن أطلبك كى أشكرك كثيرا لقد بلغت لتوى بإلغاء نقلى من الأستاذ سعيد رئيسى قائلا لى:

- مين زيك ياعم يبدو أن لك ظهراً جامداً.. لقد طلب نبيل بك مختار رئيس الشركة شخصيا إلغاء نقلك.

لذلك فأنا أشكرك جدا ياآنسة نسرين ، وهو جميل لن أنساه لك مادمت على قيد الحياة.

ترد نسرين:

- جميل إيه يامحمود أنت أفضالك سابقة... دا أنا أرد لك بعضها... ألف شكر يامحمود... إلى اللقاء..

- إلى اللقاء يامدموازيل نسرين.

ويلاحظ رئيس محمود فى العمل الذى يوجد فى مكتبه التليفون الذى تعودت نسرين أن تطلب محمود عن طريقه... أن محمود يبدى اهتماما خاصا بتليفون هذه الفتاة التى تعودت أن تطلبه دون أى تليفون سواه... كما لاحظ أنه يستجيب لكل ما تطلبه منه وهو فى سعادة مفعمة..

بعد انتهاء المكالمة... سأله رئيسه مداعبا:

- من هذه الفتاة الرقيقة التى تداوم الاتصال بك يامحمود... إن لها صوتا موسيقيا رائعا... هل هى إحدى قريباتك..؟.. أم هى حبيبة القلب؟.

ويجد محمود في كلمة رئيسه (حبيبة القلب) هذه... صدى جميلا فى نفسه... مس وترا حساسا فى قلبه لم يمسه أحد من قبل.. حتى هو نفسه لم يجرؤ وكان للاحمرار الذى شاب وجهه من الخجل والسعادة التى اعترته بعد سماع هذه الكلمات.. أكبر دليل على الجواب الذى أوحى لرئيسه بأنها حبيبة القلب...

ودون أن يرد محمود بكلمة واحدة انصرف مسرعا .

***

ورغم أن الحياة فى بيت الطالبات لم تمنح نسرين الراحة التامة ولا تعطيها الجو العائلى التى كانت تشعر وتحاط به فى منزل عمتها... إلا إنها بدأت تتأقلم على حياتها فيه ..

لقد خيل إليها قبل أن تطأ قدماها بيت الطالبات.. أنها سوف تجد فيها الجو المناسب للاستذكار... وتشعر فيه بالهدوء... وتخلد فيه للراحة.. إلا أنها وجدت الحياة فيه (على غير ما كانت تتوقع) حياة مرحة صاخبة إلى حد كبير... فما أكثر المناسبات لإقامة الحفلات.. خصوصا حفلات أعياد الميلاد... ومناسبات الخطوبة... فهذه الطالبة عيد ميلادها اليوم.. وتلك غدا.. وهذه تمت خطبتها فتجلجل الزغاريد فى أرجاء المنزل.. وتلك سوف يتم عقد قرانها

فيقام حفل بهذه المناسبة.. وهكذا...

وتوجد من الطالبات من هن متخصصات فى إقامة هذه الحفلات.. فيقمن بجمع النقود من الطالبات بالمنزل لشراء الكيك والتورتة والجاتوه ومستلزمات أعياد الميلاد من شموع وورق للزينة وغير ذلك.. كما يوجد بين الطالبات من يجدن الزغاريد ومن يهوين الرقص الشرقى ويجدنه إجادة فائقة.. ومنهن أيضا من يهوين القيام ببعض أدوار التمثيليات المرحة.. هذا إلى جانب تسجيلات الموسيقى الصاخبة والأغانى الغربية الخفيفة التى يصحبنها دائما بالرقص الأفرنجي.

وكانت نسرين تحضر هذه الحفلات مجرد متفرجة... إلا أن الطالبات لاحظن انكماشها وتقوقعها وإنطوائها على نفسها.. وأنها لا تشاركهن مرحهن وصخبهن.. فكن يجبرنها على المشاركة الفعلية والرقص بالقوة معهن.. خصوصا سوسن زميلتها فى الحجرة.. كانت تشدها بالقوة وتجبرها على الرقص معهن.. إلى أن وجدت نفسها مندفعة وسطهن ترقص وتلهو وتشارك مشاركة حقيقية.

فى بادئ الأمر كانت نسرين تجد حرجا شديدا... كما كانت تتعثر أثناء رقصها... فهى لم ترقص من قبل إلى أن أجادته إجادة تامة.. بل وتفوقت عليهن جميعا.. كل ذلك أكسبها جرأة.. فأضفت هذه الحفلات على شخصيتها روح الفرح واللهو.. وجرفتها إلى الحياة المرحة... بل وأصبحت تميل إلى الحياة الاجتماعية بدلاً من حياة العزلة والتقوقع.. التى كانت تتميز بها من قبل.

واندمجت نسرين فى هذه الحياة الجديدة... لقد أخرجتها من تقوقعها وأنستها آلامها.. ومنحتها ثقة فى نفسها وصلابة فى شخصيتها.

رأت أنه لا مانع من كل ذلك مادام فى حدود المعقول ..ومع زميلاتها داخل البيت وفى أوقات الفراغ .

***

أما صفوت الشَّشتاوى ابن عم نسرين الكبير.. فقد اتخذ من ثراء والده وسلطانه بالقرية ذريعة كى يعيث فى القرية الفساد ومن حوله مجموعة منتفعين من فلاحى القرية يحيطون به ويساعدونه على تنفيذ أوامره.. وإشاعة الظلم والفساد فى القرية.. كان يتفق مع مدير الجمعية الزراعية بالقرية ويأخذ منه السماد المخصص لزمام القرية الزراعى .. وكذلك المبيدات الحشرية ويبيعها فى السوق السوداء لبعض التجار بالمنصورة.. وينفق هذه الأموال على ملذاته ونزواته ومظاهره الكذابة مع شلة السوء التى يقضى معها لياليه الحمراء فى القاهرة والمنصورة وغيرها من المدن.. ومدير الجمعية الزراعية لا يأخذ الا مبالغ زهيدة من صفوت.. ويقوم بخفض كميات الأسمدة المخصصة لزراعات كل فلاح فى القرية متعللا بأن الجمعية لم يصلها إلا هذه الكميات كما يقوم بغش المبيدات الحشرية كى يعوض الكميات التى يعطيها لصفوت.. ويكون نتيجة ذلك تلف المحاصيل بالقرية خصوصا محصول القطن بالبلدة والذي تتلفه الدودة بسبب غش المبيدات الحشرية التى يتم رشه بها... وكان فى بلدة صفصافة هذه من يعرف سبب ضياع محصول القطن بالبلدة.. فقاموا بإرسال عدة بلاغات إلى مأمور المركز بما يحدث فى الجمعية من مخالفات وسرقة... وما يحدث بالنسبة لغش المبيدات الحشرية... ولكن دون ذكر أسمائهم حتى لا ينكل صفوت بهم.

أرسل مأمور المركز قوة مع بعض الفنيين لتفتيش الجمعية ومصادرة دفاتر الحسابات وأخذ عينات من المبيدات الموجودة بها.

وفى الحال أرسل صفوت إلى عبد المتعال المحجوب مدير الجمعية تهديدا بأنه إذا ذكر اسمه أو زج به فى التحقيقات لأى سبب من الأسباب سوف يقضى عليه نهائيا هو وعائلته بالبلدة..

بعد مراجعة دفاتر وحسابات الجمعية... اكتشف تلاعب كبير فى الدفاتر... واكتشفت السرقات... وبتحليل المبيد الذى كان موجودا بالجمعية تبين أنه مغشوش كان سبب تلف محاصيل القرية.

وتم القبض على عبد المتعال مدير الجمعية وبعض مساعديه وحولوا جميعا إلى النيابة للتحقيق معهم.

أيضا فى الليالى التى يقضيها صفوت فى بلدته تعود أن يسهر مع شلة من أتباعه فى الحجرة الموجودة فى مدخل حديقة القصر بعد أن أثثها وجعل منها حجرة استقبال يقضى فيها سهراته واجتماعاته مع أعوانه... وكانت هذه السهرات لا تخلو من تعاطى المكيفات وشرب الحشيش.

و.. أحب صفوت زوجة أحد أعيان البلد والتي عرفت بجمالها الفطرى الأخاذ. ..لها عينان سود اوان واسعتان.. وبشرة بيضاء ناصعة مشوبة بحمرة الورود... شعرها أسود فاحم ينسدل على كتفيها فيزيد وجهها جمالا وإشراقا ويزيد من طول رقبتها التى تنسجم مع قوامها الممشوق ومع تسميتها بالغزال .. وهى تدعى سميه... فيقال عنها سمية الغزال.

وكان أحد أعوان صفوت يدبر له المقابلات مع سمية فيختلى بها ليلا فى هذه الحجرة التى تقع فى مدخل القصر.

وانتشرت الإشاعات فى جميع أنحاء القرية عن علاقة صفوت بسمية.. وكان الزوج آخر من يعلم... ومع انتشار الاشاعة نمى الخبر إلى علم الزوج... فقرر الانتقام من صفوت بعد أن ضرب زوجته ضربا مبرحا وحبسها فى منزله حبسا مطلقا.. وقال لها:

- لن أطلقك لأنى أعرف أن طلاقك سوف يجعلك حرة وتذهبين إليه فى أى وقت تشائين.. ولكنى سوف أنتقم منك بحبسك وتعذيبك هكذا.

وصمم على الانتقام من صفوت وتربص له عند عودته ليلا إلى منزله وأطلق عليه عيارا ناريا.. لكنه لم يصب بأذى.

عندما علم والده عبد الفتاح بخبر تعرض ابنه للقتل بإطلاق الرصاص عليه.. هلع وأصيب بذعر وخاف على ابنه من تكرار المحاولة.. ومن الممكن أن تصيبه فى المرة القادمة... ونظرا لأن صفوت له عداوات كثيرة فى البلدة.. قام بجمع عدد من الأشخاص من بينهم صبرى زوج سميه واتهمهم بمحاولة قتل ابنه وحبسهم عنده وطلب من الخفر وبعض رجاله بضربهم ضربا مبرحا وتعذيبهم حتى يعترف من أطلق الرصاص على ابنه محاولاً قتله وتركهم بضعة أيام ولكن أحدا منهم لم يعترف.. ثم أبلغ البوليس بالحادث... ولكن التحقيق لم يصل إلى نتيجة وأفرج عنهم جميعا.

***

فى يوم ٣٠ ديسمبر... قامت مدام سيدة مشرفة بيت الطالبات بعقد اجتماع مع الطالبات بمناسبة ليلة رأس السنة... قالت لهن:

- إن مجلس إدارة الدار قرر فى اجتماعه أمس عدم السماح لأى طالبة بقضاء ليلة رأس السنة خارج الدار إلا إذا كان معها تصريح من ولى أمرها يسمح لها بذلك ..و يمكنكن الاحتفال بهذه المناسبة داخل الدار... وقالت المشرفة أيضا:

- وقد قرر مجلس الادارة العمل على تهيئة الجو المناسب لإقامة هذه الحفلة... ويمكن لكن أن تعددن برنامجا للاحتفال بهذه الليلة من الآن..

وبمجرد أن سمعت الطالبات هذه الأوامر... نظرت كل منهن للأخرى فى دهشة لهذه التعليمات الغريبة... وغير المتوقعة.. إذ إن معظمهن لهن أحلام وردية لقضاء هذه الليلة خارج الدار بصحبة الأصدقاء فى صخب حتى الصباح... كل منهن لديها أحلام لقضاء ليلة صاخبة ليست ككل الليالى.

أما نسرين.. فقد تلقت فى صباح اليوم التالى (٣١ ديسمبر) مكالمة من عمتها تدعوها فيه لقضاء الليلة معهم فى الهيلتون كما تعودت كل سنة... إلا أنها اعتذرت... ورفضت بشدة لأنها تعلم جيدا أن سامح سوف يقضى هذه الليلة معهم... وقررت نسرين أن تقضى الليلة مع زميلاتها بالدار وتحتفل بها معهن على طريقتهن الخاصة..

وفى المساء (ليلة رأس السنة) جلست مدام سيدة فى قاعة الاستقبال التى تقع فى مدخل الدور الأول.. والتى يتوسطها سلم يؤدى إلى الطابق الثانى جلست من حولها بعض الطالبات:

وفى حوالى التاسعة والنصف.. بدأت الموسيقى الصاخبة تنبعث من جهاز كاسيت تصدح فى أرجاء المنزل إيذانا ببدء الاحتفال..

قالت لهن المشرفة:

- لقد هيأت لكن جوا مرحا للاحتفال بهذه الليلة السعيدة.. حتى يمكنكن الاستمتاع بها هنا فى الدار وبكل الوسائل بدلا من قضائها بالخارج.. مما يتعارض مع قرارات....

وقبل أن تكمل المشرفة حديثها... إذا بصوت (كلاكس) يدوى فى آذان الجالسات وفى لحظات ظهرت ميادة فى أعلى السلم بالدور

الثانى ترتدى أجمل ثياب للسهرة وتبدو فى كامل زينتها أخذت تقفز السلم قفزا.. إلى أن وصلت إلى المشرفة... قدمت لها مظروفا وهى تقول:

- هذا تصريح من بسام ولى أمرى هون كى أقضى السهرة الليلة خارج البيت.. ثم تدير ظهرها بسرعة نحو الباب الخارجى كى تلحق بصديقها... دون أن تنتظر لحظة واحدة لسماع رد أو جواب من المشرفة..

وأعقب خروج ميادة لحظة صمت ودهشة من المشرفة والطالبات الحاضرات.. وقبل أن تفتح المشرفة فاهها بكلمة أو تعلق على تصرف ميادة... إذا بصوت (كلاكس) لسيارة أخرى يخترق هذا الصمت ويصم آذان الحاضرات... وفجأة تظهر سهيلة فى أعلى الدرج أيضا ترتدى ثيابا رائعة ورائحة العطر تفوح منها لتملأ المكان وتهبط درجات السلم بسرعة فائقة.. ثم تفعل نفس الشىء وتقدم للمشرفة مظروفا قائلة:

- هذا تصريح من طلال ولى أمرى هون كى أقضى الليلة خارج المنزل.. ثم تنطلق كالصاروخ نحو الباب الخارجى..

ولم تمر دقائق على خروج سهيلة إلا وصوت كلاكس آخر يدوى... وإذا برباب تظهر وفى يدها تصريح آخر لتقدمه للمشرفة... ولم تكد رباب تصل إلى الباب الخارجى إلا وصوت كلاكسات يعلو صوت الموسيقى التى تتصاعد فى صخب من الكاسيت المزود بسماعات تنتشر فى أركان القاعة .. وتظهر ساهرة وهى تختال فى ثيابها الماكسى الوردى الجميل أثناء نزولها السلم. وتقدم تصريحها للمشرفة.. ثم تتقدم كامليا بنفس التصريح وتعقبها سميرة عقب سماع نداء (كلاكسات) صديقهما...

وهكذا تسربت معظم الطالبات واحدة واحدة تلو الأخرى... لقضاء الليلة خارج المنزل ، والسهر بالطريقة التي تختارها لنفسها مع صديقها المفضل... ضاربات بقرارات مجلس الإدارة عرض الحائط... دون أن تستطيع مشرفة الدار أن تتكلم كلمة واحدة أو تعترض على واحدة منهن... فجميعهن قدمن لها التصريح الذى طلبه مجلس إدارة المنزل.. بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصريحات صادرة عن أولياء أمور حقيقيين أم وهميين.. فمعظم الطالبات الوافدات من الدول الأجنبية يخترن أى شخص

ويقدمنه على أنه ولى أمرهن فى القاهرة... وهذه ظاهرة واضحة ومعروفة بين هؤلاء الطالبات..

***

لم يبق بالدار إلا عدد قليل من الطالبات من بينهن نسرين وسوسن زميلتها فى الحجرة.

ورقصن جميعا حتى الصباح.. ورقصت نسرين بينهن وكأنها قد درست أصول الرقص فى معهد متخصص.. أو كأنها تعلمته منذ سنوات رغم أنها لم تتعلمه إلا بعد دخولها بيت الطالبات... وساعدها على ذلك رشاقتها وقوامها المشوق.. وكان لحسن أدائها هذا مع جمالها وأناقة الفستان الذى ترتديه الفضل فى جعلها نجمة الحفل.. ولفت أنظار جميع زميلاتها... وكن يلاحقنها وكأنهن رجال، يلقين عليها عبارات الغزل والإعجاب... كل منهن بتعليق مختلف...

– ما هذا يانسرين... كأنك القمر... ونحن من حولك النجوم..

– إنك لرائعة يانسرين... كدت أطلب منك تلقينى درسا فى الرقص.

– لقد علمتك الرقص يانسرين... وما كنت أدرى أنك ستتفوقين على...

– يالك من جميلة وجذابة يانسرين..

– لو كنت رجلاً ما ترددت لحظة واحدة فى طلب يدك من والدك..

وتهلل نسرين ضاحكة... معلقة على هذا الإطراء من جانب زميلاتها:

– ما هذا كله... ما هذا كله ؟ .. يا إلهى.. أكاد أصدق كلامكن... أشعر وكأنى أصعد إلى السماء... أكاد أطير فى الفضاء.. أكاد أمتطى السحاب... أو الس النجوم .. أكاد أجالس القمر

إن أحدا بعد ذلك لن يستطيع أن يهبط بى إلى الأرض.. لقد عرفت من خلالكن قدر نفسى... كنت أجهلها تماما..

ثم تضحك نسرين عاليا وبسعادة فائقة..

ولأول مرة تضحك من قلبها منذ أن تركت منزل عمتها ووطأت قدماها بيت الطالبات... إذ كانت تعتريها دائما حالة من الاكتئاب النفسى...

وسهرن... وسهرت نسرين معهن حتى الصباح... فى رقص ومرح وسعادة محت من أعماقها آثار الكآبة من الصدمة التى سببها لها ابن عمتها.

وكان لهذه الليلة آثاراً واضحةً على نفسية نسرين وتحول ظاهر فى نظرتها للحياة... أصبحت الآن أكثر اشراقا وتفتحا على الحياة.. كما أحبت بيت الطالبات.. مما شجعها على الاستذكار بعد أن كانت تجد صعوبة فى استذكار دروسها فى هذا الجو الذى لم تتعود عليه من قبل...

***

و.. مرت حياة نسرين داخل بيت الطالبات هادئة لم يعكر صفوها شىء بعد أن تعودت وتأقلمت على هذه الحياة... اكتسبت خبرة فى نواح كثيرة.. وتعلمت من زميلاتها أشياء كانت تجهلها... وكثيرا ما كانت سوسن صديقتها توجهها فى وضع المكياج الذى كانت تفتقر إلى الخبرة فيه... كما ازدادت خبرة فى اختيار ملابسها وطريقة اختيارها للألوان والموديلات بحكم احتكاكها ووجودها وسط مجموعة كبيرة من الطالبات.

وكانت عمتها كثيرا ما تتردد عليها لزيارتها وبصحبتها رانيا وزوجها (صلاح بك) كما كان إيهاب شقيقها يحضر من الإسكندرية للاقامة عند عمته بضعة أيام يقوم خلالها بزيارة نسرين وبصحبته رانيا.. وكثيرا ما يأخذهما للسينما أو يصحبهما للنادى أو النزهة فى أى مكان، وذلك كان يعوض نسرين جو الأسرة الذى افتقدته بعد أن تركت منزل عمتها.

ومحمود أيضا كان يزورها ويتردد عليها من آن لآخر.. للسؤال عنها وعما إذا كانت فى حاجة الى شىء... وكانت نسرين تتعامل معه من منطلق صداقة والدها لوالده... كما أن والدها كان قد أوصاها أن تلجأ إليه إذا احتاجت شيئا.

***

اقترب نهاية العام الدراسى واعتكفت نسرين على استذكار دروسها.. وجاء الامتحان وأدته نسرين على خير وجه.

وفي نهاية الإمتحان .. وفي آخر يوم .. كانت الحقائب معدة .

وبالقطار سافرت نسرين إلى المنصورة لقضاء الإجازة..

وبعد شهر تقريبا... فاجأتها عمتها بالتليفون..



- مبروك يانسرين.. لقد نجحت بدرجة جيد جدا..

كما نجح إيهاب شقيقها وبدرجة جيد جدا أيضا...

ومرت الاجازة مملة... رتيبة... خصوصا بعد أن تعودت نسرين على صخب القاهرة... ومرح بيت الطالبات..

وأصبح الفراغ يملأ عليها حياتها طوال الأجازة... مما أعطى لها فرصة التفكير واستعادة كثير من ذكرياتها أثناء إقامتها فى منزل عمتها وأيضا فى بيت الطالبات... كما استحوذت تصرفات سامح معها على معظم تفكيرها كما هى العادة... أحيانا كانت تعز عليها نفسها... مما جعلها تقسم بينها وبين نفسها أنها لابد أن تجعله يندم على كل تصرفاته هذه إن لم يكن اليوم فليكن غدا.

كانت القراءة هى أنيسها الوحيد... وسلاحها للتخلص من رتابة الأيام وقتل ملل الأجازة.. فالأجازة هى فرصتها الوحيدة للاطلاع وتوسيع المدارك... فرصة لم تتوافر لها بالقدر الكافى أثناء العام الدراسى..

وأوشكت الأجازة على الانتهاء... واقترب العام الدراسى الجديد... لم يعد سوى أيام وتبدأ الدراسة..

وبدأت نسرين تعد نفسها لاستقبال العام الدراسى والعودة إلى القاهرة والإقامة فى بيت الطالبات..

***

بعد أن كثرت الإشاعات حوله وعلاقاته الآثمة وفضائحه فى القرية وفى كل مكان... قرر والده ان يزوجه خصوصا بعد أن عرف بعلاقاته الآثمة فى القرية وفى غيرها.

خطب له ابنة عمدة البلدة المجاورة لهم وتدعى ثناء... فتاة طيبة على قدر من الجمال ممتلئة القوام نوعا ما... حاصلة على الثانوية العامة ولم تكمل الجامعة لعدم حصولها على مجموع... ووجدها صفوت مناسبة له لعدم حصولها على مؤهل جامعى حتى لا تكون أكثر منه ثقافة.

وأقام عبد الفتاح لابنه الأكبر فرحاً لم تشهده الناحية بأكملها.. أقام الولائم والعزائم عدة أيام ودعا الى الفرح أعيان الدقهلية ومسئوليها.. ولم ينس صفوت أن تحيى الفرح راقصته المفضلة نسمة التى يسافرالي القاهرة خصيصا لهامع أصحابه ليقضى الليل فى الكباريه الذى ترقص فيه... كما حضر الفرح شلته التى تقاسمه نزواته وانحرافاته وسهراته الماجنة .. إلا أن عبد الفتاح الششتاوى كان يتمنى أن يجد حوله شقيقاته وأخاه فتحى كى يشاركونه فرحته بزواج ابنه... فكر فى دعوتهم.. ولكنه أيقن أنهم لن يلبوا دعوته.. بل سوف يرفضونها بشدة وسوف يغلقون أبواب منازلهم فى وجهه.

وأقام عبد الفتاح لابنه فرحا تحدثت عنه الدقهلية كلها... وهو ما كان يهدف إليه وأنفق عليه ببذخ لم يحدث من قبل.

وظن الكثيرون أن زواج صفوت سوف يجعله يحجم عن سيرته البطالة ويستقيم فى سلوكه.. إلا أن ذلك لم يحدث... لم يمنعه زواجه من مواصلة انحرافاته ونزواته.. ولم تكن زوجته إلا أما لأولاده.. كانت بمثابة الكم المهمل الذى يركن إليه عندما يريد... كما كانت إنسانة طيبة مسالمة تعيش مع العائلة بالقصر... وكان صفوت يتركها ويسافر سائحا يجوب جمهورية مصر العربية وينفق ببذخ وبلا حساب على شلته التى تجوب معه البلاد وتسهر معه سهراته الماجنة فى شارع الهرم وغيره.

ومع كل ذلك كان عبد الفتاح دائما سعيدا بولده الكبير صفوت... ولم يفكر فى يوم من الأيام أن يوجه إليه لوما أو يؤنبه على

سلوكه هذا... ومع الأيام ومرور السنين شعر عبد الفتاح بعجز وضعف عام وقد أقعده المرض بعد أن طاف على أمهر دكاترة مصر بالقاهرة والاسكندرية وكل مكان دون جدوى.. وقد اضطر إلى بيع جزء كبير من أرضه التى كانت فى الأساس من نصيب إخوته... باعها كى يغطى نفقات مرضه ونفقات أولاده المهولة وإسراف صفوت الذى لا حدود له... خصوصا وأن إنتاج الأرض ضعف بسبب مرضه وعدم مباشرة زراعتها كما يجب.

كل ذلك جعله يستدعى ابنه صفوت ويقول له:

- صفوت أنا الآن يا بنى أقعدنى المرض ولم يعد بوسعى أن أدير الأرض أو أشرف على زراعتها.. وآن الأوان أن تتسلم أنت المسئولية وتحل محلى فى زراعتها... فما رأيك ياصفوت ؟

نظر صفوت لوالده وقد لمعت عيناه بعد أن أحس أن الفرصة قد سنحت له وذهبت إليه بدون عناء... أجاب على والده مسرعا:

- بالتأكيد يابابا.. بالتأكيد.. أنت الآن أصبحت لا تستطيع أن تتحمل هذه المسئولية ولابد أن تتركها لى وثق أننى سأكون عند حسن ظنك.

- هذا هو أملى فيك ياصفوت.. وأنا واثق أنك سوف تكون أحسن منى وأقدر منى.. وسوف تعود الأرض أقوى وأشد مما كانت.. مهما كان فأنت مازلت شابا.. وعقليتك عقلية مستنيرة عنى... واللا إيه ياصفوت ؟

- طبعا.. طبعا يابابا... أنا نفسى لاحظت أن حضرتك أصبحت غير قادر على عملية الزراعة هذه... وكنت سأطلب منك أن تستريح وتتركها لى.. وإن شاء الله كل شىء سيكون تمام التمام

ويصمت صفوت قليلا ثم يقول لوالده : ولكن يابابا إشرافى على الأرض يستلزم توكيلاً عاماً منك فى كل شىء حتى يكون لدى حرية الحركة وسرعة البت فى كل شىء وكى أعمل وأنا مرتاح دون عقبات.

سرح عبد الفتاح قليلا... وقد استغرق فى تفكير لبرهة.

لاحظ صفوت تردد والده قليلا فقال له :

- لاتخف يابابا.. أنا سوف أضاعف أرضك هذه وسوف أشترى معها زمام قرية صفصافة كله... دا انا ابنك صفوت يابابا.

- طبعا.. طبعا ياصفوت .. ليس لدى شك فى ذلك..

ثم يقول له:

- جهز التوكيل وأنا مستعد لتوقيعه

و.. حصل صفوت على توكيل عام من والده بالبيع والشراء.. والتصرف فى كل شىء دون الرجوع إليه .

شعر صفوت أن فرصة العمر قد أتيحت له... فانخرط فى ملذاته أكثر وأكثر.. فى الوقت الذى كانت صحة والده تنحدر من سيء إلى أسوأ.. كما أصيبت والدته بمرض عضال أقعدها الفراش وساءت حالتها أكثر من صحة زوجها عبد الفتاح. ولم يمنع ذلك صفوت من سهراته الماجنة بل زاد من سفره إلى القاهرة ولعب القمار والسهر فى الكباريهات .. وتعاطى الحشيش.. بل نشأت علاقة بينه وبين راقصة أخرى فى كباريه آخر تدعى لؤلوة هام بحبها وكان يسافر الى القاهرة خصيصا لها يسهر معها ويغدق عليها من أمواله بدون حساب.

كان يأخذ إيراد الأرض كله لينفقه على ملذاته لدرجة أنه أصبح يجد صعوبة فى تدبير الأموال للإنفاق على زراعة الأرض... أو حتى الإنفاق على المنزل ومصاريف علاج والده ووالدته التى ساءت حالتها جدا... وكان كلما طلبت منه والدته أو والده أموالاً لتغطية هذه المسائل الضرورية... أعطى لهم مبالغ قليلة جدا متحججا بحجج واهية وحتى لا ينكشف أمره.. لم يجد صفوت بدا من أن يبيع عدة فدادين من أرض والده لتغطية نفقاته ومصروفات المنزل وأشقائه وعلاج والداه... واستمر هكذا كلما اضطرته الحاجة قام ببيع قطعة أرض.. كل ذلك دون علم والده الذى أقعده المرض.

***

فى القاهرة.. صدرت حركة تكميلية لأعضاء السلك الدبلوماسى بوزارة الخارجية.. وشملت الحركة سامح... وتم نقله إلى جنيف بسويسرا... وصدر قرار وزير الخارجية بتنفيذ النقل خلال ثلاثة شهور من تاريخ صدور الحركة كالمعتاد.

وقرأ الأستاذ فتحى كما قرأت نسرين نبأ نقل سامح إلى جنيف فى الجرائد اليومية.

اتصل فتحى بشقيقته هاتفيا وهنأها وهنأ سامح بنقله إلى جنيف... أما نسرين.. فرغم بعدها عنه.. ورغم ضيقها منه.. وحقدها عليه.. فقد شعرت أن شيئا ما قد حدث ضد رغبتها... شعرت أنها فقدت شيئا.. فهى رغم ذلك كله... يوجد فى قلبها مكان له... و تشعر بنبضات قلبها تخفق كلما ذكر اسمه أمامها.. حاولت كثيرا أن تضغط على نفسها... أن تصادر مشاعرها هذه... ناشدت قلبها أن يستجيب لنداء عقلها وحكمته... دون جدوى.

إنها مازالت ترى أنه لابد أن يأتى اليوم الذى تقهره فيه وتجعله يركع أمامها معتذرا.. ولكنها الآن وبعد صدور قرار سفره.. لن تتاح لها هذه الفرصة.. سوف يبتعد عنها.. وتبتعد عنه.. ربما للأبد.

وفى القاهرة رأت ألفت هانم أنه من المناسب أن تسافر هى وأسرتها إلى المنصورة لزيارة شقيقها.. وبالمناسبة تتوسل إلى نسرين كى تعود وتقيم معهم ثانية بدلا من ذهابها إلى بيت الطالبات... خصوصا أن سامح سوف يسافر إلى جنيف بعد ثلاثة شهور تقريبا.. لذلك فلا داعى لأن تقيم فى بيت الطالبات

ولكن ألفت هانم فكرت فى أنه ربما تعارض نسرين فى العودة والإقامة معهم... مادام سامح مازال بالمنزل ولو حتى لبضعة أيام .

فكرت الأم فى أن تحمل سامح على السفر معهم لزيارة خاله بالمنصورة... وأن سفره معهم فى حد ذاته يعتبر اعتذارا عما بدر منه .. وبذلك توافق نسرين على العودة إليهم.

وعرضت الأم الفكرة على زوجها وهى تضيف قائلة:

- أنت تعرف جيدا ياصلاح حالة فتحى المادية.. وكم كبدته نسرين العام الماضى من مصروفات خصوصا أنه حريص دائما على أن

يجعلها فى القمة وسط زميلاتها.. هذا إلى جانب مصاريف إيهاب فى الكلية..

ورد الزوج:

- أنا لا مانع عندى.. ولكن أرجو أن تستطيعى إقناع سامح بالسفر معنا.. وسأكلمه أنا أيضا حتى يوافق..

وانتظرت الأم ابنها حتي عاد من عمله.. وقالت له:

- سامح.. لدي فكرة ظريفة... أرجو أن توافق عليها .

ويرد سامح:

- ضروري ياماما.. وهل تظنين أنني أرفض لك طلبا ؟

- سنسافر أنا ووالدك ورانيا غدا إلي المنصورة لزيارة خالك فتحي .. ونريدك معنا.. وأنا أري أنها فرصة كي تزور خالك في منزله .

وبسرعة فهم سامح ما تقصده والدته... وفهم أيضا الغرض من هذه الزيارة المفاجئة مع اقتراب العام الدراسي الجديد .. فقال لها:

- آسف يامامي.. لن أستطيع السفر معكم.. وأنت تعرفين جيداً أنني مشغول هذه الأيام بسبب الاستعداد للسفر .

- لكن يا سامح سوف نسافر في الصباح الباكر .

ونعود في مساء نفس اليوم.. كما أن غدا الجمعة.. وهو يوم أجازة عندك..

- اعذريني يامامي.. لن أستطيع مرافقتكم في هذه الرحلة... وأرجو أن تبلغي اعتذاري وسلامي لأنكل فتحي وتانت ميرفت... وسأزوره إن شاء الله في فرصة أخري.

وهنا غضبت الأم غضبا شديدا.. وقالت له بحدة وهي منفعلة:

- ألا يكفيك ياسامح ما بدر منك تجاه نسرين.. ألا يكفيك معاملتك لها طوال وجودها عندنا.. رغم تحذيري لك.. ولفت نظرك أكثر من مرة أن نسرين هذه ابنة خالك.. ألا يكفيك أنك كنت تتعامل معها علي أنها إنسانة ليست من مستواك... وقد نبهتك لكل ذلك لكنك لم تأبه بكلامي ولم تعره أي التفات... ورغم ذلك لم أفكر في يوم من الأيام أن أغضبك أو أجرح شعورك... وكانت

النتيجة أنك تعاليت علي شقيقي وعلى ابنته.. ألا يكفيك كل ذلك؟

وتواصل الأم عتابها لابنها بلهجة شديدة وهي في غاية الانفعال :

- لقد صبرت عليك كثيرا... إنني لا ألومك الآن بل يجب أن ألوم نفسي.. لقد دللتك كثيرا.. ويجب أن أتحمل نتيجة ما فعلت..

وتركت الأم ابنها وهي في قمة غضبها وانفعالها وخرجت وهي تصفق الباب من خلفها بعنف .كانت وجهة نظر سامح.. أن سفره معهم إلي المنصورة خصوصا أنه لم يتعود السفر إلي هناك يعتبر اعترافا منه بخطئه.. فهو مازال مصرا أمامهم علي أنه لم يحاول إيذاء نسرين أو الاعتداء عليها كما تقول نسرين..

فلماذا إذن يذهب معهم لمحاولة إقناعها بالعودة والإقامة معهم ؟

فليذهبوا هم ويحاولوا إقناعها ومصالحتها.. إنني ليس لي دخل بهذا الموضوع... إنني سأسافر إلي سويسرا وأترك لهم المنزل ومن فيه... سوف أترك لهم كل شيء..

ورغم ذلك.. فبعد أن تركته والدته غاضبة وصفقت الباب من خلفها... شعر سامح بأنه أغضبها غضبا شديدا..وأنها لم تغضب منه قبل ذلك بمثل ما هي غاضبة منه الآن... أثر ذلك في نفسه كثيرا.. فجلس شاردا يفكر بعمق ومازالت كلمات والدته التي عنفته بها ترن بقوة في أذنه.. وتهزه بعنف.

ولأول مرة يشعر سامح بصلة القرابة التي تربطه بنسرين.. يحس بأنها فعلا ابنة خاله ولا يجب أن يتعالي عليها بهذه الطريقة.. أو يعاملها بمثل ما عاملها به من قبل وكأنه يكتشف هذه الحقيقة لأول مرة.. يكتشف صلة الدم التي بينه وبينها..يكتشف هذه الحقيقة التي غابت عنه سنوات طويلة .. وكانت كلمات والدته له وصفق الباب بمثابة «النوشادر » الذي أفاقه بعد إغماءة طويلة ليعي هذه الحقيقة جيدا..

إن واجبه نحو خاله يحتم عليه السفر إلي المنصورة خصوصا بعد أن أهانه في شخص ابنته عندما حاول الاعتداء عليها دون أن يعمل له أي حساب.. أو يكون لصلة القرابة عنده أي وزن..

وفجأة قرر الذهاب معهم إلي المنصورة.. إرضاء لخاله ووالدته التي يحبها كثيرا..

وفرحت الأم كثيرا بقرار سامح ..و قالت له وهي تقبله:

- هذا عشمي فيك ياسامح..

***

وفي المنصورة كانت المفاجأة الكبري ...

سعد فتحي جدا بعائلة شقيقته... لم يصدق نفسه فقد كانت أجمل مفاجأة.. خصوصا أن عائلة فتحي لم تتعود زيارة سامح ولا حتي رانيا لهم ... أما نسرين.. فقد هالها أن تجد سامح في زيارتهم.. لم تصدق نفسها.. بل كانت دهشتها عميقة لهذا التنازل من جانب ابن عمتها المتعالي..

ورغم ذلك... فقد رحبت به.. نسيت ما بدر منه.. لم ترد أن تعامله بما عاملها به.. فهي ترفض منه هذه التصرفات .. فكيف تسلك مسلكه ؟ كما أنه الآن في منزلهم.. ولابد أن تحسن معاملته.. وترحب به... ربما تستطيع أن تكسر حدة الجفاء الذي بينهما.. وربما تكون هذه الزيارة نقطة تحول في علاقتهما ببعضهما واحترام كل منهما للآخر خصوصا أن سامح سوف يسافر إلي جنيف...

.قالت له نسرين متسائلة وهي ترحب به:

- أهلا سامح.. أظنك لم تزر المنصورة منذ أن كنت طفلا صغيرا ؟

ويرد سامح وهو مازال متحفظا بعض الشيء:

- فعلا.. هذا صحيح..

- أما زلت تعي أي شيء من معالمها ؟

- قليلا جدا.. فكل شيء عنها مرسوم في ذهني وكأنه خيال... ولكني استعدت بعضا مما رأيته اليوم وتذكرته جيدا...

- ومتي ستسافر إلي جنيف ؟

- في خلال ثلاثة شهور تقريبا.. إن شاء الله.

- أرجو لك التوفيق..

- شكرا لك.

ويتعجب سامح من معاملة نسرين له فهي تقابله وتتحدث معه وكأن شيئا لم يحدث بينهما.. وجد أن تصرفاته معها التي طالما ضايقتها وشكت منها كثيرا.. لم يكن لها أي أثر في نفسها.. أو

هكذا بدت أمامه الآن.. رغم ما يعلمه من تعصبها ضده وحقدها الشديد عليه من جراء معاملته المهينة لها ومحاولته الاعتداء عليها.

علي أي حال ساعد سفر سامح وتصرف نسرين تجاهه علي إزاحة كثير من الجمود الموجود بينهما.. مما جعل سامح يشعر بشيء من الارتياح.. وبدأ يتعامل معها ومع أسرة خاله بطريقة تكاد تكون طبيعية محت آثار ماحدث..

***

أما إيهاب فقد سعد جدا برانيا.. واصطحبها معه في جولة بالمدينة كي تشاهد معه معالم المنصورة والتي من أهمها دار ابن لقمان وكورنيش النيل..

وانتهزت ألفت هانم هذه الفرصة.. خصوصا بعد أن لاحظت ما طرأ علي نسرين من تغييرات وحسن معاملتها لسامح.. إلي جانب الجو السعيد الذي عسكته هذه الزيارة علي الجميع ، فتحدثت مع نسرين أمام والدها بخصوص عودتها والإقامة معهم في منزلها .

حاولت نسرين أن ترفض في بادئ الأمر... ولكن والدها اعترض علي رفض ابنته وأقنعها بالعودة إلي عمتها قائلا لها:

- الآن يانسرين لن يكون لك أية حجة أو سبب تتعللين به... إن وجود سامح اليوم بيننا يعتبر اعتذارا عما بدر منه... خصوصا أنه لم يتعود زيارتنا من قبل ..كما أنه سوف يسافر ولن يطول وجوده معكم بالقاهرة كثيرا .

ثم يستطرد الوالد في حديثه.. محاولا إقناع ابنته قائلا:

- بصراحة يانسرين يابنتي.. أنا لن أكون مطمئنا عليك وعلي راحتك إلا في منزل عمتك.. وأرجو أن تنزعي من ذهنك الأفكار التي تسيطر عليك. .. وأن تفكري بترو في هذا الموضوع .وتصمت نسرين برهة.. وعلامات التردد والحذر بادية علي وجهها.. ثم تقول:

- خلاص يابابا.. مادمت حضرتك تري ذلك فأنا لن أرفض لك طلبا.. سأعود ثانية مع تانت .

وتشعر ألفت بالسعادة تغمرها... فتندفع نحو نسرين لتقبلها... ثم تخرج إلي زوجها وسامح وتخبرهما بأن نسرين قد وافقت بالفعل علي أن تعود لتقيم معهم في منزلهم بالقاهرة..

فيعلق صلاح بك قائلا وهو يبتسم:

- لا شك أن نسرين فتاة عاقلة.. وهي تعلم جيدا أن هذا شيء طبيعي.. وأن مكانها الحقيقي في القاهرة هو منزل عمتها..

أما سامح فقد ابتسم ابتسامة محدودة وهو يقول مجاملا:

- إن وجودك مع رانيا مهم جدا يانسرين... خصوصا أنني سأسافر.. وستكون وحيدة بالمنزل .وترد نسرين:

- متشكرة جدا ياسامح لشعوركم هذا نحوى .

***

كان لهذه الزيارة أثر كبير في تهدئه النفوس والعمل علي نسيان ما حدث .. وأيضا سفر سامح ونقله إلي الخارج شجع الوالد علي الضغط علي ابنته .

وفي المساء.. وبعد أن حققت الزيارة الغرض منها... غادرت أسرة صلاح (بك) المنصورة في طريقها الي القاهرة..

***

عندما تقرر سفر سامح إلي ... يسرا وبدأ سامح يستعد لسفره دون أن يتقدم لريهام.. أصيبت ريهام بضيق شديد.. أرسلت له صديقتها ناريمان وهي قريبة الصلة بسامح عن طريق النادي كي تفاتحه بحب ريهام له.. ولماذا لم يتقدم لها ويتزوجها قبل سفره .. خصوصا وأنها ابنة خالته.. قال لها سامح إن ريهام إنسانة جميلة.. وأى شخص يتمني الزواج منها .. ولكني أعتبرها شقيقة لي مثل رانيا بالضبط.. ومشاعري نحوها مشاعر أخوية محضة.

عندما أبلغت ناريمان ريهام بما قاله سامح... صدمت ريهام بهذا الرد ولم تجد أمامها سوي محيي سائق التاكسي الذي يقوم بتوصيلها إلي الكلية كي يسري عنها... طلبت منه أن يأخذها في نزهة أو الجلوس في أي مكان لأن مزاجها ونفسيتها تعبانة وفي حاجة إلي أي شيء يرفه عنها... ربما تستطيع أن تنسى صدمتها... ووجدها محيي فرصة ذهبية كي يقترب منها أكثر... وشعر محيي بأنها تعاني من أزمة نفسية طاحنة.. وأن أزمتها عاطفية وأن من تحبه لا يبادلها الحب... وبقدر ضيق وتعاسة ريهام.. بقدر سعادة محيي، لقد رأي أن الجو قد خلا له.. أو هكذا اعتقد... وتكرر لقاؤهما وجلوسهما معا في أماكن متعددة وهي تشتكي له من معنوياتها المنخفضة ونفسيتها التعبانة دون أن تفصح له عن سبب ذلك.. ولكنه بفراسته كان متفهما لما تعانيه ... وأخذ يبذل قصارى جهده للترفيه عنها ويحكي لها بعض النوادر التي تصادفه من زبائنه ركاب التاكسي خصوصا وأن محيي خفيف الظل ولديه القدرة علي أن يضع الأمور في قالب فكاهي ويفلسف الأمور طبقا للحالة التي أمامه .. كما أنه إنسان عطوف يعرف كيف يحنو علي من يحب ويقربه من قلبه..

لذلك فقد وجدها محيي فرصته.. وأعاد عرضه على ريهام للزواج منها.. ولكنها أيضا رفضت .. وهددت بقطع علاقتها به إذا لم يكف في التفكير بهذا الأسلوب... وإذا تعدت نظرته لها حاجز الصداقة بينهما

إلا أنه وبصبره المعهود.. وخوفا من أن يفقدها إلي الأبد.. قال لها:

- اسف يا آنسة ريهام.. كما تشائين ولن أكرر طلبي هذا منك

أبدا بعد الآن.. وأرجو أن تنسي كل كلمة قلتها لك في هذا الشأن.

قالت له:

- يامحيي أرجو أن تفهمني أنا أعتبرك مجرد أخ أو صديق مقرب لي ... ألجأ إليه في وقت المحن وأشكو له همومي عندما أحتاج لمن أشكو له.. وإذا كان هذا الوضع لا يعجبك.. أو إذا كنت قد ضقت بي فأنا مستعدة أن أنقطع عنك فورا ..

هلع محيي خوفا من أن تنفذ تهديدها وتنقطع عنه.

بادرها قائلا:

- ابدا.. أبدا ياريهام.. أنا سعيد بذلك.. سعيد بأخوتك ويكفيني أنك دائما تلجئين لي في الوقت الذي تضيق بك الدنيا فيه.. وأرجو أن تظل علاقتنا كما هي.

- هذا يتوقف عليك أنت.

- لن أضايقك بعد اليوم.. ولن أكرر عليك طلبي هذا مادام يسبب لك الضيق.

لقد كانت ريهام دائما علي أمل.. أمل أن يعود سامح يوما ويتزوجها.. لم تيأس أبدا.

***

في نفس العام تخرجت علياء ابنة عمه نسرين من الجامعة الأمريكية.. وكذلك زميلها كريم الذي يبادلها الحب منذ السنة الأولي لالتحاقهم بالجامعة الأمريكية.. وقد تواعدا علي الزواج عقب تخرجهم مباشرة ..

وكريم رغم حبه الجارف لعلياء كان يتعرض لضغوط والده كي يزوجه من ابنة شريكه في المصنع.. أي زواج مصلحة.. ورغم أن كريم صارح والده بحبه لزميلته علياء وأنه لا يمكن أن يتزوج إنسانة غيرها.. وأنه لا يتصور حياته بدونها .. وطلب من والده إعلان خطبته لعلياء.. ولكن والده رفض رفضا باتا.. رغم أن كريم عدد له مميزات ومآثر علياء وأنها من أسرة محترمة.. إلا أن كل ذلك لم يقنع الوالد.. وظل مصمما علي أن يزوجه من ابنة شريكه في المصنع.

وكانت علياء كما سبق أن قلت ..دائما تشكو لنسرين هذا الموقف من جانب والد كريم.. ولا تخفي عليها تخوفها من إذعان كريم

لوالده.. واضطراره الزواج من ابنة شريك والده... وكانت نسرين دائما تشد من عزمها وتطمئنها بأنه مادام يحبها ويبادلها نفس الشعور والحب الجارف القوي ..فلا يمكن ولن يستطيع أحد أن يفرق بينهما مهما كان..

ولكن علياء دائما تري عكس ذلك.. خصوصا بعد تخرجهما وقد اتجه كل منهما إلي طريق مختلف عن الآخر.. فقد التحقت علياء بالعمل في شركة (الآثار المصرية للسياحة) كمرشدة سياحية... تصطحب الأفواج السياحية الأجنبية التي تستضيفها الشركة في الجولات السياحية.

أما كريم فقد عمل مديرا للعلاقات العامة بمصنع والده وهو مصنع البلاستيك والأدوات المنزلية.

وبعد أن كانت علياء وكريم معا بالجامعة يوميا أصبحا يلتقيان علي فترات متباعدة بسبب انشغال كل منهما بعمله .. خصوصا ظروف علياء التي كثيرا ما كانت تصطحب أفواجا سياحية (خارج القاهرة) الي الأقصر وأسوان أو الاسكندرية.. أو سيناء.. أو البحر الأحمر.. وغيرها... الأمر الذي كان يقلق علياء ويزيد من تخوفها علي كريم من كثرة ضغوط والده عليه.. وخوفها من تحوله عنها عملا بالمثل القائل (البعيد عن العين.. بعيد عن القلب).

ومازاد من آلام علياء وحزنها.. أنه في نفس الصيف التي تخرجت فيه ، أى بعد تخرجها بفترة قليلة توفي والدها... فاجأته نوبة قلبية أثناء مروره علي بعض المشاريع الإنشائية التي تتولاها شركته فسقط مغشيا عليه.. ونقل علي الفور إلي المستشفي ولكنه بمجرد وصوله إليها فارق الحياة.

أثقلت الهموم قلب علياء خصوصا وأنها كانت تلاحظ عند مقابلاتها لكريم أن مشاعره من ناحيتها تخبو شيئا فشيئا.. ولم تعد بنفس القوة واللهفة التي كانت عليها من قبل أثناء وجودهما معا بالجامعة.

وطبيعة عمل كريم بمصنع والده تستلزم مصاحبه الأجانب الذين يزورون المصنع من آن لآخر لشراء بعض منتجاته ومشاهدة عمليات الإنتاج وتطويرها.. ومصاحبتهم في كل تحركاتهم.. هذا إلي جانب عمل الدعاية الكافية للمصنع ومنتجاته وغيرها من أعمال العلاقات العامة.

ومنذ أن تسلم كريم عمله بالمصنع ووالده لا يمل ولا يكل من تكرار عرضه علي كريم بزواجه من رباب ابنة شريكه في المصنع ... وكان كثيرا ما يوجه الدعوة لشريكه وعائلته لتناول العشاء عندهم بالمنزل وطبعا معهم رباب والمرشحة للزواج من كريم.. كما كان شريكه يفعل نفس الشيء.. أو ذهاب العائلتين معا للغداء بالنادي أو في نزهة خلوية في شاليه يمتلكونه بالقناطر الخيرية.. وغير ذلك من الأساليب.. في محاولة من العائلتين للتقريب بين الابن (كريم) والابنة (رباب).

وكان والد كريم يقول له:

– ياكريم ثق يابني أنني حريص علي مصلحتك ومستقبلك.. لانني لن أعيش لك طوال العمر يابني.. هذا المصنع أقمناه أنا وعمك الحاج فؤاد طوبة طوبة بجهدنا وعرقنا.. وكان كل منا مخلصا للآخر.. حتي بني علي الحب والخير... مما كان له أكبر الأثر في نجاحنا ووصول المصنع إلي ماهو عليه الآن صرحاً صناعياً لا يستهان به... كما أنك تعلم يا ابني أن عمك الحاج فؤاد ليس له أولاد إلا رباب... يعني يابني المصلحة سوف تكون مشتركة وتقتضي زواجك من رباب حتي نضمن مستقبل هذا المصنع.. وأن أبناءنا سوف يكونون امتدادا لنا.

ثم يستطرد والد كريم (أحمد سلطان):

– رباب ياكريم إنسانة ممتازة وجديرة بك... وإذا كانت لا تصلح لك أو مستواها أقل من مستواك... أو يشوبها أي عيب.. ما كنت صممت علي زواجك منها.. لكنها جميلة.. مثقفة ودراستها عالية ، فهي في السنة النهائية بكلية الآداب قسم فرنساوي وتربيتها لا تقل في مستواها عن تربيتك.. كما أن أخلاقها أنت تعرفها جيدا.. ممتازة كما تعلم.

أجاب كريم:

– ولكن أنت تعلم يابابا أنني أحب علياء ولا أستطيع أن أعيش بدونها.. وأنني أحبها منذ سنوات مضت.. وليس من السهل أن أنتزع حبها من قلبي بهذه البساطة.. وأنا أيضا أعرف أخلاقها جيدا.. وهي أيضا من أسرة عريقة ومحافظة.

– يابني هذا الزمن.. زمن المصالح.. ولم تعد للعواطف مكان فيه.

– مستحيل.. مستحيل يابابا... أنا لا أتصور حياتي أبدا مع أحد

غير علياء.. ولا يمكن أن أتعامل مع قلبي بهذه المبادئ الصماء التي تقدم المصلحة علي العاطفة.

- يابنى فكر.. فكر علي مهلك.. أنا لا أتعجل قرارك... فكر في مستقبلك.. وفي كل كلمة قلتها لك.

ويترك الوالد ابنه كريم يضرب أخماساً في أسداس.. يتركه في حيرة لا يدري من أمره شيئا..

قام كريم بسرعة وطلب علياء في التليفون كي يتحدث معها حتي تنقذه من سيطرة والده ونفوذه عليه.. وحتي لا يضعف أمام كثرة إلحاحه.. وكي يحدد معها موعدا للقاء.. ولكنه لم يجدها.. أخبرته والدتها بأنه جاء لها سفرية مفاجئة مع وفد سياحي في موعد تواجده بالمنزل.. وقالت له سامية والدة علياء:

- آسفة جدا ياكريم لعدم وجود علياء.. وبمجرد رجوعها سوف أخبرها باتصالك وأجعلها تتصل بك.

- ولماذا لم تخبرني قبل سفرها بأنها سوف تسافر ياتانت ؟

- كانت المهمة مفاجئة لها وكنت أنت بالمنزل ولم تكن في مكتبك بالمصنع... وأنت تعلم أنها لا تستطيع أن تطلبك في منزلك حتي لا تضايق والدك أو والدتك... وأنت أيضا تعرف الضيق الذي يعتريهم إذا طلبتك.. وكيف يعاملونها .. وربما أغلقوا السماعة في وجهها.

- أعرف ياتانت..

كل هذه الظروف كانت تباعد بين كريم وعلياء شيئا فشيئا.. وكان كريم كثيرا لا يجد علياء عندما يحتاجها كي تقف بجانبه وتشد من أزره ضد ضغط والده وإلحاحه لزواجه من ابنة شريكه.

وبعد وفاة والد علياء المهندس سعد بركات. تغيرت الأوضاع في منزل علياء.. فقد كان علي شقيقها فخر المحامي أن يراعي أمور شركة والده .. شركة (بركات للمقاولات).

ترك عمله في المحاماة وتفرغ للشركة.

وكان فخر متزوجا من فتاة مستواها الاجتماعي منخفض جدا.. أقل بكثير من مستوي عائلته.. وكان والده رحمه الله.. وكذلك والدته سامية غير راضيين عن هذا الزواج.. ولكنهما اضطرا للموافقة أمام تصميم ابنهما .

وزوجة فخر تدعي رسمية لم تكمل تعليمها.. وهي راسبة في الثانوية العامة... ولم تستطع الحصول عليها.. ولكنها استطاعت أن تلقي بشباكها حول فخر وساعدها في ذلك والدها ووالدتها إلي أن وقع في هواها وتزوجها.. فقد كانت تقطن في نفس العمارة التي يوجد بها مكتب المحاماة الخاص بفخر ويقع في حي السيدة زينب.

***

بدأت السنة الدراسية.. وصحب الأستاذ فتحي ابنته إلي القاهرة كي يطمئن عليها بنفسه.

في هذه المرة دخلت نسرين منزل عمتها بعقلية جديدة وفكر جديد.. وبشخصية تختلف تماما عن شخصيتها السابقة.. ومظهر يختلف تماما عن مظهرها المألوف.

لقد تغيرت تماما.. اكتسبت خبرة في أشياء كثيرة نتيجة وجودها في بيت الطالبات.. وتعلمت أشياء ما كانت لتتعلمها في أي مكان آخر غير بيت الطالبات.. بحكم اختلاطها ومعايشتها لهذا العدد الكبير من بنات جنسها.. هذا إلي جانب ما اكتسبته من قبل بحكم وجودها في منزل عمتها..

تعلمت الكثير فى أسلوب حياتها اليومية.. في طريقة مشيتها وملابسها.. في طريقة تصفيف شعرها.. في طريقة تناولها للطعام.. في أسلوب معاملتها للناس.. حتي صوتها ولكنتها في الحديث.. أصبح لها صوت موسيقي رائع.. بعد أن كان لها لكنة ريفية مميزة يصعب تغييرها.

أصبحت تقرأ آخر أخبار الموضة وتحرص علي مشاهدة عروض الأزياء بالتليفزيون .. أدركت أن قميص النوم لحجرة النوم فقط.. وتغلبت علي مشكلة إمكانات والدها المادية المحدودة باختيارها الملابس البسيطة التي تمتاز بالذوق الرفيع والألوان الجميلة.. وفي نفس الوقت تتمشي مع آخر خطوط الموضة..

هذه هي الصورة الجديدة لنسرين.. الصورة التي أصبحت تبدو عليها بعد عودتها لمنزل عمتها.. فقد ظل كل شيء ينمو فيها سنة بعد أخري.. عقليتها.. ثقافتها... ذوقها.. وكل سنة تمر عليها تزداد هذه الصفات تألقا عن ذي قبل. إنها الآن علي أبواب السنة الرابعة والأخيرة في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية وفى الوقت نفسه وصلت الي قمة التألق لدرجة تشد اليها أنظار كل من حولها...

عادت إلي منزل عمتها ولكن بشروط.. شروط غير معلنة وضعتها نصب عينيها..

صممت أن تسير بنفس الخطة التي وضعتها لنفسها من قبل في مواجهة ابن عمتها.. وهي لابد أن تلقنه درسا يعيه جيدا إذا تمادى

في الإساءة إليها.. والاستمرار في نفس معاملته السابقة لها... أن تصفعه صفعة يفيق علي أثرها... ليعرف من هي وكيف يعاملها ويتعامل معها.. صممت أن تتعالي هي عليه قبل أن يتعالي هو عليها كعادته..

هذه الصورة الجديدة التي بدت عليها نسرين.. جعلت سامح مشدودا إليها أكثر من أى وقت مضي.. وجد نفسه يراقبها من بعيد.. يختلس النظرات إليها.. يلاحظ تصرفاتها والتغيير الملحوظ الذي طرأ عليها.. وقد بدأ إعجابه بها يتسرب إلي نفسه وإلي قلبه علي الرغم منه..

أخذ هذا الإعجاب ينمو مع الأيام.. وهو يحاول أن يخفيه حتي لا تشعر هي به.. أو يلاحظه أحد بالمنزل..

بدأ أيضا يغير من معاملته لها مدفوعا بالإحساس الجديد الذي طرأ عليه.. محاولا من جانبه أيضا إرضاء والدته.. وإصلاح ما أفسده من قبل... وقد تعمق لديه شعوره بدرجة قرابته منها...

أصبح كثيرا ما يتبادل معها الحديث علي غير عادته..

وكثيرا ما كان يدخل معها في مناقشات سياسية حول الأحداث العالمية والداخلية..

***

جاء موعد عيد ميلاد سامح واحتفلت الأسرة به... أقامت حفلا بالمنزل بهذه المناسبة.. دعا إليه سامح مجموعة كبيرة من صديقاته وأصدقائه.. إلي جانب أقارب الأسرة.. وتصادف وجود إيهاب شقيق نسرين عندهم..

وبدأ الحفل بمرح وصخب.. وموسيقي راقصة عكست بهجة الليلة في جميع أرجاء المنزل.

ورقص إيهاب مع رانيا.. كان حب كل منهما للآخر يشع سعادة في العيون لدرجة أن العائلة بأكملها أصبحت تؤكد أن رانيا للدكتور إيهاب.. وكانت نسرين ترقبهما معا وهي في غاية السعادة...

وظلت نسرين جالسة وحدها.. بعيدة عن الرقص ومن يرقصون.. ولاحظ إيهاب أن شقيقته تجلس بمفردها ولا تشاركهم بهجة الحفل..

استأذن إيهاب من رانيا ليصطحب شقيقته في الرقص..

تقدم إيهاب من شقيقته وطلب منها أن ترقص معه.. ولم تمانع..

ورقصت نسرين أحسن من أي وقت رقصت فيه.. بل وتفوقت علي الحاضرات جميعا.. بهرت الجميع بخفتها ورشاقتها وسرعة حركتها.. هذا إلي جانب جمالها وجاذبية ثياب السهرة التى كانت ترتديها ..

كان أول من بهر بها سامح نفسه.. ظل يلاحظها ويلاحقها بنظراته.. يراقبها وهي ترقص كالفراشة وتنتقل أثناء رقصها هنا وهناك..

أخذ يراقبها بنصف عين.. ويتظاهر أنه لا يهتم بها..

ولأول مرة يشعر سامح بالغيرة تفتك به... شعر بقلبه يخفق بشدة.. عندما وجد رانيا شقيقته تتبادل الرقص لترقص هي مع إيهاب.. ويترك إيهاب نسرين ليلتقطها من كان يرقص مع رانيا إذ إن رانيا لم تتحمل الرقص طويلا مع أحد غير إيهاب.. كما كان من يرقص مع رانيا متشوقا للرقص مع نسرين..

في هذه اللحظة أخذ سامح يرقص بعصبية.. وكأن شيئا ما هبط عليه فجأة جعله حاد المزاج.. لم يحتمل أن يري نسرين تراقص أحدا من أصدقائه..

ورغم ذلك.. أبت عليه نفسه وغروره أن يرقص معها.. وأكتفي بمراقبتها.. وهو في قمة غيظه ..لقد رأى فيها موهبة جديدة لم يكن يعرفها أو يتوقعها.. أنها ترقص أجمل الموجودات.

- يالها من شيطانة.. كل ذلك تخفيه عنا يانسرين ؟ انك لرائعة حقا.. وبحركة عصبية لا إرادية.. ترك سامح من يرقص معها دون استئذان.. وعلي غير وعي منه... ترك الرقص ومن يرقصون وانعزل بعيدا وحيدا.. يدخن سيجارة وينفث الدخان في الهواء بعصبية ويراقبها عن بعد.. ويري معظم الحاضرين وهم يسعون إليها ليتبادلوا الرقص معها مبهورين بجمالها ورشاقتها.. وكلما طلبها أحد للرقص ازداد غيظا وتطاير الشرر من عينيه..

وفجأة وبحركة لا إرادية.. وجد نفسه مندفعا إليها.. طلب منها أن ترقص معه.. طلبها بغرور وكبرياء.. وكأن أحد اللوردات أو أصحاب السمو قد تواضع وطلب منها أن تراقصه..

لاحظت نسرين الطريقة التي طلبها بها.. وانه مازال غير مستعد للنزول عن عجرفته وكبريائه.. فكظمت غيظها.. ورغم ذلك

وافقت علي الرقص معه.

في بادئ الأمر ظل كل منهما صامتا.. وأخذا يرقصان معا دون أن يتبادلا كلمة واحدة..

أرادت هي أن تكسر هذا الصمت.. حتي لا تعطي فرصة لإثارة المشاعر المكبوتة داخل كل منهما تجاه الآخر.. ويبدو أن سامح كان يدور بخلده نفس التفكير في نفس اللحظة.. فهو لا يريد أن تفضحه مشاعره التي تتساقط من خلال هذا الصمت.. وهو حريص كل الحرص علي أن يخفي عنها هذا الصراع الدائر بداخله بسببها.. فبادرها بالحديث قائلا:

- أين تعلمت الرقص؟

- في بيت الطالبات..

- وهل كان يحضر طلبة إلي بيت الطالبات ليرقصوا معكن؟

- لا.. كنا نرقص معا.. الطالبات فقط.. علي نغمات الكاسيت والتسجيلات التي كانت لدي بعض الطالبات..

ورقص سامح معها كما لم يرقص من قبل.. ورقصت هي أيضا معه.. وكأنها لم ترقص من قبل...

كانت تشعر وهي ترقص معه أنها طائرة لا تقف علي الأرض..

إن الأرض في نظرها لا تقوي علي أن تحملهما معا وهما يرقصان..

وكانت نسرين تنظر إليه نظرات كلها حقد وضيق..

حقد لأنها كانت تلمس الحب في قلبه.. وهو لا يريد أن يعترف ! .. وضيق لأنها تراه وهو يحاول جاهدا أن يقاوم هذا الحب دون سبب تراه.

لذلك كانت نسرين تقول لنفسها:

- نعم.. سوف أتركه يحترق.. سوف أتركه إلي أن يأتي بنفسه راكعا يعترف لي بحبه..

سيأتي هذا اليوم حتما..

ويستطرد سامح في الحديث معها أثناء الرقص قائلا:

- إنك بالفعل تجيدين الرقص إجادة تامة ..

- أي انسان عنده مشاعر وأحاسيس.. ويهوى سماع الموسيقي ويتذوقها ، من السهل أن يجيد الرقص.. لا يوجد أجمل ولا أقوي

من الموسيقي لتحريك المشاعر.. الموسيقي غذاء الروح والوجدان..

- واضح أنك تحبين الموسيقي.. أي نوع من الموسيقي تحبين؟

- أني أحب الجميل منها... سواء كان كلاسيك أو خفيفا (ليت ميوزيك) أو مرحا صاخبا...

ثم تستطرد نسرين في حديثها عن الموسيقي قائلة:

- الموسيقي ياسامح تسمو بالروح وتهذب النفس.. إن لها تأثيرا ساحرا علي نفسي.. إنها دائما تؤكد الجو العام الذي أعيشه..وتهيئ لي الجو المناسب الذي يتفق مع مشاعري.. إذا كنت سعيدة فهي تعيش معي هذه اللحظات وتهيئ لي جوا شاعريا يزيد من سعادتي وسروري.. و إذا كنت أشعر بضيق.. أو حادة المزاج.. أو أشعر بحزن لأي سبب من الأسباب.. فهي تعمق في نفسي هذا الحزن .. وأميل إلي الانطواء.. ولا أجد أنيسا لي إلا الموسيقي...

وهنا يسألها سامح:

- وهل تشعرين كثيرا بالحزن ؟

- أيامي كلها خليط.. مزيج من السعادة والحزن .. مثلي.. مثل أي انسان في هذه الدنيا..

- إنك لفيلسوفة.. !

- هذه حقيقة..

ثم يسألها سامح:

- والآن.. ياتري ما هي مشاعرك.. سعيدة؟

- لست أدري.. لا أستطيع أن أحدد بالضبط.. ربما أشعر بنوع من السعادة لم أتذوقه من قبل.. سعادة ممزوجة بالحيرة والقلق...!!

وتنتهي الموسيقي قبل أن يكملا هذا الحديث الممتع..

وبسرعة يجد سامح نفسه يستأذنها.. ويذهب وسط أصدقائه وصديقاته.. وكأنه يهرب منها.. بل يهرب من نفسه..

لقد شعر بنفسه طوال رقصه معها أنه مشدود إليها.. مفتون بها.. ولكنه كان يقاوم.. مما جعله يهرب إلي أصدقائه بسرعة حتي لا يقع في هذا الذي حذر نفسه منه منذ سنوات مضت..

أما هي.. نسرين... فكانت تشعر طوال رقصها معه أنها تحلم.. أنها لا ترقص.. بل تطير كالفراشة في سماء أحلامها الوردية...

ذهبت إلي شقيقها وهو جالس وبصحبته رانيا لتشاركهما سعادتهما .. لقد شعرت نسرين بدورها بنوع من الارتياح والسعادة.. لقد أجبرته علي أن يرقص معها رغم أنفه... لقد جذبته إليها علي غير موعد... وبادرت رانيا باستقبال نسرين مهللة:

- لقد كنت رائعة يانسرين وأنت ترقصين مع (أبيه) سامح:

- متشكرة يارانيا.. أنت الأروع..

وجلس سامح مع صديق له.. قال له صديقه:

- من هذه التي رقصت معها مؤخرا ياسامح.. إنها لرائعة.. لقد خطفتها مني وأنا أرقص معها بدون استئذان.. ورقصت معها بروعة لم ترقص بها مع أحد من قبل، إنها كادت أن تعلمك الرقص.. برشاقتها وأسلوبها الجميل..

- إنها نسرين ابنة خالي..

- وهل لك ابنة خال بهذا الجمال وهذه الرشاقة ونحن لا نعلم؟

ويرد سامح:

- إنك تبالغ..

- أنا لا أبالغ.. هذه حقيقة.. وهل تجد بين الحاضرات من هي بمثل جمالها.. لماذا لم تتزوجها وأنت تبحث عن بنت الحلال؟

ويجيب سامح:

- إنها جميلة حقا.. ولكنها لا تستهويني.. لا يوجد بها شيء يجذبني إليها بالقدر الكافي..

يرد عليه صديقه:

- يالك من متغطرس أعمي..

يرد سامح وهو يهز رأسه مبتسما ساخرا من صديقه :

- متشكر..

***

وينتهي الحفل... وتمر الليلة..

وتشعر نسرين بشيء من الراحة.. بالسعادة تغمرها.. تشعر بأنها قد كسبت نقطة لصالحها في الصراع الصامت... الخفي ..الدائر بينها وبين ابن عمتها.. لقد أصبح غير قادر علي إخفاء إعجابه بها..

أما هو.. سامح.. فقد وجد نفسه في حيرة.. لقد أصبحت نسرين تسيطر علي كل تفكيره.. أصبحت انسانة مختلفة تماما عن نسرين الساذجة.. البسيطة التي قدمت إليهم من المنصورة لأول مرة منذ أكثر من ثلاث سنوات.

وبات ليلته لا يفكر في شيء إلا في نسرين وهو يحاول جاهدا أن يبتعد عن التفكير فيها.. بمثل هذا القدر من التركيز والاهتمام..

ومنذ هذه الليلة.. بدأ يغير من نظرته إليها.. أصبح يعاملها ويتعامل معها بطريقة مهذبة.. طريقة تختلف تماما عن ذي قبل .

ولأول مرة أصبح يسألها عن دراستها.. وعن أخبارها.. كلما وجد نفسه معها بالمنزل..

ولكن.. كان اهتمامه بها مصحوبا بالحرص وعدم الإفراط.. فمازال مترددا.. يمنعه كبرياؤه من الاندفاع إليها.. أو الدخول معها في قصة حب..

وكانت هي تضيف كل يوم نقطة أخري في صالحها ضده.. وتعد النقطة تلو الأخري.. وهي تقول لنفسها:

- إنني في الطريق.. سأتفوق علي نفسي.. سأكسب من نفسي الرهان.. إنني في الطريق إليه.. ولابد أن يأتي اليوم الذي يسلم فيه سلاحه..

في نفس الوقت كانت تعامله بشمم وكبرياء.. بتحفظ وعدم إفراط.. بل كانت كثيرا ما تتجاهله تماما.. أحيانا بدافع من كبريائها.. وأحيانا أخري بدافع من حقدها عليه.. وأنه لا يستأهل منها إلا هذا التجاهل.. مما كان يزيد من غيظه كثيرا.. فقد كانت تشعر دائما.. أنه مازال هناك جدار سميك من الأسمنت المسلح بينه وبينها لا تقوى علي زحزحته.. أو علي الأقل تحتاج إلي مجهود خارق لزحزحته يفوق طاقتها أو مقدرتها..

ورغم ذلك كله فقد أحست بنوع من الرضا .. إنها في الطريق إلي قلبه علي أية حال.

***

قامت علياء بزيارة نسرين في منزل خالتها...

تحدثت معها عن مشكلتها مع كريم ومخاوفها من ضياع حبها وقالت لها:

– إنني أشعر يانسرين أن مشاعر كريم تغيرت من ناحيتي.. الحب الذي كان ينمو ويكبر يوماً بعد يوم أثناء دراستنا بالجامعة أصبحت الآن أشعر به يخبو يوما عن يوم.. وهذا ماجئتك من أجله.. لقد كنت مع كريم الآن.. وبعد انتهاء مقابلتنا.. ولشدة ما أنا فيه من ضيق طلبت منه ألا يوصلني إلي المنزل وأن يوصلني إليك هنا حتي أسري عن نفسي معك... كريم يانسرين لم يعد هو كريم.. اليوم شعرت به إنساناً آخر.. مشاعره نحوي تغيرت بشكل ملحوظ جدا.. ابتسامته الحلوة التي كان يقابلني بها تجمدت علي شفتيه... البريق الذي كان يلمع بالحب من مقلتيه .. وهن وانطفأ.. كلماته العذبة التي كانت تنطق بكل مشاعر الحب ولهيبه.. تحشرجت في حلقه ولم يعد في إمكانه النطق بها.. حاولت عبثا أن أجعله ينطق ويقول لي أي شيء عما يجري بينه وبين أبويه.. ولكني فشلت.. كان رده أنه متعب.. وأن تجهمه فقط مجرد إرهاق بسبب ضغط العمل.. جلسنا معا نحن الاثنان و الصمت ثالثنا.. والسأم رابعنا.. مما جعلني أمل هذا الوضع وأشعر بالضيق والاختناق فطلبت منه أن يوصلني إليك الآن.

وما كادت علياء تنتهي من كلامها هذا لنسرين إلا وانفجرت في البكاء وهي تقول:

– الأمور تأزمت من حولي من كل ناحية يانسرين.. ولست أدري ماذا أفعل.. انني أري الدنيا تخيم بظلام كثيف ومخيف حولي من كل جانب.. وأنا أري كريم بعد كل هذا الحب الذي كان بيننا يضيع مني شيئا فشيئاً.. واليوم كان النذير الذي أوشك أن يقع.. لقد أحسست بكريم يريد أن يقول لي شيئا مخيفا ولكنه لم يستطع.. حاولت أن أفهم ما يريد أن يقوله لي وأستدرجه في الكلام.. ولكنه لم يقل شيئا.. وفضل الصمت الذي أوحي لي بالكثير أوحي لي بأن ضغوط والده قد انتصرت.. رغم أننا افترقنا دون أن يقول شيئا.. ماذا أفعل يانسرين..؟ لقد كان كريم سندا قويا لي في هذه الدنيا خصوصا بعد وفاة بابا.. كان هو

الانسان الوحيد الذي هون علينا فراقه ووفاته.. والآن أصبحت أشعر بالوحدة ووحشة قاتلة تكاد تفتك بي.

- إذا كان الأمر كذلك ياعلياء.. فأنت إنسانة ممتازة من كل ناحية.. وألف من يتمني واحدة مثلك.. وأرجو أن تتقبلي الواقع بكل مرارته.. وربما كما تقولين أن كريم بهذا اللقاء كان يريد أن يقول لك شيئا ينهي به علاقتكما... ولكنه خشي أن يصارحك به... لذلك أرجوك أن تتوقعي أي شيء منه حتي لا يكون هناك صدمة بالنسبة لك. أو تنال المفاجأة منك.

تركت علياء نسرين وعادت إلي منزلها منهكة القوي .. ساهمة واجمة.. الأمر الذي جعل والدتها تفهم أن هناك شيئا ما حدث بينها وبين كريم.. فقد كانت تعلم أنها خارجة لمقابلة كريم بعد أن تلقت مكالمه تليفونية منه لمقابلته.. فقالت لها:

- ماذا بك ياعلياء.. ما الأمر ياحبيبتي؟

- لا شيء يامامي.

- كيف وأنت بمثل هذه الحالة.. ماذا قال لك كريم؟

- لاشيء.. لم يقل أي شيء مما جعلني أفهم كل شيء.. كان صمته وتجهمه أقوي من أي كلام.. لقد كانت أنفاسه اللاهثة وتنهداته الحزينة تطرد الكلمات التي كان يريد أن يقولها لي.. ولكنها كانت تتحجر وتقف في حلقه فلا تتعدي شفتيه المغلقتين. وظل صامتا يريد أن يقول شيئا ولكنه لم يقل.. حاولت مساعدته حتي يتكلم.. دون جدوي.. الأمر الذي جعلني أطلب منه مغادرة المكان الذي كنا نجلس فيه.. وطلبت منه توصيلي إلي منزل تانت ألفت كي أروح عن نفسي هناك بعض الشيء مع نسرين.. فأوصلني إلي هناك مودعا وعلي وجهه علامات حزن وإشفاق.. وقد هربت الابتسامة الحلوة التي كانت دائما ترسم قسمات وجهه عندما كنا نلتقي.. واختفت السعادة التي كانت تنبعث من قلبه كلما اجتمعنا معا. والإشراقة الجميلة التي كانت تودعني بها عيناه عندما كنا نترك بعضنا.

وتقول علياء لوالدتها:

-إنني أشعر يامامي أن هذا اللقاء هو آخر لقاء بيني وبين كريم.. فقد كانت هذه المقابلة مأساوية بكل معاني الكلمة.. وأنا يامامي

شعوري لا يخطئ أبدا... لدرجة أنني شعرت بأنني لن أري « كريم » بعد ذلك..

- لا تقولي ذلك ياعلياء.. وهل كريم سوف يجد أحسن منك...؟ لا أظن ياعلياء أنك سوف تهوني عليه بكل هذه السهولة.

- أنا إحساسي لا يخونني أبدا يامامي.. وأنا أعرف جيدا مدي الضغوط التي يتعرض لها من والده كي يتركني ويتزوج رباب ابنة شريكه في المصنع.

ترد الأم قائلة:

- ربنا يعمل لك كل الخير يابنتي.. كا ماأريده منك أن تصلي ركعتين لله.. وتطلبي منه أن يعمل لك كل ما فيه الخير.. وأن يلهمك الصبر ويعوضك خيرا منه.. دا كل شيء بأمر الله ياعلياء.. والزواج يابنتي قسمة ونصيب.

- أنا أعرف يامامي.. ولكن بعد كل هذا الحب.. وبهذه السهولة أهون علي كريم؟

وتمضي الليلة ثقيلة رتيبة.. ولم يغمض لعلياء جفن ، الهموم تحيط بها من كل جانب ووالدتها تسري عنها قدر المستطاع..

وتتصل نسرين بها من آن لآخر للاطمئنان عليها.

أما كريم فقد ذهب إلي منزله عقب أن ترك علياء مباشرة بعد أن فشل في مصارحتها بأنه لن يتزوجها وأن والده مصمم علي أن يزوجه من رباب ابنة شريكه في المصنع وأنه سوف يعلن خطوبته عليها..

استقبله والده مهللا وهو يقول له:

- خيرا ياكريم يابني.. قلت لها ؟ خلاص تحللت من هذه العلاقة وكل ما كان يربطك بها ؟ كل شيء أصبح تمام ؟ صارحتها ؟

- صبرك عليّ يابابا... الأمر ليس سهلا بهذه الدرجة كما تعتقد .. لم أستطع أن أصارحها.. فأنا أعرف جيدا مدي الحب الذي تكنه لي علياء.. وأنا من ناحيتي أحترمها وأحترم عواطفها ومشاعرها تجاهي.. ولست أدري كيف أنهي حبا طاهرا بهذا الشكل دام سنوات في لحظة واحدة بكلمة واحدة.. لا أستطيع.. لا أستطيع يابابا.. أرجوك أعطني فرصة.

- كيف ياابني.. كيف وأنا حددت موعد خطبتك لرباب مع عمك الحاج فؤاد.

- لن أستطيع يابابا.. لن أستطيع.. كما أنني لا أنكر أنني مازلت أحبها.

- حب إيه اللي انت بتقول عليه ياابني.. الدنيا أصبحت الآن مصالح.. لم يعد للحب مكان فيها.. وأنا متأكد أنك سوف تنساها بسرعة وتحب رباب لأنها بنت ممتازة.

ويصمت الوالد برهة.. ثم يستطرد في كلامه قائلا:

- أنا سوف أقترح عليك اقتراحا .. بلاش تقول لها أو تصارحها أنت مادمت تجد صعوبة في ذلك.. أرسل لها عن طريق زميل أو صديق لكما أنتما الاثنين.. وهو يقوم بهذه المهمة.

يصمت الابن لحظة.. وبعد فترة صمت خيم علي الاثنين.. قال كريم لوالده :

- سأحاول.. أعطني فرصة.

فكر كريم مليا.. وكلام والده يتردد في مخيلته.. (إذا كنت غير قادر علي مصارحتها فأرسل لها مع صديق أو زميل لكما).

قال لنفسه : لا أريد أن أحرجها مع زميل أو زميلة وأعرضها للقيل والقال مع زملائنا في الدراسة.. إذن ما العمل؟

وفجأة تبادر إلي ذهنه.. نسرين.. ابنة خال علياء.. إنها تحبها وكانت دائما تحدثه عنها وعن مدي حبها وقابلها عدة مرات وهو علي علاقة طيبة بها.. قال لنفسه.. أذهب لها في كليتها بالجامعة وأشرح لها موقفي وأسفي الشديد لما يحدث ومدي الضغوط التي أتعرض لها من أسرتي.

في الصباح لم ينتظر كريم.. بل ذهب إلي كلية الاقتصاد والعلوم السياسية وانتظر نسرين حتي انتهت من محاضراتها.. وبمجرد أن رأته أقبلت عليه:

- أهلا ياأستاذ كريم.

- أهلا ياآنسة نسرين.

- هل تريد أي شيء من هنا من الكلية ياأستاذ كريم..؟ ربما أستطيع مساعدتك.

- لا .. أشكرك ياآنسة نسرين .. أنا أريدك أنت.

- تريدني أنا ؟!

- نعم.

ثم يقول:

- أرجو ياآنسة نسرين أن تفهمي موقفي جيدا وأن تعذريني.

وبمجرد أن قال كريم ذلك.. وعلي ضوء ما سمعته نسرين من علياء.. أيقنت نسرين المهمة المؤلمة التي جاء كريم من أجلها.. بادرت قائلة:

- وما هو موقفك هذا ياأستاذ كريم؟

- أرجو.. أن تستغلي صداقتك لعلياء.. فأنا أعرف جيدا أنها تحبك جدا.. وتقولي لها بطريقتك الخاصة أن والدي مصر علي زواجي من رباب ابنة شريكه في المصنع.. وستعلن الخطبة قريبا.. ولا أريد أن تعرف علياء ذلك من أحد غيري أو تفاجأ بهذا الموضوع.

قالت له نسرين:- بهذه السهولة ياأستاذ كريم.. هان عليك كل هذا الحب.. وكل هذه الأيام والسنين التي قضيتموها معا في أطهر وأجمل قصة حب؟!.. أنا آسفة لهذا الذي أسمعه.. ولكن اطمئن .. فأنت تعلم جيدا أن علياء كرامتها أغلي من الدنيا كلها... وهي إنسانة ممتازة ويتمناها أحسن شباب مصر... وأنها لا يمكن أن تبكي علي إنسان هانت عليه بهذه السهولة.

- أعلم ياآنسة نسرين... وأنا والله أدعو لها بالتوفيق من كل قلبي... أنا ياآنسة نسرين ظهر لي أنني لست ملك نفسي... وأن مصلحة العائلة فوق كل اعتبار... وأن والدي هو المتحكم في مشاعري... وفي مستقبلي .. وفي كل شيء...

ردت نسرين قائلة في تهكم:

- مادام الأمر كذلك.. يبقي من حسن حظ علياء أنها لن تتزوجك.. وأشكرك علي حضورك لتخبرني بذلك.

وتدير نسرين ظهرها لكريم... ثم تتركه وتمشي.

ذهبت نسرين لعمتها سامية في منزلها وقالت لها كل ما قاله كريم وما حدث بينها وبينه.

رجتها عمتها أن تنتظر علياء حتي تعود من عملها كي تخبرها بنفسها وتهون عليها أثر هذه الصدمة.. وألا تتركها في مثل هذه

الظروف.. ووافقت نسرين ، خصوصا وأنها تمر بأزمة مشابهة مع سامح..

اتصلت نسرين بعمتها ألفت في التليفون وأخبرتها بأنها سوف تتأخر وتتناول طعام الغداء عند عمتها سامية.

عند حضور علياء... أخبرتها نسرين بزيارة كريم لها بالكلية.. وبكل ما قاله لها.. ومادار بينه وبينها من حديث..

قالت لها علياء:

– مقابلتي له بالأمس يانسرين.. قالت لي كل ما تقولينه الآن.. لقد فهمت كل شيء دون أن يتكلم.. يعني كل ما تقولينه الآن ليس بجديد.. فقط أصبح بصورة رسمية..

قالت لها نسرين:

– أرجوك ياعلياء ألا تنزعجي وأنا متأكدة أنك إنسانة قوية وفوق المحن وتستطيعين أن تتخطي كل الأزمات... وأنا متأكدة أنك سوف تقابلين من هو أحسن منه بكثير.

– لا أظن ذلك يانسرين.. أنت لا تدركين ولا تفهمي معني أن تحبي شخصا وهو أيضا يحبك وبجنون ويظل هذا الحب المتبادل سنوات يسري في كيانك ويصبح هو كل حياتك ومستقبلك.. ثم فجأة وبدون مبرر معقول ينهار هذا الحب بهذه الصورة.

تقول لها نسرين:

– وهل ترين ياعلياء أن شخصا يهون عليه مثل هذا الحب الكبير الذي تتحدثين عنه.. ويعصف به لمجرد أول عاصفة تهب عليه... لمجرد ضغط الوالد الذي لا يعرف معني الحب.. هل ترين أن شخصا كهذا جدير بك ياعلياء.. أنا أري أنه إنسان غير جدير بإنسانة مخلصة وعلي خلق مثلك.. لذلك فأنا أري أنك لابد وأن تنسيه فهو لا يستأهل لحظة تفكير تختلسينها من وقتك.. اعتبريه كأن لم يكن .. وكل شيء نصيب ياعلياء.. وأنا متأكدة أنك بإذن الله سوف تجدين الإنسان الجدير بك في أقرب فرصة .

– لا أظن يانسرين.. لقد أغلق قلبي ولم يعد به مكاناً لأحد بعد اليوم.

***

بعد وفاة زوج سامية.. المهندس سعد الدين بركات .. شعرت رسمية زوجة فخر بأن زوجها سوف يصبح من الأثرياء.. وعقب استلام فخر إدارة شركة المقاولات الخاصة بوالده.. تغيرت معاملة رسمية لشقيقته علياء ووالدته سامية.. تعالت عليهما.. خصوصا وأنها شعرت بمدي حاجة حماتها وعلياء لزوجها... كانت دائما تثير غضبه عليهما.. وتحرضه علي عدم تلبية طلباتهما... وكان فخر ضعيف الشخصية ، أما زوجته هذه وحماته وحماه والد زوجته...وقد استولوا علي كل شيء من خلال ابنتهم التي كانت ترسل لهم النقود والكسوة والمأكل في نفس الوقت الذي كانت تقول له:

- تذكر يافخر أننا لدينا ثلاث أطفال في حاجة إلي تربية علي مستوي عال .. ومازال الطريق أمامهم طويلا.. أما الست علياء شقيقتك.. فقد تخرجت وتعمل بمرتب (أد كده علي قلبها ... وليست في حاجة إلي المزيد.. كذلك والدتك كفاية عليها الأموال التي تركها والدك في البيت.. أنا متأكدة من أنها (عكمة) علي قلبها وأنها استولت علي كل الأموال التي كانت موجودة بالخزنة بالمنزل... معقول والدك لم يترك فيها سوي ١٥٠٠ جنيه . ؟ (آل بطلوا ده واسمعوا ده) !.. وبعدين تقول إن أموال والدك في البنوك... وأنه ليس من عادته ترك أموال بالمنزل إلا للضرورة فقط .

كانت آذان فخر دائما مصغية لكل ما تقوله زوجته أكثر مما كانت تقوله له والدته أو شقيقته علياء.. وكانت دائما تطلب منه مئات الجنيهات بحجة شراء المجوهرات والملابس الجاهزة.. ثم ترسلها لوالدها ووالدتها... وشقيقها الذي فشل في دراسته.

لاحظت سامية وابنتها علياء.. أن سلوك رسمية زوجة ابنها قد تغير بعد أن أصبحت الشركة في يد زوجها فخر... خصوصا تعاليها عليهما... كانت علياء تشعر بالألم من تصرفات زوجة أخيها.. وكانت تقول لوالدتها:

- رسمية نسيت بسرعة ياماما أننا كنا معترضين علي زواج فخر منها.. بسبب مستواها ومستوي عائلتها الذي لا يليق بمستوي عائلتنا.. نسيت الشباك التي طرحوها حوله كي يوقعوا به ويتزوج ابنتهما التي لم تكن جديرة به علي الإطلاق... نسيت الآن أصلها.. « وفصلها » وأصبحت تتعالي علينا بعد أن رفع أخي

من مستواها هي وأهلها وجعل منها إنسانة أخري غير تلك التي رأيناها عندما دخلت منزلنا لأول مرة وصورتها المنفرة التي لا تنسي.. نسيت أن والدها لم يستطع أن يجهزها وساعدهم فخر شقيقي حتي يحفظ لهم ماء وجههم أمامنا.. نسيت كل ذلك بسرعة... وأصبحت بعد أن رفع أخي من مستواهم ابنة الحسب والنسب.. وأنها أحسن منا بقدرة قادر.. وأصبح فلان بك عم خال زوج خالتها و فلان وكيل الوزارة خال زوجة ابن عم أبوها.

قالت لها والدتها:

- يابنتي لا تعيري هذه التفاهات التفاتا.. كل هذه التصرفات.. ماهي إلا عقد النقص التي تشعر بها... والتي تحاول بها أن تخفي أصلها وفصلها.. لقد وجدت نفسها فجأة في عز ما كانت هي أو أهلها ليحلموا به بعد طول حرمان.. فماذا تنتظرين منهم ؟

ثم استطردت في ضيق شديد:

- أرجوك ياعلياء أنا تعبانة ولا أريدك أن تزيدي من همومي وحزني علي والدك.. وتقلبين عليّ كل هذه المصائب التي أصبحنا فيها.

- أمرك يامامي.. ولكني أعرف جيدا كيف أوقفها عند حدها.. وأعرفها من هي ولكن في الوقت المناسب..

وكانت سامية دائما لا تجد من ترتاح إليه وتشكو له همومها هذه إلا أختها ألفت التي كانت دائما تزورهم من وقت لآخر وتشكو لها ابنها وزوجته... كما تشكو لها من تعثر علياء في زواجها وخلافات كريم مع والده وكانت شقيقتها ألفت تسري عنها وتصبرها.

كل هذه الأحداث أصبحت تثقل كاهل علياء.. فقد وجدت نفسها فجأة عقب تخرجها محاطة بكل هذه الهموم.. وكانت لا تجد من تلجأ إليه كي تشكو له هذه الهموم... وتبث له حزنها إلا نسرين.. فكانت تشكو لها ودموعها في عينيها :

- تصوري يانسرين.. تصوري هذه المدعوة رسمية التي جعل منها أخي فخر إنسانة من العدم ورفعها من القاع الذي كانت تعيش فيه... لا تتحدث معي أو مع مامي إلا بمنتهي التعالي.. ودائما تحرض فخر ضدي وضد مامي.. وكل من حولهم يقولون لنا إنها هي التي تتولي الصرف علي والدها وعلي منزلهم الآن وشقيقها

الذي فشل في دراسته في نفس الوقت إذا طلبت مامي من فخر أي مصاريف لها أو للمنزل لا يعطيها إلا الضروريات بحجة أن الشركة أحوالها المالية متعثرة.. تصوري شركتنا أحوالها المالية متعثرة... إن ما يحزنني يانسرين أن فخر أصبح خاتما في أصبع هذه الجاهلة.. وهو المتعلم الناضج .. أصبح رهن إشارتها ولا يفعل أي شيء إلا بموافقتها..

- لا تزعجي نفسك ياعلياء.. ولابد أن تعرفي أن عقدة النقص التي تشعر بها رسمية وشعورها بأن أسرتنا أحسن من أسرتها هي التي تدفعها لمثل هذه الأفعال المخزية.. وبصراحة فضعف شخصية شقيقك أمامها هي السبب

***

ومرت الأيام مملة رتيبة.. بعد صدور قرار نقل سامح إلي جنيف.. دون أي تقدم يذكر من ناحيته تجاه نسرين..

وكانت نسرين تمني نفسها بأنه حتما سوف يتقدم لها قبل سفره.. وأنه إذا لم يصارحها اليوم بحبه فسوف يصارحها غدا.. ولكن.. دون جدوي... فقد ظل علي نفس الحال معها.. لا تقدم إلا من بعض المجاملات الرقيقة من جانبه... وبعض الهمسات الحلوة العابرة.. وبعض النظرات التي تنم عن حب صادق ولكنها كانت تلاحظ أنه كان دائما يحاول أن يقاوم هذا الحب بكل ما يملك لشيء في نفسه.. فما هو...؟ وهي ابنة خاله.. لا تدري!!

وفي أحد الأيام عرضت الأم علي ابنها أن يتزوج من نسرين ابنة أخيها.. قائلة له:

- لماذا ياسامح لا تفكر في ابنة خالك نسرين.. لماذا لا تتزوجها؟

إنني ياسامح أجدها مناسبة لك جدا.. لا يوجد فيها أي عيب ياحبيبي.. أخلاق.. وعلم وشخصية.. علاوة علي جمالها ورشاقتها.. كم سأكون سعيدة جدا ياسامح إذا وافقت علي زواجك منها.

ويرد سامح علي والدته.. بغروره المعتاد وغطرسته المألوفة :

- حقا.. إنها أصبحت جميلة... أنيقة.. ولكنها ليست الفتاة التي تستهويني.. أو تجذبني إليها.. إنها ليست من هذا الطراز الذي أريده لنفسي.

وبذلك قطع سامح علي والدته أي تفكير في زواج ابنها الوحيد من ابنة أخيها التي تحبها.

ورأت الأم أن تترك لابنها حرية اختيار من تشاركه رحلة عمره.. دون أي ضغط من جانبها..

وتمر الأيام.. يوما بعد يوم.. وسامح يستعد للسفر... ونسرين لا تجد منه أي استجابة نحوها... إلي أن جاء يوم الرحيل... يوم سفره إلي جنيف ..

وحزم سامح حقائبه ..

وذهبت العائلة لوداعه بالمطار..

أما نسرين فلم تقو علي الذهاب معهم.. لم تقو علي وداعه..

اعتذرت لعدم استطاعتها مرافقتهم إلي المطار لوداعه بحجة وجود محاضرة مهمة في نفس موعد سفره.. لقد خشيت نسرين أن تخونها شجاعتها.. أن تذرف الدموع عند مغادرته البلاد... أن تفضحها أحاسيسها بلوعة الفراق..

لقد انهارت أحلامها وآمالها فجأة بسفره..

انهار القصر الجميل الذي ظلت تبنيه طوبة طوبة.. حوالي ثلاث سنوات. أفاقت لتجد الأمل الحلو... والحلم الجميل الذي تجسم في شخص ابن عمتها قد انهار..

ابن عمتها الذي تحدثه سنوات طويلة.. وأخذت تعد وتهيئ نفسها لتزف إليه في النهاية قد صدمها بسفره..

غدا سيجد سامح حسناء من جنيف..

إنه يعشق هؤلاء الفتيات الأوربيات.. يعشق هذا النوع الأوربي من النساء.. فهن يتفقن ومزاجة المتطرف..لقد انتهي كل شيء بيني وبينه..

انتهي الأمل الحلو.. ماتت البسمة الجميلة علي شفتي... كان سامح طريقي إلي النور.. ونبراسي في الحياة.. والآن يخرج سامح من حياتي إلي الأبد!!!

في لحظة ضعف.. بعد أن خرجت العائلة لتودع ابنها بالمطار... بدلا أن تذهب نسرين إلي الكلية.. وجدت نفسها مندفعة إلي التليفون.. (بعد أن خلا المنزل ممن فيه)... ويدها علي القرص.. تدير رقم تليفون محمود.

– آلو... صباح الخير.. أنا قريبة محمود عبد العظيم.. أريد أن أتحدث إليه من فضلك لأمر عاجل ومهم .

ويستدعي المدير محمود علي عجل كي يرد علي التليفون..

– آلو.. نعم.. آنسة نسرين.. أهلا آنسة نسرين..

– محمود.. أريد مقابلتك حالا أنا في ضيق وأريدك الآن... وحالا... لم يجد محمود بدا من أن يستأذن من مديره ليخرج لمقابلة نسرين... خصوصا أنه لم يتعود منها أن تتحدث معه بمثل هذه اللهجة..

وذهب محمود لمقابلتها في المكان الذي حددته له...

وبمجرد أن رآها.. لاحظ علامات الضيق والأسي تبدو علي وجهها...

كما لاحظ آثار الدموع وقد غسلت احمرار الوجنتين لتبدوان كالزهرة الصفراء الذابلة.

سألها محمود عما بها وهو هلع.. إذ إنه لم يرها علي هذه الصورة من قبل :

- ماذا بك ياآنسة نسرين ؟ خيرا ؟!

- محمود... أنا متضايقة جدا.. وأشعر وكأنني أريد مثلا أن أموت.. أن أنتحر!!

اندهش محمود لهذه اللهجة التي لم يتعود أن يسمعها منها من قبل... فقال لها:

- لماذا يا آنسة نسرين... لا يوجد في هذه الدنيا ما يستحق أن يدفع الإنسان إلي الانتحار.. فالمنتحر كافر.. لأنه خالف بذلك ربه وتعاليم دينه.

لم أعهد فيك مثل هذا اليأس من قبل... إنني منذ عرفتك كنت دائما قوية الإرادة.. لا تعترفين بالفشل أو المستحيل... تعشقين التحدي وتحبين الانتصار..

وتهز نسرين رأسها وهي تركز بصرها في الأرض أثناء سيرهما.. فقد سارا معا دون أن يتفقا علي أي مكان يتجهان إليه.. قادتهما أقدامهما إلي كورنيش النيل الذي لا يبعد كثيرا عن الباب الجانبي لحديقة الحيوان.. المكان الذي التقيا أمامه بناء علي طلب نسرين..

قالت له نسرين بصوت خفيض والأسي يملأ نفسها:

- لا يامحمود.. لقد فشلت.. لقد انهدم كل شيء في لحظة واحدة ضاع الأمل الحلو من حياتي... انطفأ النور الذي أضاء لي الطريق... تجمدت البسمة علي شفتي... لم يعد للحياة طعم.. ستجدني إنسانة أخري اليوم... إنك تراني اليوم غير نسرين التي كنت تراها بالأمس.. وستراني غدا إنسانة أخري غير التي تعودت عليها...

أراد محمود أن يعرف منها سببا لكل ذلك... أن يفهم ما حدث لها.. ولكنه فشل.. ولم تصارحه بشيء.. استغل كل ذكائه ليصل الي السبب وفجأة سألها:

- وكيف حال عمتك.. ألفت هانم...؟

قالت باقتضاب:

- بخير..

- ورانيا ... وعمك صلاح... وسامح...؟

- العائلة بأكملها ذهبت كي تودع سامح بالمطار.. لقد سافر اليوم إلي جنيف ليتسلم عمله هناك..

وسألها محمود مستسفرا:

- ولماذا لم تذهبي معهم لوداعه.. فقد كان ذلك من الأنسب؟

- إنني لا أهتم به أو بسفره ويجب أن تعرف ذلك.. وعدم توديعي له بالمطار تعبير مني بعدم اهتمامي به.. إنني لا أنسي تصرفاته الشائنة معي..

وهنا فهم محمود السبب.. فقد كان يشعر بحكم طول معاملته لها.. واختلاطه بها... أن في قلبها مكانا لسامح.. رغم أنها كانت دائما تخفي هذا الشعور ورغم أنها كانت حريصة كل الحرص علي ألا تبدو منها كلمة واحدة أو تصرف يشير إلي ذلك...

ولكن محمود... بحاسته السادسة.. وبحكم مشاعره تجاهها... كان يلمس ذلك.. بل وربما كان هو الإنسان الوحيد الذي استطاع أن يكشف مشاعرها تجاه ابن عمتها... رغم ما كانت تجاهر به دائما من كراهيتها له... وعدم استلطافها لسلوكه وتصرفاته المتعجرفة.. وكبريائه المصطنع.. وأنه إنسان مغرور... (وواخد في نفسه قلم).. وأنها سوف ترد له هذا القلم صفعة قوية في يوم من الأيام..

وهنا عرف محمود أن سفر سامح هو سر تعاستها ويأسها غير المعهود أراد أن يسري عنها... خصوصا أنه يحبها رغم أنه كان يكتم حبه هذا عنها... ولايدري إذا ماكانت تشعر به وبحبه لها... وفي نفس الوقت تهرب منه؟ أم أنها تجهل مشاعره نحوها لانشغالها بحبها لسامح...

لذلك كله... وجد محمود أن الوقت قد حان كي يعبر لها بصراحة عن حبه لها... عن صدق مشاعره نحوها.. وأن هذه فرصته كي يحتل مكان سامح... وأن ينفذ الي قلبها...

عرض عليها أن يذهبا معا للجلوس في أي مكان تستطيع أن تسري فيه عن نفسها.. وتهدئ فيه من روعها.. وتريح أعصابها..

ولم تعارض نسرين..و ذهبت معه..

ومنذ ذلك اليوم.. أصبحت نسرين تجد في محمود الأنيس الوحيد الذي يسري عنها وحدتها وصدمتها بسبب سفر سامح ، رغم أن حبها لسامح كان حبا (بعكس ما كانت تعتقد).. من طرف واحد..

.. ولكن.. هذا الحب.. كان يملأ عليها حياتها.. كان يدفعها إلي الكمال... الكمال في كل شيء..

جعل منها فتاة مجتمع من الدرجة الأولي.. جعلها تري الجمال في كل شيء.. تري الحب في كل مكان.. جعلها تسمو وترتفع بكل شيء.. ومع كل شيء..

تري أن الحب يصنع المعجزات.. تري أن الدنيا كلها أصبحت بين يديها وكل ما فيها ملك لها..

إلا أنها الآن.. وفي لحظة واحدة... شعرت بأنها فقدت كل شيء.. ولم يعد لها أمل في أي شيء..

شعرت لأول مرة في حياتها.. أنها تعيش بلا هدف.. بلا طموح بلا أمل.. وقد طعنت الطعنة الكبري في كبريائها..

أما سامح فقد كان دائما يكبح جماح مشاعره تجاهها... كان يهرب من حبها والاندفاع نحوها.. رغم أنه كان مشدودا إليها خصوصا في الأيام الأخيرة.. وقد وصل إعجابه بها إلي القمة.. وكانت هي نفسها تشعر بذلك... كانت تلمس صدق مشاعره نحوها.. وحبه لها أثناء حديثه معها ومعاملته لها ، لدرجة أنها كانت تتوقع أنه سيتقدم لها حتما قبل سفره.. ورغم ذلك أعرض سامح عن التقدم لها أو مصارحتها بحبه دون أي سبب تراه..

ولكن ما سبب هذه التصرفات من جانب سامح.. رغم أنها ابنة خاله؟

كان للصورة التي قدمت بها نسرين إلي القاهرة عند حضورها من المنصورة لأول مرة منذ أكثر من ثلاث سنوات.. بمظهرها المتواضع وهندامها غير المنسق... وشعرها المتطاير خلفها وحول كتفيها بإهمال.. ولكنتها الريفية.. أثر كبير في نفس سامح.. هذه الصورة مازالت عالقة بذهنه ولا تفارقه.. الأيام والسنوات الثلاث التي مرت غير كفيلة بأن تمحوها.. فكلما حاول أن ينساها ويتقدم نحوها خطوة.. تجسمت هذه الصورة أمامه فجأة.. وشدته

إلي الخلف خطوتين... وأبى عليه كبرياؤه وغروره أن يقع في حب أو يتعلق بمن كانت لها هذه الصورة في يوم ما.

وينسي سامح أنها ابنة خاله.. وأن أصلها من أصله.. وأنه لولا الظروف القاسية التي مرت بوالدها.. لربما فاقته في مظهرها وسلوكها.. وتعالت عليه.. بل وربما رفضته هي.

***

وجدت علياء أن نسرين تمر بنفس الحالة النفسية التي مرت هي بها قبل ذلك .. بعد سفر سامح إلي جنيف دون أن يتقدم لها رغم أنها كانت تشعر بحبه لها.. وجدت أن كليهما في حاجة إلي مواساة الآخر كي تشدا من أزر بعضهما البعض .. ذهبت نسرين إلي علياء في منزلها كي تعترف لها بحبها لسامح.. وتشكو من تجاهله لها رغم أنها تعلم جيدا بأنه يحبها وأن إحساسها لا يخطئ أبدا.. ولكن تعاليه وعجرفته هي التي منعته من أن يتقدم لها لخطبتها والزواج منها قبل سفره.

قالت لها علياء:

- ولكني أعلم يانسرين أنك كنت تكرهينه ولا يوجد مكان له في قلبك ولا تكنين له إلا كل كراهية واشمئزاز.

- نعم هذا حدث فعلا.. ولكن كما يقولون.. (ما محبة إلا بعد عداوة) فقد حدث أنه في الشهور الأخيرة بعد عودتي للإقامة معهم في منزلهم هذا العام بعد قرار نقله.. تغيرت مشاعرنا تجاه بعضنا .. وتغيرت نظرة كل منا للآخر... وأصبحنا نتبادل كلمات المودة والإطراء.. الأمر الذي جعلني أشعر بحبه وما يكنه لي في نفسه من احترام... مما جذبني إليه وجعلني أشعر بنفس الحب تجاهه.. ولكن كل ما يحز في نفسي الآن أنه كبت هذا الحب في نفسه وأبي أن يبوح لي به.. بل كنت دائما أشعر أنه يحاول أن يصادر مشاعره هذه تجاهي.. الأمر الذي زاد من ضيقي منه وحقدي عليه خصوصا بعد سفره دون أي محاولة منه للاعتراف لى بمشاعرة وحبه لي..

- إذن يانسرين أنا وأنت أصبحنا « في الهوى سوا » نعاني من قصة حب فاشلة.

- هذا صحيح ياعلياء.. لذلك فأنا الآن أشعر بمشاعرك.. وأعرف جيدا مدي الجرح الغائر الذي أصاب قلبك.. ومشاعر الضيق

والأسي الكامن في نفسك نتيجة ما فعله بك كريم..

- ليس أمامنا الآن يانسرين إلا أن نتجه إلي الله حتي يخفف من آلامنا وتندمل هذه الجروح..

- حقا ياعلياء... أنا أيضا أطلب من الله ذلك..

***

رأت نسرين نفسها أمام الواقع الذي تجسم لها فجأة وهو أن سامح قد خرج من حياتها للأبد.. بدأت تعد نفسها لهذا الواقع الأليم.. بدأت تعد نفسها للهبوط من سماء الخيال الذي كانت تحلق فيه إلي أرض الواقع...

كانت تشعر بحب محمود لها... ولكنها كانت منصرفة عنه كلية ومشغولة بحبها لسامح.. لاحظت أنه لم تكن لديه الجرأة الكافية لمصارحتها بحبه هذا.

ولكنها الآن وقد ضاع أملها في سامح.. وأصبحت في حالة يأس... وجدت نفسها تقترب من محمود يوما بعد يوم... بل وتحاول أن تشجعه علي أن يصارحها بحبه..

إلي أن كانا في يوم يسيران معا علي كورنيش النيل بعد خروجه من عمله... وذهابه لها بالكلية بعد انتهاء محاضراتها... وقد تعود علي ذلك يوميا بعد سفر سامح..

استجمع محمود كل شجاعته.. وقال لها وهو يحاول جاهدا عدم التلعثم أو التعثر في الكلام:

- نسرين...

نطق اسمها لأول مرة مجردا من كلمة آنسة..

- نسرين... تعلمين جيدا أنني انتسبت منذ العام الماضي للجامعة بكلية التجارة... وإنني الآن في السنة الثانية..

- نعم يامحمود..

- هل تعلمين من الذي دفعني لذلك..؟ أنت يانسرين... حبي لك يانسرين...

إنني أحببتك (وأول مرة أصارحك بذلك)... منذ اللحظة الأولي التي رأيتك فيها... منذ أن أتيت بك إلي هنا... إلي القاهرة... عندما أوصلتك لمنزل عمتك بناء علي طلب والدك..

لقد دفعني حبك هذا للانتساب إلي الجامعة حتي أنال شهادة جامعية وأصبح في نفس مستوى تعليمك لأكون جديرا بك...

انتسبت إلي كلية التجارة و كلي أمل أنه سيأتي اليوم الذي تشعرين فيه بحبي هذا.. حبي الكبير لك يانسرين... الذي دفنته بين ضلوعي طوال هذه السنين... وكنت أشعر دائما أنك لا تبادلينني هذا الحب.. وأنك منصرفة عني كلية.. ولكني كنت صابرا ومثابرا.. علي أمل أنه سيأتي اليوم الذي تفهمينني فيه.. وتشعرين بمشاعري نحوك..

ثم يستطرد محمود في حديثه وانفعالاته العاطفية قائلا:

– والآن يانسرين أعتقد أنه قد حان الوقت لأن أصارحك... وأرجو أن تفهميني وتقدري مشاعري.. وأنا في انتظارك.. أرجو أن تفكري علي مهل قبل أن تتخذي قرارا في هذا الموضوع.. إنني لا أريد أن تتخذي قرارا متسرعا تندمين عليه في يوم من الأيام..

وبعد لحظة صمت.. ردت نسرين قائلة:

– لا يامحمود.. أنا أعرف مشاعرك نحوي جيدا.. ولكن كل ما هناك أنني كنت غير متأكدة من أنك أنت الإنسان الذي أفكر فيه أو أصبو إليه..

إنني أعرف أنك إنسان طيب القلب هادئ الطباع .. مخلص... وأنا لا أطمع في إنسان أكثر من ذلك..

أنا موافقة علي الزواج منك يامحمود.. ولكن علي شرط.. أن تعلن خطبتنا في الأجازة الصيفية.. علي ألا نتزوج إلا بعد أن تتم دراستك وتحصل علي البكالوريوس وتسوي حالتك الوظيفية..

لم يصدق محمود نفسه.. كاد أن يطير فرحا... خيل إليه أنه طائر بين السماء والأرض.. وأنه في حالة انعدام وزن... لا يدري إذا كان سائرا علي الأرض أم طائرا في السماء..

ورد عليها مسرعا:

– حبيبتي...

ولأول مرة ينطق محمود بكلمة حبيبتى لنسرين... نطقها بعاطفة.. وكأنه قد وضع فيها كل مشاعره تجاه نسرين وهو ينطقها...

– حبيبتي.. طبعا.. طبعا... أنا موافق علي كل ما تريدين وبدون أي شروط من ناحيتي.. قال محمود لها ذلك.. وهو يجد نفسه بدون وعي قد جذب يدها بقوة نحوه وقبلها من شدة سعادته..

حدث ذلك بسرعة دون أن تتدارك نسرين ما حدث... ولا تدري كيف تجرأ محمود وقبل يدها... إنها مازالت بكل مشاعرها وتفكيرها مع سامح..

ومنذ ذلك الحين ومحمود دائم التردد عليها بمنزل عمتها أو بالكلية... ويصحبها للنزهة أو للجلوس في أي مكان.. وقد اتفقا علي أن يعلنا خطبتهما في الأجازة الصيفية.

***

و... يصل سامح إلي جنيف.. وهناك... ولأول مرة في حياته.. يشعر بمرارة الوحدة.. بالحنين إلي الأهل والأحباب.

ويسعي جاهدا للتغلب علي هذه الوحدة القاتلة... فيدفن نفسه في علب الليل وملاهي جنيف الصاخبة وبصحبته أجمل من تقع عليه عيناه من فتيات جنيف.. دون جدوي..

يترك هذه الفتاة ليختار غيرها.. ثم غيرها.. وينتقل من واحدة إلي أخري.. هذه ليست لها جاذبية.. وتلك لا تثيرني.. وهذه ثقيلة الظل.. وتلك لا تستهويني.. وهو لا يعلم سر نفوره من هذه أو تلك..

ولكن.. خيال نسرين يظل معه في كل مكان.. لايفارقه.. لا يغيب عن مخيلته لحظة واحدة.. والأكثر من ذلك اكتشف شيئا غريبا..

أن كل من تقع عليها عيناه.. أو يصطحبها من الفتيات يختارها لا شعوريا بكل أوصاف نسرين... فارعة الطول مع تناسق القوام... ملامح الوجة الدقيقة المبتسمة دائما.. عيناها الواسعتان ذات البريق النافذ.. الشعر الطويل الناعم المنسدل علي الكتفين بلونه البني الذي يصنع مع وجهها الناصع البياض المشوب بالحمرة (كونتراست) رائعا من الألوان لصورة جميلة.

هذه الصورة التي كان يختارها دائما لفتياته في جنيف.. كانت كلها نسخاً مكررة من نسرين.. أو قريبة الشبه منها.. اكتشف سامح ذلك كله فجأة..

ولكنه عندما اكتشف ذلك.. لم يندهش.. إذ إن حب نسرين أخذ يكبر معه يوما بعد يوم بصورة لم يكن يتوقعها من قبل... إنه لم يعد يقوى علي مقاومة الحب الذي استشري في كيانه.. ودب في أوصاله.. لدرجة أنه كلما اصطحب معه فتاة تصور أنها نسرين.. هكذا كان يخدع نفسه.. أو هكذا تصور أنه بذلك يمكن أن يحد من وحشته وحبه لها... ولكنه سرعان ما كان يصحو ويفيق ليفاجأ بالواقع الأليم.. إنها ليست نسرين..

كان يتصور أنه في جنيف سوف يجد من ينسيه حبها ولكنه كان واهما.. لقد اكتشف أيضا أن أخلاقيات نسرين ومبادئها هي التي

أصبحت تستهويه .. وأن الزوجة التي يجب أن تعيش معه رحلة عمره.. وترافقه مشوار حياته... لا ينبغي إلا أن تكون بمثل هذه المبادئ وهذه الأخلاقيات..

لقد فكر طويلا.. رأى في نسرين والدته ببساطتها وطيبة قلبها.. وحبها لوالده وإخلاصها له.. وكذلك حبها لبيتها وأولادها.. علاوة علي أنها سيدة مجتمع من الدرجة الأولي..

إنها هي نسرين.. بعينها... لقد تطورت وأصبحت إنسانة أخري غير التي رآها لأول مرة يوم أن حضرت إليهم وهي قادمة من المنصورة في صورة فتاة ساذجة.. بجمالها الفطري.. ومظهرها البسيط غير المنمق.. أما الآن.. فقد أصبحت فتاة جامعية.. تغيرت صورتها تماما.. أصبحت تلفت الأنظار في أي مكان تحل به.. بجمالها الأخاذ الذي تطور بما يلائم المجتمعات الراقية.. فتاة مجتمع من الدرجة الأولي.. إلي جانب ثقافتها السياسية وتفكيرها المستنير ولباقتها في الحديث.. كل ذلك علاوة علي لهجتها التي تغيرت تماما.. فبعد اللهجة الريفية.. أصبح لها صوت موسيقي رائع.. وطريقة الكلام التي لا يمكن مقارنتها بأي من بنات جنسها.. وقد تغيرت طريقة الكلام التي كانت تستعين فيها بكلتا ذراعيها اللتين كانتا تلوحان بهما يمينا ويسارا مع صوتها المرتفع.. كل ذلك تغير تماما.. وتغيرت نسرين..

ثم يقول سامح لنفسه متابعا كلامه هذا :

لقد عرفت الكثيرات... لم أجد في إحداهن كل هذه الصفات مجتمعة.. ماذا أريد؟!!.. ماذا أريد أكثر من ذلك..؟ إنني أحبها.. أحبها بدون شك.. إنها فتاة أحلامي..

إن سفري وبعدي عنها كانا بمثابة الاختبار لعواطفي تجاهها.. رغم أنني أردت من سفري أن أهرب من حبها الذي ملك علي نفسي وكاد يفضحني.. و قلت لنفسي غدا ستجد حبيبات.. ستجد الملاذ في جنيف.. ستجد الشفاء من الداء.. ولكني كنت واهما.. واهما..

أردت أن أهرب من نفسي.. من الداء الذي استشري.. والقلب الذي عرف الحب الحقيقي لأول مرة في حياته يهرب ليبحث عن حب زائف.. زائف!!

***

وهكذا.. أصبحت أيام سامح في جنيف أشبه بالجحيم.. جحيم تملؤه الذكريات.. ذكرياته معها في القاهرة.. ذكريات تصرفاته الشائنة معها.

كانت هذه الذكريات بمثابة شريط سينمائى طويل يلازمه فيستعرضه إينما ذهب.. يستعرض أحداثه التي مرت في أكثر من ثلاث سنوات.. هي عمر الفترة التي قضتها نسرين معهم في القاهرة منذ أن وطئت قدماها باب منزلهم لأول مرة وبصحبتها محمود إلي أن تركها وسافر إلي جنيف...

محاولة الاعتداء عليها.. تركها منزلهم وذهابها للإقامة في بيت الطالبات.. إغفاله الدائم لها وتجاهله إياها.. عدم احترام مشاعرها.. نظرته الدائمة إليها علي أنها فتاة ليست من مستواه.. وأخيرا بعد أن تطورت وتفتحت مداركها ومواهبها وتفوقت عليه هو نفسه برشاقتها وجمالها.. وكذلك وهي تراقصه يوم عيد ميلاده، وكيف استولت عليه وملكت حسه دون أن يستطيع أن يقاوم إغراءها وقد أجبرته أن يطلب منها الرقص معه..

ذكريات يصفها هو نفسه بأنها أليمة.. يصف نفسه فيها بالغرور والعجرفة.. إن لم يكن بالنذالة والجحود..

لم يجد سامح بين هذه الذكريات أي تصرف بدر منه يمكن أن يوصف بأنه تصرف مهذب تجاهها.. لم يجد أي موقف يمكن أن يقال عنه إنه تصرف نبيل صدر عنه تجاهها.. أو حتي علي الأقل ابن العمة نحو ابنة الخال...!

كلها ذكريات يملؤها جحود وكفر بها.. يملؤها كبرياء كاذب ومشاعر زائفة.. كان يحاول بها دائما أن يخفي صدق مشاعره عنها وحبه لها.. أو بالأصدق كان يحاول أن يغالط بها نفسه.. أن يضحك علي نفسه ..

إنه الآن نادم علي كل ذلك..

نادم علي كل ما بدر منه تجاه نسرين!!

إنه يتمني الآن.. لو دارت العجلة مرة ثانية إلي الوراء.. لوعادت الأيام به ثلاث سنوات مضت.. لعاملها بصدق.. وبطريقة تختلف تماما عن الطريقة التي عاملها بها.. لاحتضنها وأصبح لها أخا

وصديقا.. لكان لها خير هاد.. وخير معين.. وأخذ بيدها حتي أصبحت له نسرين الحبيبة.. الجميلة..

كان تصله خطابات كثيرة من أسرته.. من والده ووالدته.. من رانيا شقيقته.. حتي من إيهاب شقيق نسرين.. أما هي.. نسرين... ولا كلمة.. ولا حتي سلام علي لسانها في أحد هذه الخطابات.

يالك من جاحدة يانسرين..

ثم يعود لنفسه ثانيا ويقول:

- لا.. أبدا.. لم تكن نسرين جاحدة.. أنا السبب.. كيف ترسل لي بعد أن رأت مني كل ذلك.. بعد أن عاملتها بمثل هذه المعاملة؟!!

***

أما نسرين.. فقد عادت ثانية إلي منزل عمتها في المساء بعد أن قضت يومها مع محمود... محاولة أن تدفن آلامها معه..

أن تجد فيه ما يعوضها عن سفر سامح في محاولة للنسيان..

إنها تريد أن تنسي حتي نفسها...

تريد أن تنسي ذلك اليوم الذي أتت فيها إلي القاهرة..

أن تنسي أول يوم عرفت فيه سامح..

يوم أن قابلته وتجاهلها.. إنها تلعن حتي ذلك اليوم..

هذا اليوم بالذات.. لأنه هو الذي دفعها لأن تتحداه.. وكان من نتيجة هذا التحدي حبها الجارف له.. وتخيلها في النهاية أنها نجحت في تحديها.. بل لقد وصل بها الأمر أنها تراهنت بينها وبين نفسها علي أنها ستحطم كبرياءه.. ستجعله في النهاية ومهما طالت الأيام.. يركع أمامها.. يقبل يديها.. يعتذر لها عن كل ما بدر منه في يوم من الأيام..

وفجأة.. وسفره انهار أمامها كل شيء.. سافر سامح دون أن يركع أمامها.. دون أن يتحطم كبرياؤه... رغم مالمسته في الأيام الأخيرة التي سبقت سفره من تحول في مشاعره نحوها.. وما كان يفعله علي غير عادته.. وتوصيلها للكلية بسيارته.. وغير ذلك.. مما بعث الأمل في نفسها.

لقد أصبحت الآن في شبه انهيار كامل.. ولا تدري ماذا تفعل؟ .. أحست أن الشمس التي أشرقت في سماء حياتها سنوات قد

غربت فجأة وبغير عودة.. والمصباح الذي أضاء لها الطريق قد انطفأ دون سابق إنذار بعد أن كادت تصل إلي نهايته..

عادت إلي المنزل... فقابلتها عمتها بابتسامتها العريضة كالعادة.. وقالت لها:

- نسرين.. أنت لم تتناولي غداءك اليوم.. ولابد أنك جائعة الآن.. العشاء في انتظارك ياحبيبتي....

أجابت نسرين بسرعة وهي تتجه نحو حجرتها.. محاولة إخفاء وجهها وما يجتاحه من حزن وكآبة :

- أشكرك ياتانت.. لقد تناولت طعام الغذاء بالكلية.. وليس لدي أي استعداد لتناول أي طعام الليلة.. إنني متعبة وأريد أن أذهب إلي الفراش لأستريح الآن...

- كما تشائين.. سلامتك... هل تريدين كوب شاي أو أى شيء...؟

- لا ياتانت (مرسي).. فقط أريد أن أنام وأستريح.. إنني مرهقة جدا.

وتذهب نسرين إلي سريرها لتنام وفي يدها الراديو الترانزستور..

تدير مفتاح الصوت لتفتحه.. إنها في حاجة إلي سماع بعض الموسيقي الهادئة لتهدئ نفسها الحزينة.. لتريح أعصابها المرهقة.. لتغذي روحها القاحلة..

يتصاعد من الراديو صوت أم كلثوم وهي تشدو بصوتها العذب الطروب.. أغنية (عودت عيني علي رؤياك)..

وتتهادي الي سمع نسرين كلمات الأغنية..

زرعت في ظل ودادي غصن الأمل وأنت رويته..

وكل شيء في الدنيا دي.. وافق هواه.. أنا حبيته..

ومهما شفت جمال.. وزار خيالي خيال... انت اللي شاغل البال..

وأنت اللي روحي وقلبي معاه.. وإن مر يوم من غير رؤياك..

ماينحسبشي من عمري، ويوم ماتسعدني بقربك...

وتتغلغل هذه الكلمات... وهذه المعاني في أعماق نسرين... في أعماقها الخاوية الحزينة فتمس وترا حساسا في قلبها الجريح.. وأملها الضائع... وينعكس صدي كلمات الأغنية في نفسها..

فتزلزل كيانها.. وتزيد من آلامها آلاما ومن حزنها أحزانا، فتنهار أعصابها.. وتجد نفسها فجأة تغلق الراديو بعنف.. ثم تلقي به علي الأرض بعصبية شديدة ليتحول إلي قطع متناثرة.. ويتهشم عن آخره..

ثم تجهش بالبكاء وهي تدفن وجهها في وسادتها..

حتي محمود لم يستطع أن يملأ الفراغ الذي تركه سامح.. لم يستطع أن يؤنس وحشتها بعد سفره.. وهي التي ارتمت بين يديه هربا من طعنتها.. ظنا منها أنه المنقذ وأنه الملاذ من الصدمة..

لقد اكتشفت أن ذلك كله وهم .. سراب .. بلا جدوي..

ولكن الأيام وحدها كفيلة بأن تنسيها إياه.. سوف تقبل حتما علي محمود.. إن لم يكن اليوم فليكن غدا..

.. هكذا خيل لها..

حتي صورة سامح التي تضعها رانيا في الحجرة أصبحت مصدر عذاب لنسرين.. بعد أن كانت مصدر سعادة وشعاعا للأمل..

لم تعد نسرين تحتمل وجودها بالحجرة.. إنها تذكرها به كل لحظة... وكل دقيقة.. تذكرها بمأساة حبها الضائع.. بمأساتها معه..

تمنت نسرين لو حملت هذه الصورة وأخرجتها من الحجرة لتجد لها مكانا آخر بعيدا عن نظرها.. حتي تنساه.. ولكنها لا تستطيع أن تحركها من مكانها... إنها غير قادرة حتي علي لمسها.. لا يوجد لديها الحجة التي تقولها لرانيا لترفع صورة شقيقها من حجرتها.. شقيقها الوحيد الذي تحبه وتحترم غيابه.. وبعده عن أرض الوطن..

فقط.. كان الحل الوحيد أمامها... أن تدير واجهة الصورة ناحية سرير رانيا.. بعد أن كانت تتعمد دائما أن تجعلها في مواجهة سريرها حتي يكون وجهه في وجهها دائما كي تنعم برؤيته كل صباح عند استيقاظها من النوم وكل مساء قبل أن تغمض عينيها... أما الآن.. فقد اختلف الأمر كثيرا... أصبحت الصورة مصدر عذاب لها بل كانت كثيرا ما تسبب لها الأرق عندما يقع نظرها عليها وتمعن النظر فيها بدون قصد.. قبل نومها...

أصبحت أيام نسرين في منزل عمتها جحيما لا يطاق..

أصبحت كلها ذكريات.. تري سامح في كل ركن من البيت... حتي التليفون يذكرها به عندما كان يتحدث فيه بصوته الخافت الحنون... عندما كان يهمس فيه لإحدي صديقاته ويحرص علي ألا يسمعه أحد وهو يتكلم.. كانت لا تشعر بالغيرة من هذه المكالمات.. كانت واثقة من نفسها.. لدرجة أنها كانت تقول بينها وبين نفسها أنها سوف تطغي علي كل هؤلاء..

كانت تقول لنفسها.. إنه طيش شباب.. لابد أن يلفظه في يوم ما.. وسوف تطردهن من حياته جميعا بغير عودة.. وأنه حتما سوف يأتي هذا اليوم الذي يري فيها مالايراه في فتيات القاهرة اللاتي يجري وراءهن في النوادي والحفلات التي يدعي إليها.. وفي عالمه ومجتمعه الذي يحبه... حتما سوف تتفوق علي كل هؤلاء..

أما الآن فقد أصبحت تري كل ذلك وقد تبدد أمام عينيها في لحظة.. أدركت أن ذلك كله كان مجرد سراب.. كانت تجري وراءه.. مجرد أحلام يقظة كانت تبالغ فيها..

إنها الآن تقف علي أرض الواقع... وأن محمود هو نصيبها... هو الحقيقة التي لا وهم فيها ولا خيال.. هو الواقع الذي يجب أن تعيه وتنزل إليه بعيدا عن شطحات الخيال... ولابد أن تأقلم نفسها علي ذلك.. وتعود نفسها علي هذا الواقع بآلامه ومراراته.

***

اشتد المرض علي صفيه زوجة عبد الفتاح الششتاوي ..و عجز الأطباء عن علاجها.. وأصبح الداء ليس له دواء... إلي أن نفذ أمر الله وصعدت روحها الي بارئها.. كانت صدمة كبيرة بالنسبة لعبد الفتاح الششتاوي، ولكنه خضع لأمر الله وحكمته.. وأصبحت ثناء زوجة صفوت هي التي ترعاه في مرضه.

وبعد دخول حشمت الجيش بعد أن استنفذ مرات الرسوب بالكلية ووصل إلي سن التجنيد.. تم تجنيده بالاسكندرية... وكان يفضل قضاء أجازته من الجيش في بلدتهم (صفصافة) إلي جانب والده المريض.. خصوصا بعد وفاة والدته كي يشد من أزره ويطمئن عليه وعلي صحته... الأمر الذي جعله يتغيب عن القاهرة بضع شهور لهذه الظروف القاهرة دون أن يرى الراقصة سموات التي يحبها.

وفى الفترة التي غاب فيها حشمت عن القاهرة كان شقيقه بهجت لا ينقطع عن زيارتها... والذهاب إلي الكبارية الذي تعمل فيه.. وقد هام بحبها هو الآخر.. لم يعد يطيق البعد عنها أو تركها للحظة.. خصوصا بعد أن أتم دراسته وحصل علي ليسانس الحقوق.. ومن شدة حبه لسموات.. كانت الغيرة تشعل نار قلبه كلما وجد المعجبين من حولها.. الأمر الذي جعله يصارحها بحبه ورغبته في الزواج منها... خصوصا وأنه كان لا يعرف أن شقيقه حشمت يحبها... كان يظن أنه مجرد إعجاب بها وبفنها فقط.. وهي «سموات » لم تصارحه بما كان بينها وبين شقيقة حشمت.. وقالت لنفسها:

يابت ياسموات (عصفور في اليد خير من عشرة علي الشجرة) لقد رأت أن بهجت حاصل علي ليسانس وهذه الشهادة تميزه عن حشمت.. أي أنه من الممكن أن تعيش معه عيشة رغدة بعد حصوله علي وظيفة محترمة ومستقرة.. أما حشمت فليس لديه أي شهادة وفاشل في دراسته... مما يجعل مستقبلها معه غير مأمون..

ووافقت في الحال علي زواجها من بهجت .. الذي قال لها:

- سمسم ياحبيبتي لي شرط واحد قبل زواجنا..

قالت له:

- أمرك ياحياة عيني.. أمرك مطاع..

- أن تتركي عملك في الكباريه وتكونين لي وحدي... فقط مجرد زوجة وربة بيت في مملكة حبنا.

- يانور عيني طلباتك أوامر.. عشت طوال عمري ومنذ أن عملت في الكباريه أحلم باليوم الذي أترك فيه الرقص وهذا المكان.. وأجد الشخص الذي أحبه ويحبني وأسعد بقربه في عش هادئ سعيد يجمعنا تحت سقف واحد.. وكنت أنت يابهجت .. كنت الحلم والأمل..الحياة والمستقبل.. وكل ما أتمناه في هذه الدنيا.

- حياتي.. أنا في قمة سعادتي.. كنت أخشي أن ترفضي طلبي هذا... ولا توافقين علي ترك عملك في الكباريه... أما الآن بعد موافقتك فأنا أسعد مخلوق في هذه الدنيا.

وفي الحال تركت سموات الكباريه وذهبا معا للمأذون وعقدا قرانهما ثم ذهبا إلي شقة بهجت التي يعيش فيها مع شقيقه حشمت الذي يقضي فترة التجنيد في القوات المسلحة.. وكانت هذه الشقة هي عش الزوجية لبهجت وزوجته سموات.. خصوصا وأن تجنيد حشمت في منطقة الاسكندرية جعله يذهب إلي قريتهم فى أجازاته بدلا من حضوره إلي القاهرة... كما أن بهجت كان يظن أن شقيقه حشمت كان مجرد معجب بفن سموات فقط وأن العلاقة بينهما لم تتعد ذلك الإعجاب.

بعد عدة شهور من تجنيد حشمت.. اشتاق للقاهرة وليالي القاهرة ولرؤية حبه سموات.

فأخذ أجازة من الجيش لبضع أيام وقرر أن يقضيها في القاهرة بدلا من ذهابه إلي قريتهم صفصافة بعد أن اطمأن علي صحة والده.

عندما وصل حشمت لمنزلهم بالقاهرة.. وضع المفتاح في ثقب باب الشقة وأداره.. إلا أن الباب لم يفتح.. إنه موصد من الداخل... دق الجرس.. مرة... ومرات... في بادئ الأمر ظن أنه أخطأ في الشقة.. ولكنه تأكد أنها شقتهم.. أخذ يدق الجرس.. بل وضع يده علي الجرس ولم يرفعها. .

نهضت سموات من نومها منزعجة تاركة بهجت يغط في نوم عميق لتفتح الباب وهي ترتدي قميص النوم..

فتحت الباب لتجد أمامها حشمت.. قالت وهي ترتعد وتمد يدها المرتعشة لتصافحه.. لأنها تعلم جيدا ما كان بينها وبينه.. وأنها بزواجها من شقيقه تكون قد خانته وخانت حبه:

- حـ.. حـ حـشـمت.. أهلا.. أهلا.. حـ.. حـ حـشـمت.. ألف سـلامـة.. وحشتنا .. تفضل.

اندهش حشمت عندما رأى سموات أمامه.. بل عقدت الدهشة لسانه لبرهة.. ثم قال:

- سموات؟! ماذا تفعلين هنا؟!!

ارتعدت أوصالها.. ولم تدر ماذا تقول.. وقد تلعثمت الكلمات علي لسانها وبصعوبة قالت :

- أنا.. أنا.. تفضل.. تفضل ياح .. حشمت.. وأنا أقول لك.. بس تف.. تفضل... أهلا بك.

لاحظ حشمت ارتباكها وتلعثمها... بسرعة تنبه أن في الأمر شيئا .. سألها:

- هل بهجت هنا؟

- نعم.. نعم.. إنه هنا.. تفضل.. إنه نائم في حجرة نومه.. سوف أوقظه لك.

- وماذا تفعلين أنت هنا معه في غيابي بمفردك وترتدين ملابس النوم؟! .. واحتد حشمت:

- مادا تفعلين هنا.. ردي .. ردي يامجرمة.. وكاد حشمت يرفع يده ليصفعها علي وجهها.. ولكنها فرت من أمامه بسرعة هاربة دون أن تلفظ بكلمة.. بل أعطته ظهرها.. وهي تعدو نحو حجرة النوم حيث يرقد بهجت ويغط في نومه ومن خلفها يعدو حشمت..

هزت بهجت بشدة بيد مرتعشة :

- بهجت.. بهجت.. اصحي.. اصحي يابهجت.. حشمت حضر ويريدك قام بهجت من نومه مفزوعا ليجد أمامه شقيقه حشمت.. فقال:

- حشمت؟ أهلا حشمت أهلا.. اجلس.. اجلس ياراجل لما أحكي لك.. مش أنا اتجوزت سموات.

- أتجوزتم؟ ... متي. ؟ وكيف..؟ وكيف سمحت سموات لنفسها بذلك؟ ألم تقل لك عن العلاقة التي كانت بيني وبينها؟

- علاقة.. علاقة إيه... أنا لا أعرف أبدا أنه كان هناك علاقة بينك وبينها.. هي لم تخبرني بذلك.. وأنت أيضا لم تقل لي شيئاً من هذا.. أنا أعلم فقط أنك معجب برقصها وفنها.. أما أنا فقد أحببتها وتزوجتها منذ شهر فقط.. بعد أن انتهيت من الامتحان.. وكمان موش تقول لي مبروك.. أنا نجحت وحصلت علي ليسانس الحقوق وقد ظهرت النتيجة بالأمس فقط..

نظر حشمت بازدراء إلي سموات ورفع يده وقد صعد الدم إلي وجهه من شدة الغيظ.. ومن هول المفاجأة.. وصفع سموات علي وجهها قائلا:

- ياخائنة .. أمثالك لا يستبعد عليهم أي شيء فالخيانة هي أسلوبهم.. والغدر من شيم الراقصات.

وضعت سموات يدها علي خدها من شدة الألم وهي تقول:

- أبدا أنت غلطان.. لقد تزوجته علي سنة الله ورسوله.. وهل الزواج خيانة؟

ثم نظرت إلي زوجها لتقول له:

- كيف تترك أخاك يضربني أمامك هكذا.. وتقف متفرجا ومكتوف اليدين؟

نهض بهجت من نومه بعد أن تطورت الأمور أمامه بسرعة وهو لم يفق بعد من نومه.. وهو يقول لشقيقه : هل الزواج عندك خيانة ياحشمت ؟ لقد تركت عملها في الكباريه ولن تعود للرقص بعد زواجنا.

رد حشمت بتهكم موجها كلامه لسموات:

- وهل ياتري نسيتي بسرعة ما كان بيننا؟

ويتساءل بهجت موجها كلامه لسموات؟

- ماذا كان بينكما ياسموات؟

- لا شيء.. لاشيء... لا تصدقه... لا تصدقه... إنه كذاب...

يرد حشمت قائلا:

- نعم أنا الآن كذاب.. ولكن مثل هذه الأفعال ليست ببعيدة عن أمثالك.. الحمد لله الذي خلصني منك.

ثم ينظر إلي شقيقه ويقول له:

- أما أنت.. فأنا الآن مسافر إلي البلدة وسأخبر والدك بما فعلته.. وبأمر هذه الساقطة التي وقعت في براثنها وسأقول له إن حضرة (الأوفاكاتو) بتاعك قد تزوج من راقصة..

ثم أردف :

- ثق أن مافعلته معي سوف تفعله معك.. بعد أن تتركك لتذهب إلي ماهو أحسن منك في نظرها..

وبعد نظرة ملؤها الإحتقار لكليهما.. أدار ظهره متجها نحو باب السلم ليسافر إلي قريتهم صفصافة .. وقد أقسم أن يثير والدهم ضد شقيقه وأن يخبره بنبأ زواجه من راقصة.

***

أصبحت نسرين تخرج مع محمود من حين لآخر.. وأصبح هو لا ينقطع.. يذهب إليها بالكلية ليصحبها إلي المنزل أو للنزهة في أى مكان.. كما أصبح كثير التردد عليها في منزل عمتها... وكثرت اتصالاته التليفونية بها... وكانت هي لا تمانع في كل ذلك.. ربما تجد معه السلوي... أو تشعر معه بشيء ينسيها سامح... ينسيها ماهي فيه... كانت تريد أن تهرب من الواقع... بل حتي تريد أن تهرب من نفسها.. كانت تتعلق بأى شيء تري أنه من الممكن أن ينسيها هذا الواقع...

وتعودت أسرة عمتها علي وجود محمود معها... وتردده عليهم بالمنزل... وكانت ألفت هانم لا تمانع في ذلك مادامت تثق في نسرين وفي أخلاقها.

ومع ذلك لم تستطع نسرين أن تتخلص من ذكرياتها مع سامح... كيف؟ وكل شيء حولها يذكرها به!

لقد استولي عليها الأرق.. لم تعد تري للنوم طعما... وأصبح من المألوف عندها أن تذهب إلي شرفة غرفتها قبل نومها كل ليلة لتقضي بها ساعات تعيشها مع الذكريات.. كانت تنسي نفسها.. ولاتعود إلي سريرها إلا مع ساعات متأخرة من الليل.. وأحيانا لا تفيق من استعراض شريط ذكرياتها معه إلا بعد أن ينسج النهار خيوطه.. وتتبدد أمامها ظلمة الليل الحالك... فتتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود.. عندئذ تعود إلي سريرها وقد أعياها الإرهاق من السهر فتخلد إلى النوم بفعل هذا الإرهاق.. كانت هذه هي الطريقة الوحيدة التي تمكنها من النوم.

كانت الموسيقي أنيسها الوحيد... في جلساتها، وفي الشرفة.. كانت تصطحب معها الراديو رغم أن الموسيقي التي تنبعث منه لا تسري عنها... بالعكس.. كانت تعمق أحزانها.. ووحشتها بلوعة الفراق.. كانت مبعث آلامها.. ولكنها مع ذلك كانت تشعر بنوع من الراحة النفسية... عند سماعها لهذه الموسيقي..

تذكرت تلك الليلة... ليلة عيد ميلاده..

استعرضت كل أحداثها... بل وعاشتها لحظة بلحظة.. وكأن شريطا سينمائيا يمر أمام عينيها تستعرض فيها كل ما حدث في هذه

الليلة.. عندما طلبها سامح لتراقصه.. عندما طلبها بكبريائه المعهود.. كما تذكرت الحديث الذي دار بينه وبينها عن الموسيقي أثناء الرقص..

وتجسم أمام عينيها الشريط السينمائى بالصوت والصورة.. وهو يقول لها:

- إنك بالفعل تجيدين الرقص إجادة تامة..

- أى إنسان عنده مشاعر وأحاسيس.. ويهوى سماع الموسيقي ويتذوقها.. من السهل أن يجيد الرقص.. لا يوجد أجمل وأقوي من الموسيقي لتحريك المشاعر..

- واضح أنك تحبين الموسيقى .

- الموسيقى ياسامح غذاء للروح والوجدان... الموسيقي غذاء النفس القاحلة المقفرة..

- وأى نوع من الموسيقى تحبين؟

- إنى أحب الجميل منها.. سواء كان كلاسيك أو خفيفا (ليت ميوزك).. أو مرحا صاخبا..

وتستعيد نسرين أيضا كلماتها وهي تقول له:

- الموسيقى ياسامح تسمو بالروح وتهذب النفس.. إن لها تأثيرا ساحرا علي نفسي.. إنها دائما تؤكد لي الجو العام الذي أعيشه... وتهيئ لي الجو المناسب الذي يتفق مع مشاعري.. إذا كنت سعيدة فهي تعيش معي هذه اللحظات السعيدة.. وتهيئ لي جوا شاعريا يزيد من سعادتي وسروري.. واذا كنت في ضيق.. أو حادة المزاج أو أشعر بحزن لأى سبب من الأسباب.. فهي تعمق في نفسي هذا الحزن .. وفي هذه الحالة أشعر بالانطواء ولا أجد أنيسا لي إلا الموسيقي..

وتتذكر كلمات سامح وهو يرد عليها قائلا:

- وهل تشعرين بالحزن كثيرا؟

وتتذكر هي ردها عليه عندما قالت له:

- أيامي كلها خليط.. مزيج من السعادة والشقاء.. مثلي مثل أي إنسان كائن حي في هذه الدنيا..

وعندما رد عليها:

- إنك لفيلسوفة..

ثم يسألها سامح وقتذاك قائلا:

- والآن ياتري ماهي مشاعرك.. هل أنت سعيدة؟

وكيف ردت عليه قائلة:

- لست أدري.. لا أستطيع أن أحدد بالضبط.. ربما أشعر بنوع من السعادة لم أتذوقه من قبل.. سعادة ممزوجة بالحيرة والقلق!!

كانت أسئلته لها عن الموسيقي وإجاباتها عليه تطن في أذنها.. وكأنها تسمعها الآن.. كما كانت تستعرض نفسها وهي ترقص معه... تتذكر جمالها والروعة التي رقصت بها مع ابن عمتها في تلك الليلة وكيف استرعت أنظار جميع الحاضرات والحاضرين وكيف حازت إعجابهم جميعا... وأيضا كيف أجبرت سامح علي الرقص معها...

وسرحت نسرين مع هذه الذكريات الجميلة.. وهي تشعر بنوع من السعادة وقد نسيت آلامها لدقائق بعد أن اندمجت كلية في هذه الذكريات وكأنها تعيشها في لحظتها.. ولكنها سرعان ما عادت إلي واقعها الأليم.. إلي نفسها.. إلي الحقيقة الحزينة التي تعيشها الآن..

سرحت بعينيها.. وهي تنظر إلي السماء في ليل حالك الظلام.. وقالت.. والدموع ملء عينيها:

- أبات أعد النجوم .. في سماء كلها غيوم

لا فيها ضي.. ولا بريق أمل جي ..

الجرح في القلب كبير.. والدموع علي الخد تسيل ...

***

يانجمة روحي وقوليله..

عينيك كانت كلها حب في حب!!

وليه كنت بتنكر حبك؟!

ليه كنت بتغالط قلبك؟

فاكر انك حاجة يعني؟

أبدا.. غلطان.. ياحبيبي غلطان..

دا كله غرور..

حقيقي غرور..
صدقني غرور..

***

حبيته ومكنش قصدي أحبه
لكن.. قلبي حبه.. وكان اللي كان
أعمل ايه...؟ أقول له ايه...؟
غلطان ياقلبي.. ياقلبي غلطان
ضليت طريقك.. أخطأت سبيلك
موش دا حبيبك.. ولا حتي نصيبك..
ياما نبهتك... ياما.. ياماحذرتك.. ياما..
يرد قلبي:
آسف.. كان خطأ كبير.. كان طيش خطير..

***

ياقلبي انساه.. دا موش حبيبك ولا من نصيبك.
وبلاش تعد النجوم...
في سماء كلها غيوم..
لا فيها ضي.. ولا بريق أمل جي..

***

بكره أداوي جروحي..
بكره أنسي.. بكره أسلي
بس انت ياحبيبي.. المهم أنت..
متأكد حتلاقي حبيبك؟
متأكد حتحب نصيب؟
..............................؟
متأكد حتنسي غرورك؟
ياريت ياحبيبي....

***

ياقلبي انساه.. دا موش حبيبك.. ولا حتي نصيبك...

***

وأبات أعد النجوم..

في سما كلها غيوم..

لا فيها ضي... ولا بريق أمل جي ..

الجرح في القلب كبير...

والدموع علي الخد تسيل...

***

و... ظلت نسرين تعيش مع ذكرياتها.. وهي علي موعد كل ليلة مع الأرق والسهر في شرفة حجرتها...

تسأل نفسها... هل كانت واهمة.. عندما شعرت في الأيام الأخيرة أنه بدأ يغير أسلوبه في معاملته لها... واهتمامه بها؟

وهل كانت نظراته لها التي لم تعهدها من قبل هي نظرات خادعة؟

وإبداء إعجابه بأشياء كثيرة تتعلق بها مثل ملابسها وتسريحة شعرها.. هل كان ذلك لهوا ومزاحا منه...؟

واستفساره الدائم عن أحوالها واستذكارها لدروسها في الأيام التي سبقت سفره.. هل كل ذلك كان هراء؟ مستحيل.. مستحيل؟!

وتفقد نسرين أعصابها من كثرة التفكير.. ولكنها سرعان ما تعود ثانية إلي رشدها ..

ولاحظت رانيا الأرق الذي يستولي علي نسرين بصفة مستمرة.. وكذلك جلوسها في شرفة الحجرة حتي ساعة متأخرة من الليل.. كما لاحظت أنها دائما في حالة نفسية مؤلمة.. وعلي غير العادة سألتها عن السبب؟

قالت لها نسرين:

- لا شيء يارانيا.. لا تشغلي بالك.. بعض الإرهاق بسبب كثرة الدروس والمحاضرات بالكلية.. كما أن السنة الأخيرة بالكلية تجعلني دائما مشدودة الأعصاب لشدة حرصي علي استيعاب الدروس حتي أنعم بتقدير امتياز... إن أمنيتي أن أعين معيدة بالكلية..

كما لاحظت العمة أيضا.. الشحوب البادي علي وجه نسرين.. والإعياء الذي استولي عليها.. سألتها أيضا عن السبب.. وكانت الإجابة.. هي نفس الإجابة التي قالتها لرانيا:

- الدراسة .. وكثرة المحاضرات.. وخوفها من ضياع تقدير الامتياز..

***

أما علياء فتحاول والدتها أن تخفف عنها أثر صدمة ترك كريم لها وزواجه من غيرها.. وتقول لها :

- أنا متأكدة أن ربنا سوف يعوض صبرك خيراً ياعلياء ياحبيبتي... فوضي أمرك لله وإن شاء الله سوف يعوضك بأحسن منه ألف مرة..

- لا تقلقي نفسك ياماما بسببي.. فأنا في حالة مطمئنة والحمد لله.. لقد لاحظت منذ فترة تغير كريم من ناحيتي وأن مشاعره لم تعد كما كانت... فتوقعت أن افتراقنا عن بعض واقع لا محالة.. يعني ما حدث الآن لم يكن مفاجأة بالنسبة لي .. وأعددت نفسي لهذا اليوم.. وقررت أن أواصل دراستي للحصول علي الدكتوراه.. وأرسلت إلي جامعة كورنيل بأمريكا عن طريق الجامعة الأمريكية للحصول علي منحة لدراسة الدكتوراه من هناك وسوف أتلقى الرد قريبا.

ردت سامية والدتها:

- وهل أهون عليك حتي تتركيني وحدي ياعلياء؟! علي العموم اللي يريحك يابنتي.

وكانت ألفت تذهب الي بيت أختها من آن لآخر لزيارة شقيقتها سامية.. وتسري عنها وعن ابنتها علياء.. فقد كانت علياء في حكم المخطوبة لكريم... وكان كريم يزورهم بالمنزل ويزور العائلة علي أساس أنهما سوف يعلنان خطوبتهما عقب تخرجهما.

ومرت الأيام ثقيلة.. وانخرطت علياء كلية في عملها.. ولا تعود إلي المنزل إلا متأخرة.

وفجأة يصلها رد جامعة كورنيل بالموافقة علي إعطائها المنحة لدراسة الدكتوراه بناء علي تقدير الامتياز الذي حصلت عليه علياء عند تخرجها من الجامعة الأمريكية.

تقبلت الأسرة الخبر بحزن شديد.. خصوصا سامية والدة علياء التي قالت لها:- وأنا ياعلياء هل أهون عليك فتتركيني لوحدتي بعد وفاة والدك.. وهوان وسوء أخلاق رسمية زوجة أخيك.. وقسوة أخيك فخر.

- اعذريني يامامي.. أنت أدرى الناس بسوء حالتي النفسية.. وتعرفين جيداً أن وجودي هنا سوف يزيد من آلامي.. ولن ينسيني أبدا ما حدث لي وذكرياتي مع كريم.. إن سفري إلي بلد آخر وأماكن أخري سوف يخفف محنتي ياأمي.. إنني أريد أن أذهب إلي بلد آخر كي أستنشق هواء آخر غير هذا الهواء الذي يكاد يخنقني.. الهواء الذي أستنشقه هنا يامامي أصبح يدمي قلبي ويكاد يخنقني.. أنا في حاجة الي التغيير.. تغيير كل شيء كي أنسي محنتي مع كريم.. وأنسي وفاة بابا فقد كان سنداً كبيراً بالنسبة لي في هذه الدنيا.. كان الوالد والصديق والحبيب.. وكنت سأجد منه العون والبديل لغدر كريم.. اعذريني اعذريني يامامي.. ولا تظني أنه من السهل عليّ أن أتركك وحيدة هنا... ولكن كل ذلك خارج عن إرادتي... فأنا أريد أن أنسي.. أنسي محنتي.. وغدر الأيام..

تنهمر الدموع من عيني الأم وهي تستمع إلي ابنتها وتلاحظ أن دمعة قد سقطت بلا وعي من عين علياء.. فتمد يدها كي تتلقاها بأصبعها قبل أن تسقط من عينيها.. ثم تضم ابنتها إلي صدرها بقوة وتجهش بالبكاء.. وتقول لها:

- طالما أن سفرك فيه سعادتك ومصلحتك.. فأنا موافقة ياابنتي.. وربنا معك يرعاك..

- متشكرة ياأعز أم في الدنيا.. أنا أعلم أنك لست وحيدة هنا.. معك تانت الفت وكل أقر بائنا هنا يزورونك ويحبونك.. ومين عارف يامامي يمكن الأمور لا تعجبني هناك.. وتوحشيني فأعود إليك فوراً.. ولكن كل ما أريده منك دعواتك.. دعواتك ياست الحبايب حتي تكون السند القوي لي في غربتي وتحميني من غدر الأيام وأنجح في دراستي.

حزنت نسرين كثيرا عندما علمت بخبر سفر علياء إلي أمريكا وأسرعت إليها لزيارتها.. وقالت لها والدمع ينهمر من عينيها:

- تعلمين ياعلياء أنك كنت لي هنا نعم الأخت والصديقة.. وأنني أمر بظروف مماثلة لظروفك.. وكنت ألجأ اليك كي أشكو لك من

آلامي وما أعانيه من شجون وأحزان.. كنت ألجأ إليك دائما وأرتاح عندما أفضي إليك بما يجيش به صدري.

- أنا آسفة يانسرين.. أنت أيضا تعلمين ظروفي... وتعلمين أن السفر والبعد عن هنا فيه راحتي.. وتعلمين مدي حبي لك ولكن للضرورة أحكام.. فرغم حزني الشديد لفراقك وبعدي عنكم جميعا خصوصا مامي.. فأنا لا أجد أمامي حلا لمشكلتي وما أعانيه من آلام نفسية.. وصدمتي الكبيرة في كريم.. وكذلك وفاة بابا... إلا سفري وبعدي عن هذا الجو الذي يذكرني بكل ما يثير آلامي وحزني وشجوني.. ولكن عزائى يانسرين أننا سوف نظل علي اتصال ببعض بصفة مستمرة.. بالخطابات.. بالمكالمات التليفونية حتي نعرف أخبار بعض أولا بأول.

- إن شاء الله ياعلياء..

قالت لها نسرين ذلك والدموع تنهمر من عينيها كالسيل الغزير.. ثم تحتضن كل منهما الأخري.

وسافرت علياء إلي أمريكا للحصول علي الدكتوراه .. من جامعة كورنيل.

***

ومن جهة أخري.. ظل سامح يشعر بالوحدة.. بالوحشة.. بالضياع.. بالغربة تكاد تلتهمه.. تغوص به في بئر ليس لها قرار.. ظل.. في عذاب دائم.. يلوم نفسه باستمرار علي أيامه التي ضاعت منه في القاهرة.. إذ كان من الممكن أن يعيش مع نسرين قصة حب جميلة لتنتهي نهاية سعيدة... لو أنه تنازل عن بعض كبريائه وصارحها بحبه..

وظل هكذا في لوعة.. في شوق.. في عذاب... وخيال نسرين وذكرياته معها لا تفارقه لحظة واحدة..

و.. ظل في سهاد دائم.. في أرق لا يذيقه طعم النوم.. أرق كان يرغمه علي عدم العودة إلي المنزل إلا مع بزوغ فجر اليوم التالي حتي يستطيع أن ينام بعد أن يكون قد أنهكه الإرهاق والتفكير..

كان يقضي لياليه مع فتياته اللاتي يختارهن بدقة.. ومع ذلك فقد كان دائما حاد المزاج معهن.. ولا يعاملهن معاملة كريمة.. أو يبادلهن الاحترام.. كما تعود من قبل في معاملة فتياته بمصر .

وفي إحدي الليالي ضاقت نفسه بعلب الليل التي كان يرتادها فاقترحت عليه فتاته أن يقضيا الليلة معا في شقته، فوافق لعل التغيير يفيده..

جلس معها شارد الذهن.. مهموم البال.. أخذت فتاته تعد له الشراب وتقدمه.. كان يشرب بدون وعي.. كما تعود كل ليلة.. لعله ينسي همومه..

جلس في طرف مقعد وثير وفي إحدي يديه كوب الويسكي.. وفي يده الأخري سيجارته.. واسترخت الفتاة علي نفس المقعد.. وقد ألقت برأسها علي رجليه وكأنها وسادة.. أخذت تداعبه وتسري عنه.. ولكنه كان منصرفا عنها تماما.. مكتفيا بالعبث في شعرها.. وأصابعه تتخلل خصلاته الطويلة المسترسلة من فروة رأسها لتتبعثر علي فخذيه .

أخذ ينفث دخان سيجارته في الهواء.. يتصاعد إلي أعلي في شبه حلقات حلزونية.. تجسمت أمامه صورة نسرين.. خصوصا أن الموسيقي التي تتصاعد من الكاسيت والتي حرص علي سماعها كانت موسيقي نسرين المفضلة .. كان شريط (دمي ودموعي

وإبتساماتى) ، وشريط « إمتي حتعرف إمتى » لأسمهان وغيرها وقد حرص علي شرائها واقتنائها ضمن أشرطته المفضلة بمجرد وصوله إلي سويسرا.

ظلت صورة نسرين تتجسم أمامه.. ومع ازدياد مفعول الشراب.. يزداد تخيله لها ويتوهم أن من تلقي برأسها علي فخذيه هي نسرين.. وأن الشعر الذي يداعبه هو شعر نسرين.. كما أخذ صوت نسرين يرن في أذنه وكأنه الموسيقي التي تصدح من حوله.. ظل علي هذه الحالة ساعات طويلة من الليل... وفتاته التي تجالسه صامتة عاجزة عن أن تعيده إليها..

وبينما هو علي هذه الحالة.. وبنظرة فاحصة لفتاته التي تجالسه تنبه فجأة.. أنها ليست نسرين.. أفاق علي واقعه الأليم .. أن بينه وبين نسرين آلاف الأميال.. لم يستطع السيطرة علي مشاعره.. رفع رأسها بعنف وألقي به بعيدا عنه.. وكأنه قد ضاق بها.. وبمجالستها.. وهو ينظر إليها قائلا بعصبية :

- أرجوك أن تتركيني الآن.. إني متعب وأفضل أن أكون وحيدا..

وترد الفتاة عليه بلغتها الألمانية وهي غاضبة من تصرفاته:

- ماذا بك؟ ماذا جري لك؟.. وهل أنا فرضت عليك نفسي؟ إني ذاهبة.

وتخرج الفتاة غاضبة.. وتغلق الباب خلفها بعنف من شدة غيظها..

أما هو فيظل في حالة نفسية يرثى لها.. ويعود للجلوس في مقعده ويسقط رأسه بين كفيه.. بعد أن اتكأ بذراعيه علي ركبتيه.. وقد أحكم قبضته علي رأسه ليريحه من صداع مميت ألم به.. وظل جالسا وحيدا مهموما... لا يوجد معه إلا خيال نسرين.. وشريط ذكرياته الأليمة معها.

ظل يستعرض مواقفه السخيفة معها.. تذكر عندما كانت تتحدث في التليفون في إحدي المرات.. وقد قال لها بطريقة غير مهذبة:

- أرجوك أن تنهي المكالمة بسرعة.. لأنني في انتظار تليفون مهم..

قال لها ذلك وكأنه يأمرها بأن تترك التليفون فورا.. ودون أن تكمل حديثها .. وفعلا.. تضطر نسرين وهي في ضيق شديد من هذه التصرفات التي لا تخلو من الإهانة لها.. أن تنهي المكالمة قبل أن تكمل حديثها مع صديقتها..

وغير هذه المواقف وهذه الذكريات كثير.. كل هذا أخذ سامح يستعرضه مما زاد من آلامه.. وصمم سامح في نفس الليلة علي أن يضع حدا لكل متاعبه.. أن ينقذ نفسه من هذا الضياع..

فكر طويلا... وانتهي به الأمر الي أن يرسل لها خطابا عاجلا.. يشرح لها فيه مشاعره بكل أمانة.. ويعتذر لها عن كل مابدر منه تجاهها.. ويعترف لها صراحة أنه يحبها حبا جنونيا.. وأنه لا حياة له بدونها..

ويهم سامح مسرعا ليحضر الورق والقلم.. ويستغرق في تفكير طويل.. كيف يبدأ خطابه؟.. وماذا يقول لها..؟

هل يبدأ بالاعتذار..؟ ... أم يصب مشاعره وحبه الجنوني لها مرة واحدة...؟

وفجأة ينزل عليه الوحي.. ويبدأ خطابه قائلا:

نسرين.. حبيبتي:

إنني أكتب لك هذا الخطاب يانسرين.. وأنا لا أعرف كيف أبدا حديثي معك.. ربما تندهشين حتي لمجرد أن تجدي أن هذا الخطاب مرسل من سامح.. مرسل مني أنا يانسرين.. ولكن أرجوك لا تتعجبي.. ولا تتعجلي الحكم عليّ.. انتظري حتي تقرئيه للنهاية.. أرجو ألا تضيقي بما ورد به.. أرجو أن تصدقيني.. أن تصدقي كل كلمة اكتبها لك.. إني صادق يانسرين مع نفسي.. صادق في كل كلمة أكتبها في هذا الخطاب.. صدقيني.. كلها حقيقة.. حقيقية نابعة من قلبي.. من أعماقي.. ليس فيها زيف ولاهراء..

حبيبتي:

إنني أعترف لك ولأول مرة انني أحبك.. أحبك بجنون.. لقد فكرت طويلا يانسرين قبل أن أكتب لك هذا الخطاب.. ولكن حبك الذي يعربد في كياني ويئن بين ضلوعي.. أخذ يصرخ في أعماقي : لماذا لا تكتب لها.. وتصارحها بحبك؟؟ لماذا؟؟ لماذا..؟؟.. وتضع حدا لعذابك هذا؟!

وأخيرا.. استجبت لنداء حبك وقررت أن أكتب لك.. أن أصب كل مشاعري في هذا الخطاب.. أكتب لك وأستجيب لنداء قلبي العاشق الولهان.. أكتب لك عن حبي الكبير الذي كتمته عنك شهورًا طويلة قبل سفري..

إن حبك يانسرين حمم ملتهبة.. بركان ثائر.. فراقك نار وسعير.. عبثا حاولت أن أخفي شوقي وحنيني إليك.. لقد غمرني طوفان الحب.. جرفني بتياره..

آه يانسرين...

إنني أشعر وكأن ثلوج أوربا كلها تحيط بي الآن من كل جانب في الليالي الكئيبة التي أعيشها هنا نتيجة إحساسي بالبعد عنك.. لم تستطع جميع وسائل التدفئة الموجودة هنا بالمنزل وفي كل مكان أذهب إليه.. أن تبعث الدفء إلي نفسي الموحشة.. جميع حسناوات سويسرا فشلن في تذويب هذه الثلوج المتراكمة من حولي.. فشلن في أن يبعثن الدفء والسكينة إلي نفسي الضالة وسط هذا الجو البارد الذي أعيشه..

نسرين..

تعالي.. تعالي يانسرين... تعالي إليّ استمد الدفء من لفحات أنفاسك العاطرة.. من صدرك الحنون.. من كبريائك.. من علياء نفسك.. ودماثة خلقك..

لقد منعني كبريائى الزائف أن أعترف لك بحبي وصدق مشاعري نحوك.. لقد تأكد لي الآن بعد المدة الطويلة التي قضيتها بعيدا عنك.. إنه لا كبرياء في الحب يانسرين.. إنني أحبك بجنون.. آه يانسرين لو تعرفين مدي حبي لك؟.

إنك معي هنا في كل مكان.. معي بروحك.. بخيالك.. برقتك..

نبرات صوتك الطروب تجلجل في أعماقي الخاوية لحنا جميلا.. وكأنها سيمفونية وضعها موسيقار موهوب ..

بريق عينيك يشع في نفسي الحائرة الحزينة.. النور والضياء..

حبيبتي نسرين:

إنني ألعن كبريائى هذا الذي منعني من أن أصارحك بحبي قبل سفري.. ألعنه وأمقته الآن.. لأنه هو الذي وضعني في مثل هذا الموقف.. جعلني أكتوي بنار حبك وبعدك عني.. جعلني أشعر بهذه الوحدة القاتلة.

وفجأة وأثناء كتابة سامح لهذا الخطاب.. يتوقف القلم في يده.. ويستغرق في تفكير عميق.. وقد سرح بذهنه بعيدا.. ثم يعود لنفسه ويقول:

- وماجدوي هذه الكلمات؟

ربما لشدة حقدها عليّ .. بسبب مابدر مني تجاهها.. وتجاهلي إياها وعدم احترامي لها في مواقف كثيرة مما زاد من كراهيتها لي.. وأيضا بسبب علاقاتي النسائية التي كانت تفهمها جيدا.. وكثرة صديقاتي اللاتي كانت تراهن معي دائما وفي كل مكان..

ربما كل ذلك يدفعها إلي تمزيق هذا الخطاب وإلقائه في سلة المهملات مهما يكن به من صدق مشاعري.. وكأن شيئا لم يكن.. أو كأني لم أكتب لها شيئا..

إنني لست متأكدا من أنها ستتجاوب معي.. لتاريخي الحافل معها... وأنها بعد ذلك كله بشخصيتها العنيدة وكبريائها المعروف ستتنسي لمجرد خطاب يصلها مني.. بل ولربما تشك في صدق نواياي لكثرة ما لاقت مني.. فتهمل الخطاب .. وربما تجدها فرصة لتنتقم مني كي تسترد كرامتها بعد أن تكررت إهانتي ... كل ذلك أضاع النوم من عينيه.. وبات ليلته مع هواجسه وأحلامه المزعجة.. تارة يخيل إليه أنها سترفضه بشمم وكبرياء.. ولن يستطيع أحد أن يثنيها عن رفضها.. خصوصا وهو يعرف عنها تشبثها برأيها واعتدادها بكلمتها..

وتارة يتذكر بعض المواقف الحساسة التي كانت تحدث بينه وبينها قبل سفره.. خصوصا بعد صدور قرار نقله وعودتها إلي منزلهم.. وأيضا بعض اللمسات الرقيقة التي كان يحسها منها تجاهه.. وما كان يحدث لها من ارتباك عندما كانت تتلاقي نظراتهما مصادفة.. والغيرة التي كان يلمسها منها والتي عبثا حاولت أن تخفيها عندما كانت تطلبه إحدي صديقاته..

كل ذلك أعطاه الأمل.. شعر أنه من الممكن أن يجد في قلبها مكانا له.. ويستغرق سامح في تفكيره.. وفجأة يعود ثانيا ليقول لنفسه:

- ولكن ماسر محمود هذا؟

إنه دائم السؤال عنها.. وكثير الخروج معها.. لدرجة أنني كدت أظلب منها قبل سفري إلي هنا.. أن تقطع صلتها به.. ولكني راجعت نفسي.. وقلت:

- مالك أنت؟!

ولولا ثقتي في أخلاقها لفعلت ذلك.. خصوصا أنني أعرف أن طموحها أكبر من أن تفكر في شخص مثل محمود بشهادته المتوسطة وإمكانياته المتواضعة ثم يعود ثانيا... ويقول لنفسه :

– ولكن.. صلته بها في الأيام الأخيرة زادت عن الحد.. فما سر ذلك؟

وأخذت الغيرة تأكله وتضيف إلي أوهامه أوهاما.. لم تغمض له عين..

قرر أن يضع حدا لعذابه هذا خصوصا أن وحدته تضخم الأمور أمامه.. وقال لنفسه أنه من الأفضل في هذه الظروف.. أن أسافر إلي القاهرة وأشرح لها حقيقة مشاعري.. وأعرف ردها في الحال. وأتزوجها وأعود بها معي إلي هنا.. حتي إذا كان لديها أي مانع أو عندها اعتراض علي فيمكن لوالدتي.. وهي التي تشجع هذا الزواج من كل قلبها.. أن تساعدني وتتوسل إليها كي توافق.. خصوصا أن نسرين تحب عمتها ولا تؤخر لها طلبا.. كما أن والدها.. (خالي فتحي).. ممكن أن يتدخل ويقنع ابنته بالزواج مني.. إنني واثق من أنه سوف يرحب بهذا الزواج..

هذا هو الحل الوحيد.. كي أضع حدا لعذابي هذا.. وآلامي.. ووحدتي هنا.. الحل الوحيد لإيجاد نهاية سعيدة لحبي..

وبعد أن توصل سامح بينه وبين نفسه إلي هذا الحل.. مد يده.. وتناول الخطاب الذي كان يكتبه.. ثم.. ثم مزقه وألقى به في سلة المهملات.. وقد عقد العزم علي أن يسافر إلي القاهرة.. وفورا .

وفي الصباح الباكر.. ذهب إلي مكتبه وحصل علي أجازة من عمله.

***

علي اول طائره .. كان سامح في القاهرة

فوجئت العائلة كلها بعودته دون سابق انذار .. أو تلغراف حتي يستقبلوه في المطار.. لم يكن أحد يعلم شيئا عن سبب وصوله المفاجئ .. عما هو عازم عليه.. ولم يخطر ببال أحد أنه أصبح مجنونا بحب نسرين..

وعند دخوله باب الفيلا.. فوجئ بمحمود جالسا في صالون مدخل الفيلا في انتظار نسرين.. صافحه ببرود أكثر من المعتاد وهو ينظر إليه نظرات كلها حقد وغيظ.. لدرجة أن محمود نفسه شعر بحدة هذه النظرات وتساءل بينه وبين نفسه عن مغزي هذه النظرات الحاقدة.. وعما تحمل من معني!! ولكنه لم يستطع أن يجيب نفسه علي هذا التساؤل؟

واستقبلت ألفت هانم ابنها بالقبلات والأحضان.. قائلة:

- غير معقول ياسامح.. أنا لا أصدق نفسي أنك الآن بيننا.. وحشتني.. وحشتني جدا جدا... يالها من مفاجأة ياسامح.. إنها مفاجأة رائعة... كيف حالك ياحبيبي؟

ويرد سامح وهو مازال في أحضان والدته:

- بخير ياماما..

- إنك تبدو شاحبا نحيفا بعض الشيء.. أرجو أن تكون صحتك علي ما يرام.. لابد أنك افتقدت أطباق والدتك الشهية التي تفضلها؟

ثم تستطرد الأم قائلة ولكن.. طمئنّي .. ما سبب عودتك المفاجئة؟.. ولماذا لا ترسل لنا حتي نستقبلك في المطار؟

ويرد سامح علي والدته.. وعيناه تتجولان في أرجاء المكان.. باحثا عن نسرين..

- فعلا يامامي.. فعلا .. ظروف.. وحشتيني قوي... ووحشتني أكلاتك الشهية.. لذلك فقد فكرت فجأة أن أحضر كي أراكم وأسعد بكم وأقضي بينكم عدة أيام ثم أعود ثانيا..

وترد الأم في لهفة للقاء ابنها الوحيد:

- ياحبيبي.. أهلا.. أهلا...

واستمرت عينا سامح تجولان في المكان باحثتين عن نسرين.. ثم تساءل.. ولكن.. أين رانيا.. وقبل أن يكمل كلامه وجد رانيا تقفز علي كتفيه وهي تهلل من شدة فرحها.. وتمطره بالقبلات والأحضان..

يالها من مفاجأة مدهشة.. كدت لا أصدق عيني.. وحشتنا.. وحشتنا جدا يا (أبيه):

ويرد سامح علي شقيقته وهو يبادلها القبلات :

- فعلا يارانيا.. وحشتوني جدا.. ومن أجل ذلك عدت ولم أستطع أن أظل بعيدا عنكم أكثر من ذلك..

ثم تسأل رانيا شقيقها بمرحها المعروف:

- وكيف حال فتيات جنيف يا (أبيه) .. هل هن جميلات مثل المصريات؟ أعتقد أنه لا يوجد بالدنيا كلها مثل جمال وخفة دم المصريات..؟

- فعلا يارانيا.. أنت علي حق.. لا يوجد مثل جمال وخفة دم المصريات... هذه حقيقة لامزاح فيها.. صدقيني..

يجيب سامح علي شقيقته.. ومازالت عيناه تجولان في أرجاء المنزل بحثا عن نسرين ثم يقول:

- وأين نسرين..؟

- في حجرتها..

وسمعت نسرين الهرج والمرج الذي حدث من الأسرة لمجرد وصول سامح.. وسمعت صوت سامح يدوي في الخارج وهي في حجرتها ترتدي ملابسها تمهيدا لخروجها مع محمود.. لم تصدق نفسها.. خرجت لتتأكد بنفسها..

صافحها سامح بحرارة غير معهودة.. لدرجة أنها لم تصدق أن الذي يصافحها الآن بهذا الأسلوب وبهذه اللهفة والشوق.. هو سامح..

قالت وهي في غاية الدهشة:

- لقد تغيرت كثيرا ياسامح!!

قالت له ذلك وهي تعني ما تقوله..

وكان رده عليها:

- عزيزتي.. الغربة والوحدة.. الاثنتان معا كفيلتان بأن تغير أى أنسان مهما كان..

- علي أي حال شيء جميل أن تصنعا منك إنسانا آخر.. غير الذي تعودت عليه.. وعرفته من قبل..

- صدقيني.. هذا ما حدث بالفعل..

ولم تفهم نسرين ماذا يعني سامح بكلماته هذه رغم أن هذه الكلمات كانت مفعمة بالحنان والعاطفة.. ورغم أنها حركت في أعماقها عاطفتها نحوه.. العاطفة التي طالما أخفتها في قلبها.. ولم تجعلها تتسرب إلي أى إنسان في الوجود.. حتي هو نفسه (سامح) لا يعرف شيئا عنها.. كانت كرامتها وكبرياؤها تأبيان أن تبوح له بحبها.. كانت حريصة كل الحرص علي أن تقوم بأى تصرف يفضح حبها له.. حبها له الذي دفعها إلي قمة اليأس بعد سفره مما جعلها تندفع بكل قواها نحو محمود وتوافق علي الزواج منه بدون أدني تفكير..

وتستأذن نسرين.. ويهم محمود ليخرجا معا..

في هذه اللحظة.. جن جنون سامح..

قال لهما:

- إلي أين؟

- سيذهب محمود معي إلي مكان ما.. طلبت منه أن يرافقني إليه.

- وهل ضروري...ضروري الآن؟

وترد نسرين وهي علي الباب الخارجي ومن خلفها محمود بكلمة واحدة.. مقتضبة والضيق من ابن عمتها يملأ نفسها:

- نعم ..

وجد سامح نفسه في ذهول.. لم يصدق نفسه.. (بل أخذ يكلم نفسه.. كيف يصل بها الحال إلي هذه الدرجة).. وكيف وصلت علاقتها بمحمود إلي هذا الحد..إنها تطلب منه أن يوصلها إلي مكان معين.. وحتي لم تذكر هذا المكان..

وغلي الدم في عروقه.. واهتز كيانه.. وأخذ يفكر فيما يمكن أن يفعله وبسرعة..

طلبت منه والدته أن يخلع ملابسه كي يأخذ حمامه الساخن.. ليفيق ويستريح من السفر وحتي يمكنه تناول الطعام..

وتقدم له الشغالة كوبا من العصير.. ولكنه لا يسمع شيئا ولا يري أحدا.. لابد أن يتحرك.. وبسرعة..

سأل والدته عن مفتاح السيارة فأعطته إياه..

خرج مسرعا وهو يقفز من فوق درجات السلم مندفعا نحو سيارتهم التي تقف أمام باب الفيلا..

ويلمح نسرين علي بعد وبجانبها محمود..

انطلق بالسيارة الي أن لحق بهما..وقف بسيارته بجانبهما..

وتفاجأ نسرين به وقد فتح باب السيارة ووقف بجانبها قائلا:

- نسرين.. اركبي كي أوصلك أنت ومحمود...

- متشكرة جدا ياسامح.. لا داعي لتعطيلك وتعبك وأنت عائد لتوك من السفر.. تستطيع أن تذهب إلي المكان الذي أنت ذاهب إليه.. محطة الأتوبيس قريبة..

فيرد عليها وهو يكظم غيظه :

- لن يكلفني توصيلكما شيئا.. هذا واجب..

- إن المكان الذي سنذهب إليه يبعد كثيرا عن هنا ويستحسن أن نصله بالأتوبيس..

- فيزداد دم سامح غليانا.. ويقول لها بصوت مرتفع وبحدة كلها عصبية:

- اركبي أنا قلت لك..

وتتنبه نسرين إلي لهجة سامح الآمرة وصوته المرتفع في عصبية... فتشعر أن في الأمر شيئا.. فتتطلع إلي وجهه لتجده في حالة ثورة عارمة.. وأنه في حالة غير طبيعية..

تشعر نسرين بالخوف منه.. وتستسلم.. وتركب السيارة بجانبه.. وتطلب من محمود أن يركب معهما.. في المقعد الخلفي للسيارة..

وفي هدوء مصطنع يعيد سامح السؤال:

- إلي أين؟

وترد نسرين بصراحتها المعهودة.. فهي لم تتعود الكذب..

- إلي الميريلاند بمصر الجديدة..

فيتظاهر سامح - وهو يكاد لا يصدق نفسه - بأنه لم يسمع ماذا تقول.. فيعيد السؤال ثانية :

- إلي أين؟!!

- إلي الميريلاند ...

ويجيب سامح متهكما:

- إلي الميريلاند..؟... وماذا ستفعلين في الميريلاند مع محمود؟؟!!

- شعرت ببعض الضيق والملل فطلبت منه أن يأتي ويصحبني للنزهة في أي مكان..

- طلبت من محمود؟؟... تطلبين من محمود أن يصطحبك للنزهة؟..

ولماذا محمود بالذات؟.. لماذا لم تطلبي من رانيا... أو من عمتك وهما لا تتأخران عنك في شيء.. أو حتي من إحدي صديقاتك؟؟

لماذا محمود بالذات؟..

وتجد نسرين نفسها في مأزق.. خصوصا وقد وجدت ابن عمتها في ثورة عارمة.. والدم يغلي في شرايينه.. رأت أنها لابد أن تتكلم.. وجدت نفسها ولأول مرة تصرح بما يعتمل في نفسها.. تبوح بآلامها والسبب الذي دفعها إلي طريق محمود.. قالت وهي تلقي عليه اللوم:

- لماذا..؟؟ لماذا محمود بالذات..؟؟ ألا تعرف لماذا؟؟ لأنه الإنسان الوحيد الذي تعودت علي أن ألجأ إليه عند الضيق... لأنه الإنسان الوحيد الذي كنت أجد منه العون والمساعدة كلما احتجت إلي المساعدة منذ أن وطئت قدماي أرض القاهرة.. لأنه الإنسان الوحيد الذي شعرت بأنه قريب مني عندما أجد نفسي وحيدة.. غريبة بين أهلي.. لأنني وجدته أقرب إليّ من أقاربي.. لأنني..

وقبل أن تكمل نسرين كلماتها... فوجئت بسامح ويده تهوي علي وجنتها لتصفعها بقوة ...

وجد سامح نفسه في حالة غير طبيعية.. عندما سمع كلمات نسرين عن محمود.. لم تحتمل أعصابه وكرامته أن يتركها لتكمل كلامها..

وجد نفسه لا شعوريا يرفع يده ليصفعها علي وجنتها بكل ما يملك من قوة من شدة غيظه.. وقد اختل توازنه.. فضغطت قدمه بقوة علي البنزين فاندفعت السيارة الي الأمام بقوة.. تدارك نفسه مسرعا.. ضغط علي الفرامل وبحركة بهلوانية أدارت يده عجلة القيادة ليحول خط سير السيارة.. فتفادي بأعجوبة اصطدامه بالسيارة التي أمامه.. ولولا تداركه ما حدث بسرعة.. لوقع لهم حادث تصادم رهيب كان من الممكن أن يقضي عليهم ويودي بحياتهم جميعا..

وجدت نسرين نفسها في وجوم تام.. لم تستطع أن تفسر ما يحدث.. لم تجد أي مبرر أمامها لما يفعله سامح.

وضعت يدها علي وجنتها من شدة الألم.. وهي في ذهول من هول ما حدث.. لم تصدق نفسها...

أكيد سامح قد حصل لعقله شيء ما.. إنه غير طبيعي.. أكيد اتجنن.

ويخرج سامح من لحظة صمت رهيبة شملت ثلاثتهم.. خصوصا بعد أن تفادي التصادم.. ليتمتم وهو مازال في عصبيته التي تصاعد معها الدم إلي رأسه:

- ياخسارة.. انهار كل شيء في لحظة.. ضاع أملي فيك... ثم يقول لها:

- وأنا اللي كنت فاكر إنك ملاك؟؟ فاكر إنك إنسانة صاحبة مبادئ ومثل.. كنت فاهم إنه لا توجد فتاة من بنات جنسك بمثل أخلاقك..

ثم يرد بصوت خافت لا يكاد يسمع:

- ياخسارة.. انهار كل شيء في لحظة.. ضاع الأمل الحلو.. اختفت الصورة الجميلة.. تحطم التمثال الذي ركعت له في محراب حبي...

ثم يصمت سامح والألم يعتصر قلبه.. وهو يقود سيارته لا شعوريا.. بلا وعي ولا إدراك.. يسير بها في الشوارع دون أن يعرف لنفسه وجهة يتجه اليها.

وهنا يجد محمود أنه لابد أن يتكلم أن يخرج من صمته ليرد علي سامح ويدافع عن نسرين... خصوصا أنه وجدها في حالة سيئة لا

تسمح لها بأن ترد أو تدافع عن نفسها وعن شرفها وكرامتها التي أهانها ابن عمتها.

- نسرين فعلا يا أستاذ سامح لا يوجد فتاة من بنات جنسها بمثل أخلاقها ، وأقسم لك أنها لم تتخل عن أخلاقها ومبادئها في يوم من الأيام.. وأن علاقتي بها لم تشبها أية شائبة.. ولم تتعد الاحترام والفهم المتبادل..

أقسم لك أنها أشرف بنات جنسها.. إنها كالماس كل مابها ثمين مرتفع القيمة.. ولا يمكن أن يخدشه شيء..

ويتابع محمود كلامه.. لقد اتفقنا مؤخرا علي الزواج.. علي أن نعلن خطبتنا قريبا ونظل مخطوبين إلي أن أكمل دراستي الجامعية بعد أن انتسبت إلي كلية التجارة وأنا الآن في السنة الثانية بالكلية.. ورغم ذلك.. أقسم لك أنني أكن لها كل احترام ولم أتصرف معها أي تصرف شائن.. أو أمسها بشيء.. لأن نسرين ليست الفتاة التي تعطي أي فرصة لأحد مهما كان بأن يتصرف معها أي تصرف غير لائق.. وأنا أقدر كل ذلك من ناحيتي..

ويغير سامح وجهة السيارة عائدا إلي المنزل.. وفي الطريق.. يقف بالسيارة جانبا ويلتفت الي محمود قائلا:

- شكرا يا أستاذ محمود... أظن أن مهمتك قد انتهت إلي هنا... وأرجو أن تفهمني جيدا.. وتفهم ما أعنيه.. لقد انتهزت شعورها بالوحدة هنا وحاجتها إلي من يهون عليها هذه الوحدة ويقف بجانبها عندما تحتاج إلي العون...

ويفتح محمود باب السيارة ويخرج منها.. ثم يغلق الباب من خلفه.. دون أن يعلق علي كلام سامح بكلمة واحدة..

***

استأنف سامح السير بالسيارة الي المنزل.. ظل صامتا لا يتكلم.. ونسرين لم تفق بعد.. مازالت لا تصدق نفسها.. لا تعي ماحدث جيدا، لم تفهم شيئا يبرر لها ما يفعله سامح..

لقد تطور كل شيء بسرعة دون أن تري سببا لما يحدث خصوصا أنها لا تعرف شيئا عن سبب عودة سامح من سويسرا.. وعن صدق مشاعره نحوها..

خيم الوجوم عليهما.. لم يخاطب أحدهما الآخر بكلمة واحدة إلي أن وصلا الي المنزل..

وقف سامح بالسيارة أمام الفيلا.. ولكن نسرين لم تحرك ساكنا.. مازالت في غفوة لم تفق بعد..

مازالت تفكر.. كيف؟... ولماذا حدث كل ذلك؟!

نزل سامح من السّيارة واتجه نحو الباب الثاني الذي يقع بجانب نسرين ثم فتحه وهويقول لها بتهكم:

- تفضلي ياهانم...

خرجت نسرين من السيارة... واتجهت مباشرة إلي حجرتها... وارتمت علي سريرها...

أما سامح فقد عاد ليجد والده في انتظاره بعد عودته من عمله ومعرفته نبأ وصوله...

هلل صلاح (بك) لابنه.. صافحه بحرارة.. ضمه إلي صدره وهو يقبله قائلا:

- أهلا.. أهلا.. سامح... وحشتنا ياراجل.. إيه المفاجأة الجميلة دي ؟ .. أرجو أن تكون سعيدا وموفقا في عملك في جنيف..؟.. وتكون سويسرا علي هواك؟

- الحمد لله يابابا.. كل شيء علي ما يرام.. لم ينقصني هناك أي شيء إلا بعدي عنكم..

ثم تأتي رانيا لتخبره بأن الطعام جاهز.. فيقوم سامح ويذهب إلي حجرة المائدة ويتناول قليلا من الطعام.. وقد افتقد شهيته المعهودة عندما يجد أمامه أطباقه المفضلة التي تعدها له والدته..

ويشعر سامح بالارتياح عندما يجد أن أحدا بالمنزل لم يلاحظ عليه الضيق والارتباك بعدما حدث له مع نسرين.. كمالم يلاحظ أحد ماينتاب نسرين.. ولم يلاحظوا أيضا أنها معتكفة في حجرتها ولم تخرج منها حتي لتناول طعام العشاء..

لقد انشغلوا عنها بالترحيب بسامح.. كما شغلتهم فرحتهم بقدومه عن ملاحظة أي شيء مما حدث بين سامح ونسرين..

***

وباتت نسرين ليلتها في قلق وحيرة بالغة.. كانت امتدادا للياليها السابقة.. لم تذق طعم النوم.. وقد زادت حيرتها حيرة.. أصبحت لا تفهم شيئا، أصبح ابن عمتها لغزا كبيرا أمامها...

علامة استفهام؟.. لا تستطيع فهمه كما أنها لم تستطع أن تجد تفسيرا لتصرفاته هذه معها... وإهانته لمحمود دون مبرر تراه..

وزاد من قلقها وأرقها أن سامح اعتقد أنها علي علاقة غير شريفة بمحمود وأنه أساء فهم علاقتها به..

إن ماضي سامح وعلاقاته النسائية صورت له أن كل فتاة تخرج مع شاب لابد أن تكون بينهما علاقة غير شريقة.. ولابد أن تصل هذه العلاقة إلي نهايتها.. إلي ما يمكن أن يكون بين الرجل والمرأة.. ممازاد من آلامها وضيقها.. وظلت هكذا حتي الصباح.. لم تذق طعم النوم..

***

وسامح أيضا ظل هو بدوره ساهرا.. لم يذق طعم النوم.. ظل مع هواجسه وتهيؤاته.. سرح بتفكيره حول الحد الذي يمكن أن تصل إليه علاقة محمود بنسرين.. إلا أنه كان يعود ثانية إلي رشده قائلا بعصبية : لا.. لا.. ليست نسرين.. ليست نسرين التي تتصرف مثل هذه التصرفات الشائنة.. إنني أعرفها جيدا..

وكان سامح يميل إلي أن يصدق الاحتمال الأخير.. وهو أنه لا يمكن لنسرين أن تتصرف مثل هذه التصرفات.. لأنه يعرف جيدا متانة أخلاقها التي لا يمكن أن تحيد عنها قائلا لنفسه:

- إنني مازلت عند ثقتي وحسن ظني بها.. أنها ليست مثل كل الفتيات.. وبات سامح ليلته مع الأرق محاولا إقناع نفسه أن نسرين لا يمكن أن تتصرف تصرفا شائنا يغضب الله.. ويسيء إلي سمعتها..

***

أما محمود فقد سار شاردا مهموما.. لا يدري أين يتوجه.. وقد ضاع الخطو من قدميه..

أخذ يكلم نفسه بصوت شبه مسموع وهو لا يكاد يصدق ماحدث :

لقد اختطف سامح منه نسرين في غمضة عين.. اختطفها منه وهو في قمة سعادته... قمة حبه.. اختطفها منه وهي بين يديه..

صحيح أن محمود كان لا يعرف علي وجه الدقة ما إذا كانت نسرين تبادله نفس الحب وبنفس الدرجة.. أم لا...!

إن كل ما يعرفه أنها وافقت علي زواجة منها.. وهذا في حد ذاته يكفيه ولكنه الآن أفاق فجأة.. ولأول مرة منذ عرفها.. أفاق عندما صفعها سامح علي وجنتها.. وكأن هذه الصفعة كانت موجهة له هو.. وليست لنسرين .. أيقظته الصفعة.. أعادت اليه واقعه .. وهو.. أن نسرين ليست له.. لقد أكدت له حاسته السادسة.. التي لا تخطئ .. إن سامح لم يفعل ذلك إلا لأنه يحب نسرين.. ولأنه عاد بالفعل ليتزوج ابنة خاله .. وأن ما فعله معها يؤكد له ذلك..

لقد انتزع سامح نسرين منه.. إنها ذهبت معه ولن تعود له لأنه يعرف جيدا أن نسرين تحب ابن عمتها.. ويعرف جيدا ماعانته والصدمة التي انتابتها بعد سفره مما جعلها توافق علي الزواج منه...

واستمر محمود يحدث نفسه وهو ومازال شاردا يهذي بكلمات شبه مسموعة قائلا:

- لكن.. (ليه دائما الإنسان يفكر في اللي ناسيه.. وينسي اللي فاكره؟!).. يعني عنايات جارتي مالها؟؟.. عنايات بنت الأستاذ عبد التواب فتاة طيبة علي قدر من الجمال.. بتحبك يامحمود.. وتتمني أن تكلمها وتحبها زي مابتحبك.. وهي الآن في الثانوية العامة وبتقول أنها حتلتحق بكلية الحقوق عشان والدها الأستاذ عبد التواب عاوزها تطلع محامية لأنه وكيل محامي.. ونفسه يشوفها محامية مثل الأستاذ عبد الله اللي هو بيتشغل معاه..

وظل محمود يردد وهو سائر : مالها عنايات ياواد لما تتجوزها؟.. وبكره تصبح محامية... ونكون معا أسرة سعيدة.. مالها عنايات؟

أنت يامحمود اللي كنت منصرف عنها بحبك لنسرين منذ أن رأيتها وعرفتها.. وهي طول عمرها مافكرت فيك..!

وظل محمود في هذيانه وهو سائر.. يقول ويكرر كلماته مستطردا:

- لكن... ليه دائما الواحد بيفكر في اللي ناسيه.. وينسي اللي فاكره؟!

دا حتي الموسيقار محمد عبد الوهاب.. بيغني وبيقول...

(بفكر في اللي ناسيني... وبنسي اللي فاكرني).. وهي أغنية من أحسن وأجمل أغانيه .. وكمان أنا عمري مافكرت في سعاد بنت خالتي رغم أنها بتحبني قوي.

كلام فارغ وكلام مليان.. أخذ محمود يحدث نفسه به.. وهو يسير.. تارة يصبر نفسه بأماني وأحلام محاولا إقناع نفسه بأنه كان مخطئا عندما فكر في الزواج من نسرين.. وتارة يشعر بالأسي والحزن ويقول لنفسه مواسيا:

- وكمان أنت تعرف يامحمود أن نسرين من عائلة كبيرة قوي في الدقهلية علي الأقل عنايات من نفس بيئتك.. وعائلتها في مستوي عائلتك..؟.. لكن نسرين.. هل أنت متأكد أن والدها وأسرتها سوف يوافقون علي زواجك منها؟.

دا حتي والدي دائما يقول لي ... دون أن يعرف شيئا عن حبي لنسرين وماعزمت عليه من الزواج منها :

يامحمود .. الأستاذ فتحي والد نسرين ده.. ابن ناس ومن عيلة كبيرة قوي.. من عائلة الششتاوي اللي انت عارفها.. العيلة المعروفة قوي عندنا في الدقهلية.. وطول عمره مترعرع علي العز وفي القصر بتاع أبوه.. قصر كله خدم وحشم.. ميغركش مظهره الآن... دا بس أصل الدنيا مالهاش أمان.. لابتخلي الراكب راكب.. ولا الماشي ماشي.. أخوه طلع جبان.. إنسان معندوش ضمير.. غدر بيه ورماه في الشارع بعد وفاة والدتهم.. واستولي علي التركة.. وعلي الجمل بما حمل.. وحرمه من نصيبه هو وأخواته البنات.. لكن البنات لم يضرن لأنهن متزوجات.. جوازات كويسة ترجع لأصلهن..

ويعود محمود ليقول لنفسه.. علشان كده ياواد.. لا يمكن كان والدها.. عمي فتحي.. كان هيوافق علي زواج ابنته إلا من أسرة تناسب أسرتهم.. فهو مازال متمسكا بتقاليد عائلته.. إنه دائما يعتز بعائلته وبأصله.. ولا يعترف بما هو فيه الآن من فاقة.. لأنه يعرف دائما أنه ضحية لجشع أخيه الذي يتمتع دونه بضيعتهم وبقصر العائلة ويحمل اسم أسرتهم..

وأخذ محمود يسير من شارع إلي شارع بلا هدف.. محاولا إقناع نفسه بأنه كان مخطئا عندما فكر في الزواج من نسرين.. وأن عنايات هي أنسب إنسانه له..

وفجأة.. أفاق لنفسه.. ورجع إلي رشده .. وقرر أن يعود إلي منزله كي يستريح وتهدأ أعصابه ..



وعندما وصل إلي باب المنزل الذي يقطن به.. وجد عنايات تطل من شرفة مسكنها..نظر اليها قائلا .. نعم انها هي الوحيده القادرة علي ان تنسيك نسرين

***

في قرية صفصافة ... وفي يوم من أيام الشتاء القارس .. كان صفوت عائدا من المنصورة إلي بلدته في وقت متأخر من الليل وهو ثمل مخمور ... وكان يقود سياته وهو لايعي شيئا .. كان يترنم بكلمات بعض الأغاني .. ويهزي بكلمات غير مهمومة وهو يقود السيارة ... خصوصا بعد أن باع جزءا كبيا من أرض والده دون علمه أو علم إخوته حتي يسدد بعض ديونه ... وفجأة انحرفت منه عجلة القيادة فارتطمت مقدمة يارته بشخص كان يسير علي جانب الطريق ... وفوجئ بسيارة صفوت تدهمه وتلقي به في عرض الطرييق ... وتصادف مرور سيارة أخري شاهدت الحادث منذ انحراف سيارة صفوت ... فطاردوا صفوت وتعرضوا له فأوقفوه ووجدوه مخمورا ولايعي شيئا .. فاقتادوا الي سيارتهم .. وعندما نزل من سيارته أخذ يهزي ويهتز من كثرة ما شرب .. وقال لهم :

– ماذا حدث .. ليه انتم عاملين كده ... خليكوا ذوق وسيبوني أحسن أنا مستعجل وعاوز أنام .

وضعوه في سيارتهم ولم يسمحوا له بمغادرتها خصوصا وأنه لم يقاومهم لأنه مخمورا .

ثم بعد ذلك وبسرعة حملوا الشخص الذي صدمه بسيارته والدماء تنزف منه .. وعادوا بهما الي المنصورة .. ووصلوا إلي أقرب مستشفي بالرجل المصاب فتركوه بها أخذوا صفوت وسلموه للبوليس وهم شهود علي الحادث .

تم التحقيق مع صفوت واحتجز بالقسم ... وقد أثبتوا بالمحضر أنه في حالة سكر بين .

وفي الصباح علم عبد الفتاح الشتاوي والده بالخبر ... قام بتوكيل محام وبالكشف علي الرجل المصاب الذي صدمه بسيارته .. تبين أنه مصاب بكسر في ساقه ويده .. وتهشمت بعض أسنانه .. وتهتك في الطحال ، الزمر الذي استدعي إجراء عملية سريعة له .

وحول الموضوع للنيابة ورفعت قضية ضد صفوت

وعندما عاد حشمت إلي بلدتهم صفصافة.. فوجئ بأخبار غير سارة تزيد من آلامه وشجونه بعد أن فقد الراقصة سموات التي كان يحبها ويلهو معها.. وقد تزوجت شقيقة بهجت وفضلته عليه..

علم من ثناء زوجة شقيقة صفوت أن شقيقة صفوت صدم شخصاً بسيارته وهو مخمور فكسر له ساقه ويده والرجل الآن يرقد بالمستشفي في حالة سيئة.. والنيابة حولت الحادث للقضاء خصوصا وأن صفوت كان يقود سيارته وهو مخمور... الأمر الذي جعل حالة والده تزداد سوءا وصحته في تدهور.. كما أخبرته أن صفوت محجوز علي ذمة القضية.

هلع حشمت لهذه الأخبار.. واتجه مباشرة إلي حجرة النوم حيث يرقد والده.. يقبل يده ويحاول أن يسري عنه... وفي محاولة للتخفيف عن والده.. يخبره بأن شقيقه بهجت نجح وحصل علي ليسانس الحقوق.. إلا أنه تراجع ولم يستطع أن يخبره بزواجه من الراقصة سموات حتي لا يزيد من آلام والده وهو في هذه الحالة..

إلا أن والده سأله :

– ولماذا لم يأت بهجت معك كي يزف لي هذه البشري ويسري عني وأنا في مثل هذه الظروف؟

يصمت حشمت برهة.. ثم يقول لوالده:

– أنا هنا يابابا بدلا من صفوت وبهجت وسأظل بجانبك وسأرعي مصالحك كلما سمحت لي الظروف بأجازات من الجيش.

سعد عبد الفتاح الشتاوي كثيرا بنجاح ابنه بهجت فسوف يصبح له ابن محامي .. وظل يبني آمالاً كبيرة علي ابنه هذا وقال :

– سوف أفتح له مكتب محاماة في المنصوورة علي أعلي مستوي.. وسوف يصبح أشهر محام في الدقهلية..

يرد حشمت إن شاء الله يابابا.. إن شاء الله.

و.. ظل عبد الفتاح ينتظر عودة ابنه بهجت كي يحتفل بتخرجه وحصوله علي الليسانس ولكنه لم يأت.. يوماً .. بعد يوم.. وطال انتظاره.. فاضطر حشمت أن يخبره بما فعله بهجت وزواجه من الراقصة سموات.. وأنه يعيش معها في منزلهم بالقاهرة.

يحزن الأب عبد الفتاح كثيرا ويقول:

- يعني ياربي الابن الوحيد الذي ينجح في دراسته ويحصل علي الليسانس.. وأعتبره أحسن أولادي.. يضيع مني هكذا وتخطفه راقصة؟

ثم يصمت قليلا ويتجه بوجهه للسماء ويقول:

- أمري إلي الله.. سلمت أمري إليك يارب.

يوكل حشمت لشقيقه أكبر محام في الدقهلية كي يترافع عنه في قضية ضرب شاب بسيارته.

وتحكم المحكمة علي صفوت بسنة مع النفاذ و٢٠٠٠ جنيه غرامة للمجني عليه. ويقع هذا الحكم علي عبد الفتاح الششتاوي وقع الصاعقة ويزيد من حالته الصحية سوءا وقد اعتبره إهانة بالغة في حق عائلة الشستاوي.. ويحاول حشمت التخفيف عن والده فيقول له :

- أنا يابابا مكانه.. سوف أدير الأرض وأرعى كل شئونك.. في أيام الأجازات التي أحصل عليها من الجيش.. كما أنني سوف أنهي الخدمة العسكرية قريبا.. وسأكون لك نعم الابن.. وإن شاء الله سوف يخرج لنا صفوت حالا وتراه أمامك.

ويبدأ حشمت في إدارة مصالح والده وزراعة الأرض... ويذهب إلي الأرض ليتفقدها ويتفقد أحوالها.. وهناك يفاجأ بأن شخصاً آخر غريباً عن القرية يشرف علي زراعة جزء من أرضهم.. وعندما أراد أن يشتبك معه ويطرده يفاجأ بأن شقيقه صفوت قد باع له خمسين فدانا من أرضهم واستغل في ذلك التوكيل الذي أعطاه له والده.

لم يصدق حشمت نفسه ووقع علي الأرض مغشيا عليه..

حملوه إلي المنزل ووضعوه في الحجرة الموجودة في مدخل القصر بالحديقة إلي أن عاد لنفسه وأفاق من هول الصدمة.. فتحامل علي نفسه.. ورأى أنه لابد وأن يحيط أباه علما بما فعله صفوت.

بمجرد أن سمع عبد الفتاح الشستاوي خبر بيع هذه الأرض.. داهمته نوبة قلبية.. نقل علي أثرها إلي المستشفي ..

وعندما أفاق بعض الشيء لم يتبادر إلي مخيلته الا منظر شقيقه فتحي عندما سلب حقه وميراثه من أرض أبيه وطرده من

القصر... ثراءى أمام مخيلته منظر أخيه وهو يغادر القصر ذليلا مقهورا ومعه زوجته.

أفاق مذعورا... وهو يرتعد ويقول:

- لا إله إلا الله.. سبحانك يارب.. الزمن دوار... سامحني ياربي.. اغفر لي خطاياي.. اغفر لي يافتحي.. ثم عاودته الغيبوبة مرة ثانية..

ومكث في المستشفي ما يقرب من شهر ثم خرج منها وهو في حالة صحية ونفسية يرثي لها.. لقد باع هو ما يقرب من ٥٠ فدانا من قبل حتي يستطيع أن يفي بمصاريف مرض زوجته ومرضه هو... وكذلك مصاريف أولاده الباهظة والبذخ الذي يعيشون فيه... وباع ابنه صفوت أكثر من خمسين فدانا لتغطيه نفس هذه النفقات.. ولم يبق لديهم إلا حوالي ٣٠ فدانا فقط.

***

في صباح اليوم التالي... ظلت نسرين معتكفة في حجرتها.. لم تذهب إلي كليتها.. لم تفق بعد مما حدث..

وبعد ذهاب رانيا إلي مدرستها.. سمعت نسرين دقات خافتة علي باب حجرتها ظنت أن الشغالة تريد منها شيئا.. لم يخطر ببالها أن يكون الطارق سامح.. قالت:

- ادخلي..

فتح سامح الباب ووقف.. فوجئت نسرين به واقفا أمام الباب.. وهي جالسة بمفردها في سريرها سابحة في حيرتها..

نظرت نسرين إليه في توتر فاحص.. لم تر في عينيه الغدر كما سبق أن لاحظته في المرة السابقة عندما أراد أن يعتدي عليها.. ولكنها رأت الحب في عينيه يفيض..

قال لها بصوت خافت وهو مازال واقفا بالباب:

- هل تسمحين لي بالدخول يانسرين؟.. أريد أن أعتذر لك عما بدر مني بالأمس..

- أنا لا أقبل أى اعتذار بعد أن صفعتني علي وجهي.. وهل بعد ذلك يفيد أى اعتذار.. ؟ لا يوجد علي وجه الأرض من يصفعني علي وجهي... بابا نفسه لم أتذكر يوما أنه صفعني علي وجهي طوال حياتي ..

وهنا اندفع سامح نحوها وهو يقول لها :

- نسرين... آنا آسف يانسرين.. أعذريني.. أنا أحبك.. أحبك يانسرين.. لم أكن في وعيى عندما فعلت ذلك وأنا أجدك مع شخص آخر تذهبين معه للنزهة ...

وفي قفزة واحدة من سامح.. وجدت نسرين نفسها وقد غاصت في صدره... واحتوتها ذراعاه.. فابتلعتها أحضانه... وذابت أنفاسها في أنفاسه.. وقد التهم

وغاب الاثنان عن وعيهما... وهو يتحسس شعرها الطويل المسترسل علي ظهرها.. وكأنه يريد أن يؤكد لنفسه أن نسرين هي التي بين يديه الآن.. هي التي في أحضانه.. وليس أى فتاة أخري..

وهي أيضا... تضمه إلي صدرها في قوة لتشعر بدفئه وكأنها تذيب الثلوج التي تراكمت بينهما طوال أكثر من ثلاث سنوات... وتقرب المسافات التي كانت تفصل بينهما طوال هذه المدة..

أخيرا... التقيا وجمع الحب بينهما... بعد حوار صامت طويل استمر أكثر من ثلاث سنوات...

لقد انتصرت عليه أخيرا وحطمت كبرياءه بكبريائها...

لقنته درسا لن ينساه طول حياته...

قال لها لا

– تتزوجينني يانسرين..؟

– حبيبي... أنت تعرف جوابي.. تعرف ماسأقوله لك مقدما... تعرف جيدا أنني سأقول لك نعم ياسامح... أتزوجك.. أتزوجك...

قالت له ذلك وهي تضمه إليها بعنف.. وهي تلهث من فرط سعادتها.. وسامح يضمها... يضمها إلي صدره بقوة.. بعنف حبه لها ويقبلها في وجنتيها.. في جبينها.. في كل جزء من وجهها.. ويقول لها:

– ماكنت أدري أنني سأحبك بمثل هذ الجنون يانسرين؟

ماكنت أعرف أنك سوف تستحوذين علي قلبي بمثل هذه القوة.. وتسيطرين علي مشاعري بهذا الشكل...

دعينا نذهب معا إلي (مامي) ونزف إليها هذه البشري.. إنها ستطير فرحا.. كانت أمنيتها دائما أن نتزوج.. وقد حقق الله لها أمنيتها..

***

وتخرج نسرين مع سامح من الحجرة.. يدها في يده.. وهي في قميص نومها الأبيض الناعم.. تسير إلي جانبه بخطى ثابتة كالبجعة الطائرة برقبتها الطويلة... وقامتها الهيفاء.. وجمالها الأخاذ..

ويقتربان من والدته التي تجلس بمفردها في الصالون وفي يديها جريدة الصباح تقرؤها... كانت تجلس بمفردها ولا تعرف شيئا مما يدور حولها.. كما أنها لا تعرف شيئا عن سر عودة ابنها المفاجئة..

فوجئت بهما معا.. وهما يقتربان منها... وجدت نفسها تنظر إليهما مشدوهة بما تراه أمامها علي غير العادة.. إنها تعرف جيدا

أنهما ليس على وفاق.. وأنهما دائما متباعدان...

فوجئت الأم بسامح وهويقول لها:

- مامي.. قولي لنا مبروك يامامي.. لقد قررنا أنا ونسرين أن نتزوج..

نهضت الأم من مكانها فرحة مسرورة... لا تكاد تصدق نفسها... بل خيل إليها أنها سمعت الكلمات خطأ.. قالت لابنها:

- صحيح ياسامح.. ماذا قلت؟

- سأتزوج نسرين..

أخذت الأم نسرين واحتضنتها بشدة ثم احتضنت ابنها وأخذت تقبله وتقبلها وهي تكاد تطير من فرط السعادة والفرح..

قامت الأم علي الفور.. لتنادي علي جميع من بالمنزل حتي الشغالين.. لتزف إليهم النبأ السعيد..

ولم تستطع الأم أن تنتظر حتي يعود زوجها من عمله.. اتصلت به علي الفور بالتليفون:

- آلو.. صلاح... سأزف اليك أسعد خبر.. مفاجأة مذهلة ياصلاح.. مفاجأة لم تكن علي البال..

- أهلا ألفت... ماذا..؟؟ أخبريني حالا.. شوقتيني .. ماالخبر.. خيرا؟؟

تصور ياصلاح... تصور سامح قرر أن يتزوج نسرين!! .. حضر خصيصا من جنيف كي يتزوجها ويعود بها.. تصور؟!

تصور ياصلاح ابننا سامح قرر أن يتزوج؟؟ ومن؟؟ نسرين؟؟ يالها من مفاجأة.. أنا سعيدة جدا ياصلاح.. سعيدة.. سعيدة جدا .. جدا..

- مبروك ياألفت.. مبروك.. حقيقي أسعد خبر سمعته.. أخيرا قرر سامح الزواج وعمل بنصيحتنا..

- السعادة تغمرني ياصلاح.. لا أدري ماذا أفعل؟.. إنه يريد أن نقوم الآن بعمل كل شيء.. ولابد أن نسافر فورا إلي فتحي بالمنصورة كي نتفق معه علي كل شيء.. ونتمم إجراءات الزواج..

- طبعا.. لابد أن يتم كل شيء بمنتهي السرعة... ليستطيع العودة إلي عمله قبل انتهاء أجازته..

- إذا كان سامح عندك.. ونسرين أيضا.. أريد أن أتحدث معهما لأهنئهما.

ويلتقط سامح سماعة التليفون من والدته:

- آلو ... أهلا بابا..

- ما هذه المفاجآت السعيدة ياسامح؟؟

ثم يقول لابنه مداعبا:

- وكيف حدث كل ذلك من خلف ظهورنا؟ ألف مبروك يابني.. أخيرا عزمت علي أن تتمم نصف دينك؟ عين العقل والله ياسامح.. ألف مبروك خصوصا أنك أحسنت الاختيار.. نسرين ياسامح إنسانة ممتازة... لاتوزن بمال ... كان أملي أن تتزوجها وكذلك والدتك وأنت تعلم ذلك جيداً..

- الحمد لله يابابا.. لقد حققت أمنيتكما..

ثم يتحدث صلاح إلي نسرين:

- أهلا نسرين... ألف مبروك يابنتي.. أنا سعيد جدا يانسرين.. ربنا يتمم لكما بخير.. سامح إنسان عظيم يانسرين.. إذا عرفتيه علي حقيقته لمست ندرة معدنه.. وطيبة قلبه وشفافيته.. ولابد أنك قد اكتشفت فيه هذه الصفات.. كما أنني سعيد جدا يانسرين لأنه بدون شك أحسن الاختيار.. ولم يخيب رجائي أنا ووالدته.. لقد كنا نتمني أن يقترن بك.. فأنت إنسانة عظيمة يانسرين وكلاكما جدير بالآخر.. ألف مبروك يابنتي.. هذا أسعد خبر سمعته..

- متشكرة خالص ياأنكل.. إنني أعرف شعوركما من ناحيتي جيداً..

***

وبعد عودة صلاح إلي المنزل أدار رقم تليفون الترنك وطلب منه مكالمة للمنصورة للاتصال بفتحي كي يزف إليه هذ الخبر السعيد.. ويخبره بأنه هو وأسرته ونسرين سيكونون عندهم غدا بالمنصورة.. غدا صباحاً كي يطلب منه يد ابنته لابنه ويتفقا معا علي الترتيبات اللازمة لعقد القران وإقامة حفل الزفاف..

وتسهر العائلة إلي ساعة متأخرة من الليل في انتظار المكالمة من فرط سعادتها بهذه المناسبة.

بينما تجلس نسرين بجانب سامح يتهامسان ويتناجيان وكأنهم يعرفان بعضهما لأول مرة.. في انتظار المكالمة..

كما تقوم رانيا بإضفاء جو من السعادة والبهجة علي الجالسين وهي في قمة السعادة منذ أن سمعت أن شقيقها ونسرين سوف يتزوجان.

وأخذ سامح نسرين واستأذن من والده للخروج في نزهة خلوية.. كانت هذه النزهة للمناجاة والعتاب.. فقد أخذ كل منهما يعاتب الآخر علي كل ما بدر منه منذ أن عرفا بعضهما علي مدي أكثر من ثلاث سنوات.. وأخذ سامح أيضا يعترف لها بما حدث له بعد سفره.. ونار الشوق التي ألهبت قلبه وأشعلت وجدانه.. وأرغمته علي العودة مسرعا ليعترف لها بحبه والزواج منها.. قائلا لها :

- إنني الآن يانسرين أعتذر لك عن كل ما بدر مني.. لقد لقنني حبك درسا قاسيا ماكنت أتوقعه..

وبعد عودتهما إلي المنزل اكتشف أن المكالمة التليفونية لم تأت بعد.. واتصل صلاح بك بالترنك الذي أخبره أن الاتصال التليفوني بين القاهرة والمنصورة منقطع وقد حاولوا كثيرا ولكن جميع محاولاتهم باءت بالفشل.. واعتذر الترنك عن هذا العطل... وأن المكالمة لن تتم..!

***

ومع أول خيوط ذهبية أرسلتها الشمس.. ومع نسمات الصباح الباردة.. غادرت الأسرة القاهرة في طريقها إلي المنصورة..

وكانت المفاجأة أقوي مما يتحمل الأستاذ فتحي.. لم يصدق نفسه عندما فتح باب شقته ووجد أمامه شقيقته وأسرتها مكتملة وبصحبتهم ابنته نسرين.. خصوصا أنه يعلم جيدا أن سامح في جنيف.. ولم يكن لديه أدنى فكرة عن عودته المفاجئة..

قالت له شقيقته ألفت:

- حضرنا خصيصا يافتحي كي نستشيرك في أمر زواج سامح.. تصور يافتحي أخيرا قرر سامح أن يتزوج وقد حضر من جنيف لهذا الغرض؟؟.

- ألف مبروك ياسامح يابني.. هذا أسعد خبر سمعته.. وأنا معك علي طول الخط.. الزواج يابني نصف الدين.. وهل الزواج في حاجة إلى استشارة؟!

ويرد صلاح (بك):

- نعم يافتحي نريد أن نأخذ رأيك في سامح نفسه كعريس..

- سامح إنسان ممتاز وتتمناه أحسن فتاة في مصر كلها...

وهنا يرد سامح:

- متشكر ياأنكل.. شهادة أعتز بها.. فقد جئتت كي أطلب منك يد نسرين.. وأرجو أن أحظي بموافقتك.. وأكون عند حسن ظنك..

وهنا لم يصدق فتحي نفسه.. قال لابن أخته:

- ماذا تريد؟ أتريد أن تتزوج نسرين؟

وهنا أجابه صلاح:

- نعم يافتحي.. لقد قرر سامح أن يتزوج نسرين.. وكان أسعد نبأ سمعناه.. إنه يحبها ونحن لا نعلم ...!

أذهلت الفرحة فتحي.. وجد نفسه يحتضن سامح وهو يقول له :

- لن أجد أحسن منك ياسامح كي أعطي له ابنتي نسرين.. أنت ابني.. وطول عمرك وأنت لك معزة خاصة عندي.. ألف مبروك ياابني.. ألف مبروك... ثم يحتضن ابنته ويقبلها وهو يقول لها.. مبروك يانسرين.. ألف مبروك ياابنتي.

ولم تتمالك مرفت والدة نسرين نفسها أخذت تقبل كلا من نسرين وسامح وهي تزغرد بلا وعي إلي أن وصل صدي زغاريدها إلي الجيران الذين حضروا لاستطلاع الخبر.. وعلموا بنبأ خطبة نسرين ..

وفي ركن من الصالون جلس كل من صلاح وفتحي يتحدثان ويتفقان علي كل شيء... علي الترتيبات الخاصة بالزواج وحفل الزفاف ..

وفي أثناء حديثهما.. تدخلت ألفت هانم قائلة. بعد أن جلست إلي جانبهم:

- لي رجاء عندك يافتحي.. وأظن أنك لن ترفض لي طلباً...

قال لها فتحي:

- كلامك كله أوامر ياألفت.. أنت تعلمين أنني لا أستطيع أن أرفض لك طلبا..

قالت:

- أنتما تعلمان جيدا ماوصلت إليه حالة شقيقنا عبد الفتاح.. وقد وصلت من السوء أدناه.. سواء صحته أ و حالته المادية بعد أن باع معظم الأرض ليصرف منها علي الأطباء.. وعلي أولاده بعد فشلهم في الدراسة.. ان أخباره التي تأتي إلينا دائما لا تسر.. وأظنك يافتحي تعلم ذلك جيدا لأن أخبار ه هذه تصلك أنت أيضا أولا بأول.. خصوصا بعد وفاة زوجته.

- نعم إنني أعلم ذلك جيدا.. وأعرف عنه كل شيء.. كما رأيته بنفسي.. منذ حوالي شهر يعزي في وفاة سعيد ابن خالي.. فكدت أبكي من أجله... رغم مافعله بي وذلك عندما رأيته متكئا علي عصاه وابنه يأخذ بيده .. إلي جانب ما أسمعه عن فشل أولاده خصوصا وقد توفيت زوجته..

وهنا قالت ألفت:

- ألا تري معي أنه من الممكن أن ندعوه في فرح سامح ونسرين ، إنه الآن في حاجة إلي العطف.. إنه مهما كان يافتحي شقيقنا..

ثم تلتفت ألفت الي زوجها قائلة:

- ما رأيك في كلامي هذا ياصلاح؟

ويرد صلاح قائلا:

- ليس لي رأي في هذا الموضوع.. الرأى أولا وأخيرا رأى فتحي نفسه.. إنه صاحب الشأن..

وهنا يتدخل فتحي قائلا:

- وأنا ياألفت.. يوم أن رماني في الشارع أنا وزوجتي ألم أكن شقيقه؟!.. ألم أكن أستحق العطف؟؟ وكيف استباح لنفسه حقوقي؟!

وهل أشتري من باعني ؟؟.. كيف؟؟ وهل يرضيك ذلك ياألفت؟؟

- العفو عند المقدرة يافتحي.. والمسامح كريم.. والله أنت أحسن منه عند الله.. وقد جزاك الله خيرا وأظنه الآن نادما علي ما فعل..

ويصمت فتحي قليلا وهو يستغرق في تفكير عميق.. ثم يعود إليهم ثانية ويقول:

- لك ما تريدين ياألفت.. ولنذهب جميعا إليه في القصر لدعوته.. وعفا الله عما سلف..

***

في الحال .. قام الجميع وذهبوا معا إلي قريتهم التي تبعد عن المنصورة بحوالي تسعة كيلو مترات.. حيث يقطن الشقيق الأكبر عبد الفتاح..

ووصلت سيارة صلاح إلي باب القصر..

حاول البواب العجوز الاستفسار عن القادمين.. ولكنه عندما لمح داخل السيارة الأستاذ فتحي.. هلل وصاح بأعلي صوته مرحبا.. ثم أسرع بفتح البوابة.

اجتازت السيارة البوابة الحديدية في طريقها إلي الداخل حتي توقفت أمام سلالم القصر..

صعدوا جميعا إلي الداخل... دون علم سابق لأحد بقدومهم..

وفي حجرة الاستقبال التي تقع في مدخل القصر.. كان عبد الفتاح يجلس وحيدا صامتا وقد أثقلته الهموم وهذه المرض.. كان الإعياء باديا علي قسمات وجهه الشاحب.. جسمه الهزيل يعلن عن وجود مرض خطير ينخر كالسوس في عظامه..

نظر أمامه في تأمل ليري من هؤلاء القادمون ؟ لم يصدق نفسه في بادئ الأمر ولكنه فجأة وجد شقيقه أمامه ومن خلفه شقيقته ..

وجد نفسه وقد انتقض من مكانه محاولا التماسك والوقوف علي قدميه.. ارتمي علي شقيقه يقبله وهو يبكي غير مصدق نفسه..

وجد فتحي نفسه أيضا يبكي وهو يحتوي شقيقه بين ذراعيه.. ومن خلفهما ألفت تبكي متأثرة بعاطفتها نحو شقيقها وما حدث له... وبتأثير معاناة اللقاء بعد فراق دام أكثر من عشرين عاما مضت..

وبعد أن هدأت النفوس.. جلسوا جميعا.. وتعرف عبد الفتاح علي أولاد شقيقه وشقيقته .. سامح ونسرين ورانيا.. وبارك الزواج.. وسعد بدعوتهم له قائلا:

- ما شاء الله.. لقد كبر الأولاد وجاء اليوم الذي نحضر فيه أفراحهم.. اليوم أسعد يوم عندي.. لقد تخففت الآن من المرض.. وألقيت همومي جانبا..

واستطرد قائلا:

- لا تظنوا أني سعدت يوما في حياتي بعد أن تركتموني.. لقد حلت اللعنة بأسرتي.. وأصبت باكتئاب نفسي لم يفارقني يوما منذ أن هجرتموني.. وزاد من هذ الاكتئاب موت زوجتي.. وبشاعة المرض الذي حل بي..

ويجهش عبد الفتاح بالبكاء متوسلا إلي شقيقه وشقيقته : أرجوكما ألا تتركاني.. لا تتركاني بعد اليوم.. إنني في حاجة إليكما.. في حاجة لوجودكما معي وبجانبي ثم ينظر إلي شقيقه فتحي قائلا:

- وأنت يافتحي أرجوك.. أرجوك.. وأتوسل إليك أن تسامحني.. أن تعفو عني.. سامحني يافتحي.. أريد أن أكفر عما فعلته..

ويرد عليه فتحي قائلا:

- لقد سامحتك ياعبد الفتاح.. صدقني إنني سامحتك.. لم يكن أمامي إلا أن أسامحك .. والحمد لله الذي منحني المقدرة علي العفو والسماح.. إن ذلك من فضل الله تعالي عليّ ..

وترد ألفت قائلة:

- لقد انتهي كل شيء ياعبد الفتاح منذ زمن بعيد.. المهم أنت الآن.. أن تراعي صحتك.. وتباشر أعمالك..

وأمضت الأسرة بعض الوقت مع عبد الفتاح تسري عنه همومه.. وتمسح عنه آلام النفس.. وتعذيب الضمير الذي أنهكه .

وفي المساء... عاد صلاح وأسرته إلي القاهرة بعد أن تم الاتفاق علي ترتيبات الزواج.. وحفل العرس.. علي أن يكون الزواج في خلال عشرة أيام وهي المدة الباقية علي أجازة سامح...

***

علمت الأسرة كلها بنبأ عودة سامح من سويسرا لكي يتزوج نسرين وعمت الفرحة الأسرة كلها.. إلا ريهام.. عندما علمت بذلك... لم تصدق الخبر.. وعندما تحققت بنفسها.. لم تقو علي الصدمة.. عصفت الصدمة بعواطفها وبقلبها وبمعنوياتها.. فوقعت طريحة الفراش..

وظلت عدة أيام ملازمة الفراش.. وقد وجدتها ذريعة لعدم حضور حفل زفاف نسرين وسامح.

وكان والدي ريهام علي علم بحبها لسامح وأنها صدمت بسفره دون أن يتقدم لها كي يتزوجها والآن عاد كي يتزوج غيرها.. لذلك فقد أيقنا مدى الأزمة النفسية التي تمر بها ومدي عنفها.. أخذت والدتها تسري عنها قائلة لها:

- يابنتي كل شيء نصيب.. وغدا ستجدين أحسن منه.

- موش ممكن ياماما لقد أحببته جداً وماكنت أتوقع أن يتزوج أحداً غيري.. ورغم ذلك.. فقد كان لدي شعور قوي بأن نسرين هذه سوف تأخذه مني.. وفعلا.. أخذته.. أخذته مني ياماما.. ثم تنهار وتنخرط في بكاء مرير وتظل والدتها ومعها شقيقتها سهام يسريان عنها.. وتقول لها شقيقتها سهام:

- كنت أظن أنك أقوي من ذلك ياريهام.. لم أكن أتخيل أنك سوف تنهارين بهذه الصورة بسبب حب فشلت فيه.. ياستي .. فكري في مستقبلك ولا تجعلي هذه الأزمة تعصف بك.. وغداً سوف تجدين أحسن منه بكثير وتحبينه ..

- لا أظن ياسهام.. أنا متأكدة أنني لن أجد ولن أحب أحداً مثل سامح بعد ذلك.

ثم تنخرط ريهام في البكاء ثانية .

أما محيي سواق التاكسي فكان يذهب إليها أمام منزلها يوميا كي يوصلها إلي كليتها كما هي العادة ولكنه لا يجدها في انتظاره أمام المنزل كعادتها.. وتكرر ذهابه في الصباح إلي منزلها دون جدوى .. قلق عليها.. فاتصل بها في التليفون فعلم أنها مريضة.. هاله ماسمع.. وحرص علي أن يتصل بها يوميا بالتليفون كي يطمئن عليها.. كما أرسل لها باقة ورد كان لها أثر جميل في نفس ريهام..

انتفضت ريهام من فراشها.. وعندما طلبها محيي في التليفون.. قالت له عندي لك مفاجأة مدهشة يامحيي... مفاجأة العمر بالنسبة لك... أرجو أن تنتظرني اليوم أمام الباب الساعة السادسة مساء وأنت فى أبهي مظهر لك.. أريد أن تكون في منتهي الأناقة.. وأن ترتدي حلة لم أرك فيها من قبل..

- ما الخبر ياريهام.. لقد اشتقت لمعرفة هذه المفاجأة.. بالله عليك قولي لي ماهي.. أو حتي بالتلميح؟

- وكيف تكون مفاجأة إذا قلت لك شيئا.. أريد منك فقط أن تنفذ ما أقوله لك.. وأن تنتظرني في الموعد الذي حددته لك..

- بس كده.. أنت تأمريني وأنا أنفذ.. سأكون في انتظارك في الموعد المحدد ..سلام.

- باي باي..

نهضت ريهام من فراشها وارتدت أجمل ثيابها.. وأخفت شحوب وجهها بالميكاج والمساحيق.. وخرجت ومعها حقيبة بها بعض ملابسها واحتياجاتها الضرورية.. خرجت من منزلها في صمت دون أن يشعر بها أحد وتركت لوالديها خطاباً قالت فيه:

عزيزي بابا... عزيزتي ماما:

قبلاتي .. وحبي..

عندما تقرآن خطابي هذا سأكون عند المأذون لعقد قراني علي محيي عبد الكريم وهو شاب تعرفت عليه حاصل علي بكالوريوس التجارة وأري أنه من الممكن أن أعيش معه في سعادة افتقدتها مع غيره... ربما تلوماني علي فعلتي هذه.. ولكني أرجو أن تغفرا لي.. فأنا أعيش في محنة .. في أزمة نفسية كادت تعصف بي بعد أن فضل سامح نسرين

عليّ وقرر أن يتزوجها.. لذلك فقد قررت أن أتزوج محيي لأنه يحبني جدا جدا.. وكنت أنا منصرفة عنه بسبب حبي لسامح.. وقد رأيت أنه فعلا الشخص المناسب الذي يمكن أن يخلصني من محنتي هذه..

ربما تلوماني علي هروبي منكما وزواجي بهذه الطريقة... فأقول لكما إنه إنسان من أسرة متواضعة.. وإنكما لن توافقاني علي الزواج منه... فتزداد محنتي سوءا وربما أوصلتني إلي حد الجنون أو الانتحار.. وأظن أنكما لا ترضيان لي بذلك... مما جعلني أقدم علي ما أنا مقدمة عليه الآن ..

أرجو أن تسامحاني وأن تلتمسا لي العذر وأن تصفحا عني.. وأعلم أنني سوف أتسبب لكما في ضيق وحزن شديدين لما بدر مني.. ولكنني أرجو منكما الصفح والغفران.. وأن تعذراني وتدعوا لي بالتوفيق..

ابنتكما المخلصة

ريهام

عندما خرجت ريهام من المنزل وجدت محيي في انتظارها بالتاكسي و بمجرد أن رآها خرج كي يستقبلها وفتح لها الباب حتي ركبت ثم استدار وركب بجانبها وقال لها وهو يدير المفتاح في محرك السيارة:

- خير ياريهام.. ما هي تلك المفاجأة؟.. جعلتيني في غاية الشوق لمعرفتها.. ولكن كيف حال صحتك أولا.. طمئنيني أريد أن أعرف أحوالك وماذا حدث لك؟

- الحمد لله صحتي علي مايرام أصبحت أحسن حالا .. مجرد وعكة بسيطة ومرت بسلام .

- الحمد لله.. وماهي تلك المفاجأة إذن؟

قالت له ريهام:

- هل مازلت عند رأيك تريد الزواج مني؟... أم عدلت عن رغبتك هذه؟

- كيف أعدل ياريهام.. هذه أغلي أمنية لدي.. وسأكون أسعد مخلوق علي وجه الأرض إذا وافقتني علي ذلك.

- إذن هيا بنا إلي أقرب مأذون لنعقد قراننا.. هذه هي المفاجأة.. ما رأيك فيها؟

- أسعد مفاجأة توقعتها في حياتي.. يوجد مأذون أعرفه.. سوف أطير إليه لكي أحظي بأسعد أيام حياتي..

وعند المأذون تم عقد قران ريهام علي محيي... بعد ذلك اتجها إلي الفندق ليقضيا فيه بعض الأيام لحين إعداد سكن أو شقة مفروشة للإقامة بها.

وفي منزل ريهام بمجرد أن اكتشفت والدتها ما فعلته عندما دخلت حجرتها للاطمئنان عليها.. ولم تجدها ولمحت الخطاب موضوعا علي الوسادة.. أخذته وقرأته.. وبمجرد أن علمت أن ابنتها هربت كي تتزوج أخذت تبكي وانهارت وأخبرت زوجها حسام الدمرداش وابنتها سهام.. وخيم الحزن والضيق علي المنزل.. ولكنهم استسلموا لقضاء الله وقدره نزولا علي رغبة ابنتهما.. وظلا في انتظار تليفون منها لمعرفة أخبارها.. وعزما علي أن يباركا زواجهما ممن اختارته مهما كانت ظروفه علي أن يساعدا ابنتهما علي تأسيس منزل يليق بمستوي الأسرة... ويقفان إلي جانبها في محنتها وألا يزيدا من همومها.

واتفقوا علي أن يخفوا خبر هروبها هذا عن الأسرة إلي أن يؤثثا لهما منزلهما .. وأن يقوم والدها بإيجاد وظيفة محترمة لزوج ابنته مادام حاصلا علي بكالوريوس التجارة... ويقيموا لها فرحا تحضره العائلة.. حتي لا يكتشف أحد نبأ هروبها وزواجها دون علم والديها..

***

أما نسرين فقد صحبت أسرة عمتها إلي القاهرة.. لتعد ثوب الزفاف وتهيئ نفسها لأسعد ليلة في عمرها..

ولم تنس نسرين دراستها في الكلية .. لم تنس البكالوريوس في زحمة السعادة التي تغمرها.. كان حصولها عليه في نفس السنة دون تأخير أو تأجيل لعام آخر هو شغلها الشاغل..

كيف تستطيع أن توفق ما بين سفرها إلي جنيف بصحبة سامح بعد الزواج.. وبين متابعة المحاضرات والحصول علي الشهادة في نفس الوقت..؟

في بادئ الأمر.. فكرت بينها وبين نفسها أن تبقي بالقاهرة بعد الزواج حتي تنتهي من امتحان البكالوريوس إذ لم يبق عليه إلا حوالي أربعة أشهر.. ومن الممكن أن يسافر سامح بمفرده علي أن تلحق به بعد الامتحان..

ولكن.. هل سيوافق سامح علي رأيها هذا؟

وظلت نسرين في حيرة من أمرها بسبب هذا الموضوع إلي أن قررت أن تشرك سامح معها في الرأى حتي يخرجها من حيرتها..

وبسؤال سامح.. اعترض كلية علي سفره بمفرده.. وكيف يمكنه أن تظل نسرين بعيدة عنه أربعة شهور ؟!

قرر أنه لن يسافر إلا وهي معه.. واقترح عليها أن تأخذ معها كتبها لتستذكر دروسها في جنيف.. وقبل الامتحان بحوالي شهر تعود للقاهرة لمتابعة مافاتها من محاضرت وتتقدم للامتحان ثم تعود له ثانية..

ووافقته نسرين علي رأيه..

***

في اليوم التالي اتصل فتحي بابنه إيهاب في الإسكندرية كي يزف إليه بشرى خطبة شقيقته إلي سامح ابن عمته.. ويخبره أيضا بموعد الزواج..

واستقبل إيهاب النبأ بفرحة غامرة.. كاد لا يصدق والده.. شعر بنشوة الحب تغمره.. نشوة حبه لرانيا.. لقد سرت نشوة الحب لتعم شقيقته أيضا ومعها سامح.. سوف ينصهروا جميعا في

بوتقة السعادة والأمل والمستقبل المشرق..

وفي أثناء المكالمة.. صمت إيهاب لحظة بعد أن سرح بفكره .. وقد راودته فكرة شيطانية.. فقال لوالده وهو مدفوع بالسعادة التي تملكته:

- حسنا ياوالدي العزيز.. ولكن.. لا تظن أن نسرين هي التي سوف تستأثر وحدها بالحفل..

ويرد عليه والده قائلا:

- لست أدري ماذا تعني ياإيهاب.. إنني لا أفهمك..!

قال له إيهاب:

- أعني أنني سيكون لي نصيب في هذا الحفل..

- لا أفهم ماتعنيه.. إنك تحدثني بالألغاز!

- أريد أن أقول يابابا.. أنني سوف أعلن خطوبتي لرانيا في حفل زفاف نسرين..

- إن ذلك يسعدني كثيرا ياإيهاب.. ولكن ألا تري معي أن ذلك سابق لأوانه بعض الشيء...؟ إنك مازلت في السنة الثانية بكلية الطب..

- لا يابابا.. إننا الآن شبه مخطوبين والجميع يعرف ذلك.. وأنت أولهم.. لماذا اذن لا نعلن مانخفيه؟... وتصبح خطوبتنا أمام الجميع.. وفي حفل رسمي حتي يتم تخرجي بإذن الله؟

- والله لك ماشئت ياإيهاب.. وأنت محق فيما تقول.. حقيقي سوف تكتمل سعادتي وأنا أرى رانيا بجانبك.. لقد أحسنت الاختيار..

ومرت الأيام والعائلتان تستعدان وتتهيآن لهذا اليوم السعيد... يوم حفل القران.. وخطبة إيهاب لرانيا..

***

كان يوما مشرقا.. زغردت الفرحة في النفوس.. وهزت كيان الأستاذ فتحي وزوجته.. أنستهما كفاح السنين.. وضيق اليد.. وغدر الشقيق.. وبغتة الأيام..

وظهرت نسرين ورانيا في ثياب عرسهما وكلتاهما تصلح لأن تكون ملكة لجمال العالم.. وعن يمين كلتيهما جلس سامح وإيهاب..

وفي مدخل القاعة.. وقف علي الجانبين كل من صلاح وزوجته ألفت وفتحي وزوجته مرفت لاستقبال المدعوين..

وحضر شقيقهما عبد الفتاح يسانده من الجانبين اثنان من أبنائه هما حشمت وشوكت وقد حضرا بشعورهما الطويلة المجعدة والمنسدلة علي رقبتيهما في إهمال واضح.. وسوالفهما الممتدة علي وجنتيهما حتي الذقون.. وقد بدت عليهما علامات الفشل.. وأمارات الصعلكة.. مما لفت إليهما أنظار جميع الحاضرين في الحفل الذي اعتبر بحق حفل الموسم لفخامته وأناقة المدعوين والمدعوات إليه..

***

وكان المشهد الأخير من هذه الرواية... التي نسجت خيوطها عائلة سيطرت الأنانية والطمع والجشع علي كبيرها.. هو:

التناقض الواضح بين الخير والشر... بين الظالم والمظلوم..

وكان حفل الزفاف بمثابة جلسة للنطق بالحكم في قضية كان القاضي والمحكمة فيها.. هما الأيام والسنين.. وإرادة الله هي الحكم الأخير..

فخسر عبد الفتاح الششتاوي (الجاني) أرضه وصحته وأمواله ومستقبل أولاده.

ووقف شقيقه فتحي الششتاوي (المجني عليه) يمسح حبات العرق التي تنبع كاللآلي من جبينه .. نتيجة كفاحة الطويل... وينفض عن كاهله عبء الليالي القاحلة.. ليجني ثمرة ماأنعم الله عليه به.. فرحا مزهوا بأولاده..

تمت بحمد الله

رجاء عبد الملك

رقم الإيداع ٤٤٤١ /١٩٩٧
الترقيم الدولي I. S. B. N.
977 - 5284 - 16 - 3

Maarefa Printinghouse
Cairo - Insurance Building - Lazoghly Square
Tel. : 3553990

مطبعة المعرفة
عمارة التأمين - ميدان لاظوغلى - القاهرة
ت : ٣٥٥٣٩٩٠